
رحلة
الكابتن فلوير
1876
عبر الساحل في نهاية عهد الحكم العماني
مع ملحق الأحداث التاريخية
OMAN
COAST
بن دغار

بن دغار



رحلة الكابتن فلوير

1876

عبر الساحل في نهاية عهد الحكم العماني

مع ملحق الأحداث التاريخية

رحلة الكابتن فلوير

1876

عبر الساحل في نهاية عهد الحكم العماني

مع ملحق الأحداث التاريخية

المؤلف: بن دغار

الطبعة الأولى: سبتمبر ٠٨

التوزيع: الفرات للنشر والتوزيع

ص. ب: ٦٤٣٥/ ١١٣ بيروت لبنان

هاتف: ٧٥٠٠٥٤ ١ ٩٦١

فاكس: ٧٥٠٠٥٣ ١ ٩٦١

التوزيع عبر الإنترنت: www.alfurat.com

للملاحظات مع المؤلف: Bendaghar@Gmail.com

مقدمة

كان جدي «محمد آل دغار» لا ينفك بالحديث عن تاريخ جده الكبير أثناء فترة الحكم العربي لساحل مكران، إعتقدت في تلك الفترة أنه أمر يتعلق بمجرى الأحداث في تلك الأيام. ومع الوقت إكتشفت وقرأت أوراقاً عديدة عن هذا الموضوع مما جعلني أدرك أهمية تاريخهم والدور الذي قاموا به في تاريخ هذه المنطقة المهمة سواءً سياسياً أو اقتصادياً.

ظلت أُسرة آل دغار والتي ترجع أُصولها إلى بني هود من القحطانيين العرب والذين ظلوا يحكمون أو يمثلون الحكومات العُمانية والعربية العديدة التي حكمت ساحل مكران منذ ملوك هرمز واليعاربة والبوسعيد والقواسم وحتى خروج العمانيين منها ـ وأقاموا إماراتهم في المنطقة حتى سقوط آخر أُمرائهم عام ١٩٣٢ على يد رضا شاه بهلوي.

وتظل «جغين» والتي هي منطقة استقرار هذه القبائل وأُمرائهم من

آل دغار تاريخاً قائماً بذاته وشاهداً على حكم القبائل العربية للساحل لسنوات طويلة قبل إنهيار الوجود العُماني العربي بأكمله وتحويل المنطقة إلى حكم فارسي (إيران).

وقد جعلت موضوع تاريخهم أمراً أرجع إليه من وقت لآخر حتى إكتشفت وبعد سنوات من البحث المتقطع والغير منتظم أني جمعت مادة ومعلومات تاريخية تستحق أن أوصلها للقارئ العربي خاصةً في منطقة الخليج لأنها تحوي معلومات لم تذكر أو تتوفر سواء للمطّلع العام أو المختص بالتاريخ السياسي لهذا الجزء من منطقتنا ـ ومع أني لست بالمختص بعلم التاريخ فإني ارتأيت أن أوصل هذه المعلومات عن طريق رحلة قام بها نقيب إنجليزي إسمه الكابتن فلوير الذي قام برحلة في هذه المنطقة عام ١٨٧٦ حيث زار مناطق قبائل البلوش على ساحل خليج عمان وكذلك مناطق الجزر العربية مثل (هنجام) التي كانت تحت حكم قبائل (بني ياس) ومن خلالها قمت بإضافة المعلومات المناسبة لإيصالها بسلاسة للقارئ.

ومع أن هذه المعلومات تاريخية وقديمة فإني أعتقد أنها إضافة جديدة للمكتبة العربية لأنها المرة الأولى التي يتم طرح الخلفية التاريخية والسياسية لهذه المنطقة وعلى أمل أن تكون بداية في فتح الباب لمعلومات إضافية عن التاريخ العربي في منطقة ساحل مكران. وإرتأيت تسمية الكتاب «**رحلة الكابتن فلوير ١٨٧٦ عبر الساحل من نهاية عهد الحكم العمّاني مع الأحداث التاريخية**».

حيث أنها أتت بسنوات قليلة بعد إنتهاء الحكم العماني كماهومبين في ملحق الأحداث التاريخية والتي إرتأيت إضافتها كملحق عن تاريخ المنطقة قبل وبعد رحلة الكابتن فلوير لأجل تكملة البحث والإفادة العامة.

وإننا إن نذكر هذا التاريخ لهذا الجيل الذي هو في واقع الأمر يرجع بذكراه إلى جده الخامس أو السادس في الشخصيات المذكورة بهذه الرحلة والكتاب فإننا نأمل أن يستفيد ونستعيد تاريخاً مجيداً بنوه هؤلاء الأجداد ليكون التاريخ عبرةً لنا ولأجيالنا القادمة.

والله المستعان

بن دغار

الإمارات

سبتمبر ـــ ٢٠٠٨




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تمهيد

عند تناول تاريخ عُمان وإمارات ساحل عمان لابد من الإشارةإلى أن هناك ثلاثة عوامل لعبت دوراً في مكانها الهام عبر التاريخ.

العامل الأول ـ الموقع الجغرافي:

أنها تاريخيا سيطرت على أغلب الجزء الشرقي لشبه الجزيرة العربية ممتدة من حضرموت إلى قطر, وبجوارها مناطق عديدة في بحر العرب والمحيط الهندي، وعرفت بكونها (أمة بحارة)، فبين بلاد ما بين النهرين إلى ضفاف الهند وشرق أفريقيا لعبوا دوراً رئيسيا في العالم البحري لنحو ليس أقل من خمسة آلاف سنة.

العامل الثاني ـ العامل التاريخي:

ويشكل المظهر التاريخي عاملاً آخر من أهمية هذا الإقليم حيث أثبتت الاكتشافات الأثرية الأخيرة على أن أقدم المستوطنات فيها يرجع

إلى الألفية السابعة قبل الميلاد. فالصوان المكتشف في ظفار وأكوام القبور في عبري والأحجار المحفورة في وادي عدي وأم النار وهيلي ومليحه أثبتت مدى تطور حضارة ذلك الوقت. وإستمر هذا الدور، منذ تلك الأزمان السحيقة عندما كانت هذه المنطقة مركزا لمعظم الاتصالات في الشرق الأوسط ممادعا أهاليه وقبائله بالإنتقال والإستقرار في مناطق عدة قريبة بل ويحكموها مثل قصة سليمة بن ملك بن فهم , والذي يعتبره رهط كبير من البلوش جدهم الأكبر, وكذلك الوصول إلى سواحل الهند وشرق أفريقيا وإقامة مستوطناتهم بها.

العامل الثالث ـ الجانب السياسي:

إن العامل الثالث لأهمية هذا الإقليم هو الجانب السياسي، فمنذ فجر الإسلام حتى الآن تتمتع بسياستها المستقلة الخاصة. وفي السابق لعب الجانب القبلي في إعتبارهم من العرق القحطاني اليماني المرجعية العصبية في تعاملهم مع باقي العنصر العدناني في شبه الجزيرة العربية بل وحتى في نفس الإقليم العماني سواء في ظاهره أو باطنه أوساحله أوحتى في أطرافه والتي وصلت إلى مكران وزنجبار.

ورغم أن المذهب الإباضي لعب دوراً أساسياً في هذه الخصوصية إذ رفضت مبادئه الفكر السائد الآخر في بقية الجزيرة العربية بدءا من سلطات الخلفاء في بغداد،غير ان هذه الإستقلالية ظلت سمة سائدة بين كافة القبائل في سائر الإقليم العماني وأطرافه, مماجعل إماراتها ودولها لاعبا رئيسيا في تاريخ المنطقة بل وقوة كبيرة تقارع قوى عظمى أخرى أتت للمنطقة مثل البرتغاليين ودولة فارس وحتى الإنجليز.

لذا، أعتقد بأنه من الأهمية لأن يدرك أبناء هذه المنطقة الخصوصية السياسية والتاريخية والجغرافية لبلادهم حتى يتم البناء على النهضة الحديثة التي نشهدها والإنطلاق نحو أفاق جديدة لإعادة الدور التاريخي لنا في مسيرة الحضارة الإنسانية.

وهذا الكتاب هو قطرة في بحر الدور الحضاري الذي قام به أجدادنا عسى أن يكون منارا لنا في المستقبل إنشاءالله.

والله ولي التوفيق،،،




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدمة الكتاب

جولد سميد



إلى كل المهتمين بالدراسة الجغرافية والسياسية لبلاد فارس «إيران» وشمال الهند إن معرفة هذه البلاد تمثل أهمية قصوى للإنجليز وعلى الأخص فى وقتنا الحاضر فإن أ مناطق بلوشستاناً المجهولة والتي من الممكن أن تخفق في كونها موضوعاً جذاباً لأن حتى العنوان يتطلب تفسيراً لمعناه لأن معنى (بلوشستان) غير معروف و مجهول وهذه المنطقة و لم يتم تحديدها ضمن الحدود المقر بها دولياً وغير معلنة سلفاً ونحن عندما نصف هذه المنطقة فهي واقعة بين خطوط الطول ٥٧ و٦٧ ,يحدها من الشمال خط العرض ٢٨ ويبدأ من (كوه باسمان) و(كوه نوشادر) ومن الجنوب يحدها البحر، هذا الوصف يتطابق مع الطريقة الفارسية في تحديد أملاك الشاه من (بندر عباس) شرقاً مما جعل (الهند البريطانية) تحذوا حذوها في إطلاق نفس الأسماء التعريفية لمقاطعة (براهوي)[1] غرب جبال

(١) تقصد مناطق خان الكالات والتي أصبحت الإقليم الرابع لباكستان بعد ضمها إليه عام ١٩٤٧.

(هالة) والتي تُعد نقطة إلتقاء بين الحدودالغربية أو فارس والشرقية أو خان (الكلات) البلوشية ممايعني أنها شمال نهر (ماشكد) وجنوب قرية الصيد (غواتر).

وفي نظرة عامة إلى خريطة بلاد فارس الحالية يتضح أن جزءاً كبيراً من أراضي بلوشستان أصبحت ضمن حدودها مما يعني أنها تحتاج إلى تحديد خاص لا يمكن معه أن تكون الأراضي الخالية والمعروفة مثل (باشكرد) و(رودبار) و(ارفشان) أن ننعتها باسم الصحراء أو الأرض الجبلية. لذا وجب تعيينها أو الإشارة إليها ولو بشكل غير مؤكد باسم (الأراضي المجهولة) وربما يكون هذا سيئاً للجغرافي ولكنه ليس كذلك بالنسبة إلى طلاب السياسات الشرقية الذين يعتبرونه إهمالا جغرافياً لا يستحق اللوم لأنه من غير المنطقي أن تبقى هذه المنطقة مجهولةً بالنسبة للهند البريطانية لأنها من جيرانها المباشرين. ومنذ أكثر من أربعين سنة وضعنا عملائنا السياسيين في (السند) و(بلوشستان) وبقية حُكام تلك الأقاليم تحت سيطرتنا الخاصة لكن بشكل أقل من تلك الفترة بينما بقيت علاقتنا بتلك الأخيرة مستمرة. فضلاً عن ذلك و خلال عشرين سنة فقط من إنشاء خط التلغراف بطول ٤٠٠ ميل على طول ساحل (مكران) غرب (كراتشي) وبعد ست سنوات امتد إلى ميناء (جاسك) حتى وصل جزيرة (هنجام) عبر توصيلة تحت الماء إلي نقطة التقاء الحدود مع بلاد (البلوش) غربا. و هذا يدعونا إلي عمل قانون لتشجيع و منح إجازات رسمية لمغادرة الموظفين إلى خارج مجال أعمالهم الخاصة حتى في إجازاتهم الخاصة ليتمكنوا من كسب معلومات أو تغيير مؤقت للجو الصحي السائد في البلاد التي يعملون بها.

السيد آرنست فلورير أحد الموظفين الحكوميين في التلغراف الهندي الأوروبي في تلك الفترة في الخليج «الفارسي» يُعد واحداً ممن لديهم القدرة على الاكتشاف والروح التي تطمح دائماً إلى البحث عن المجهول



صورة الكابتن فلوير مع أحد مرافقيه
«صورة أخذت في مصر لاحقاً»

مما يمكننا من القول أنه مكتشف عظيم وقد قام بمهمته بناء على اقتراح قدمته إليه في حضور موظفي التلغراف الانجليز مبتدئاً من نقطة امتداد ساحل مناطق البلوش وصولاً إلى «شط العرب» و«كراتشي» بمباركة الحكومة مما لا يدع مجالاً للشك في اعتقادي أنه أحد أوائل المكتشفين المختارين لهذه المهمة لكن ثمة بعض التعليمات المؤكدة الصادرة إليه تقضي بأن تتم المهمة دون اعتبار الأمر رسمياً. و كما حصل ترك السيد فلورير مكان إقامته الموحشة في «جاسك» إلى الداخل بعيداً عن سلطة رؤسائه لكن في نفس الوقت لم يعترض أحد من موظفي محطة التلغراف علي هذه الرحلة مما يعني مضيه في تنفيذ مهمته بدون صعوبات رسمية ليحقق ذاته من خلال المهمة وليبقي القارىء هو الحكم.

أراد السيد «فلوير» أن يخرج من هذا المكان ليؤلف كتاباً يعبر فيه عن وجهة نظره الصائبة والتي تستحق القراءة و في الحقيقة فإن مما ذكره في

كتابه ليس لدي وقت للالتفات إلى نقده لكن سعادتي كبيرة عندما أمنح دليلاً يساعد على اكتشاف هذا المجهول ويعطي معلومات الى مستحقيها، فالمعلومات القليلة المتوفره تعطي اهتماماً أكبر للإنجليز خاصة لأنها قريبة إلى مستعمراتهم في «الهند البريطانية» لذا فإن المقاطعة المجهولة (باشكرد) تعطي هذا الغموض الدائم لهم. فعبرت مرتين خلال سهول بمبور الجنوبية ومرة من الضواحي الغربية مروراً من (بندر عباس) إلى (سيستان) ورحلتين من (بمبور) إلى (مكران) مكنتني من أن أكون على دراية بموانىء (مكران) والأراضي المجاورة لحدوده الشرقية. ومع ذلك لم يتسن لي الوقت ولا الفرصة لأتصل برئيسها عبر رسالة مما اضطره للحجز للسيد (فلورير) لزيارة عاصمة سيف الله. وكان البلوش في تلك الفترة يواجهون صعوبات جمة بسبب تقلد موظف آخر منصباً جديداً ووصلتنا عنه بعض القصص التي تعبر عن شخصيته الحازمة[٢].

(باشكارد) لم تكن المنطقة الوحيدة في غرب (بلوشستان) التي زارها مسافرنا الجريء بل أقام مخيمات في أماكن مختلفة في الشرق والغرب وفي الشمال من تلك المقاطعة المسماة بلوشستان مخيماً بصحبة واحد أو اثنين من السكان الأصليين لهذه المنطقة أو أحد المغامرين الذي يدفعه إلى خوض هذه المغامرة والاستفادة بقصصها وأحداثها المتتابعة ثم يتابع رحلته إلى (فارس) المملكة الكاملة للشاه يمر خلالها على مدن مثل (كرمان)، (يزد)، (أصفهان) وصولا إلى خانقيين قرب الحدود التركية ومن هناك إلى «بغداد» و(البصرة) أصبح هناك القليل من الأراضي التي لم يزرها بعد، ومن «البصرة» إلى «مارسيليا» و«لندن» وقد انتابنا شعور أننا لن نفاجأ من

---

(٢) يقصد الحاكم العسكري القاجاري «إبراهيم خان» و الذي أعدم قادة الثوار البلوش و حكامهم بإطلاقهم في فوهة المدفع.

المؤلف بأي رواية جديدة حول رحلته الممتعة.

إبعاد السيد (فلورير) عن شواطئ الخليج الفارسي باتجاه التلغراف المصري وإقامتي الرسمية في (القاهرة) مكنتنا من استئناف العلاقات التي بداناها منذ سنوات بعيدة.

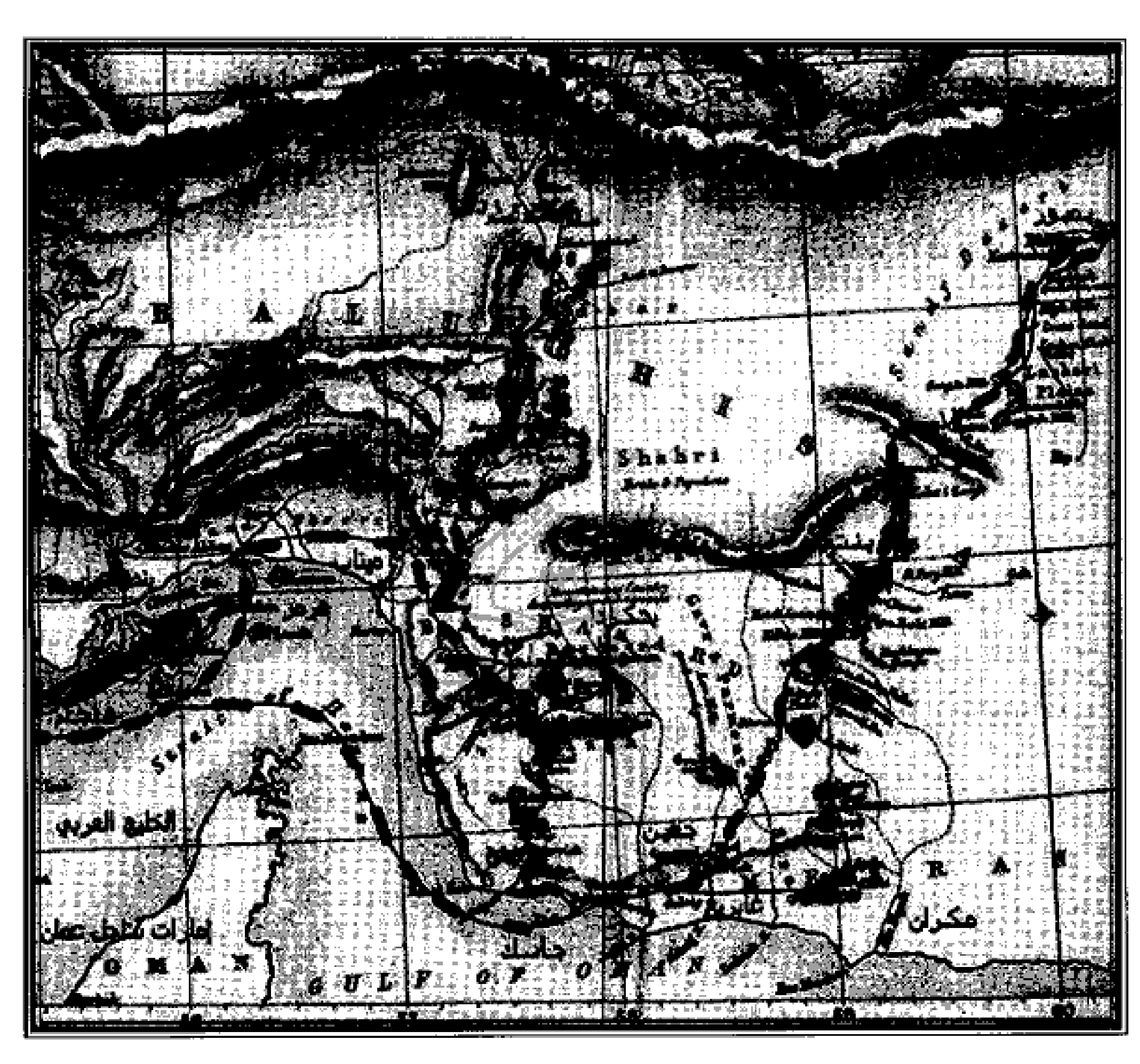
الكثير من الأسئلة سألتها ووفقت في الإجابة عليها عند كتابتي لهذا التقديم البسيط للكتاب والذي يُعد من أجمل الكتب والأكثر روعة وليس من اليسير أن يحظى المرء بالتقدير إن لم يكن قد أعطي كتابته العناية الكافية لذا نرجو أن تتحقق الفائدة لقارئ الكتاب .



جولد سميد

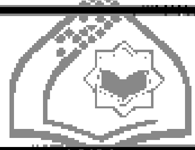
القاهرة

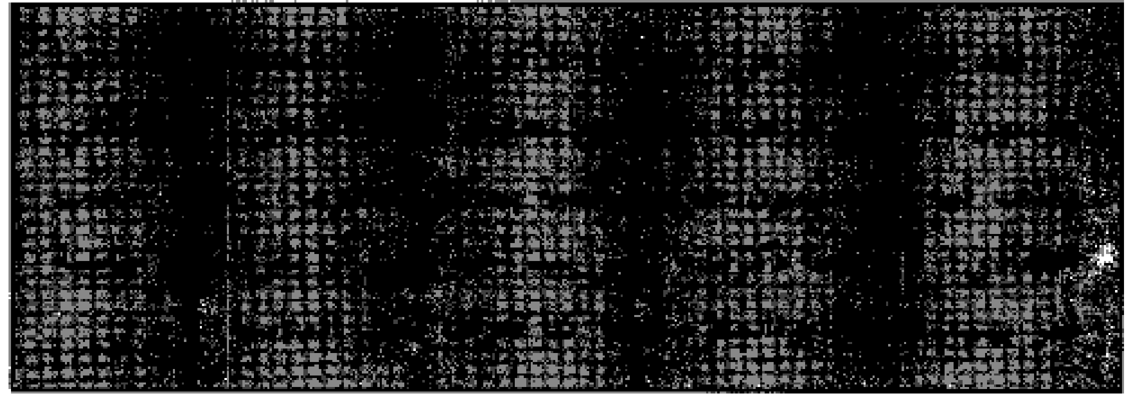
٣٠ من مارس ١٨٨٢



مسار رحلة الكابتن آرنست فلوير

الجزء الأول





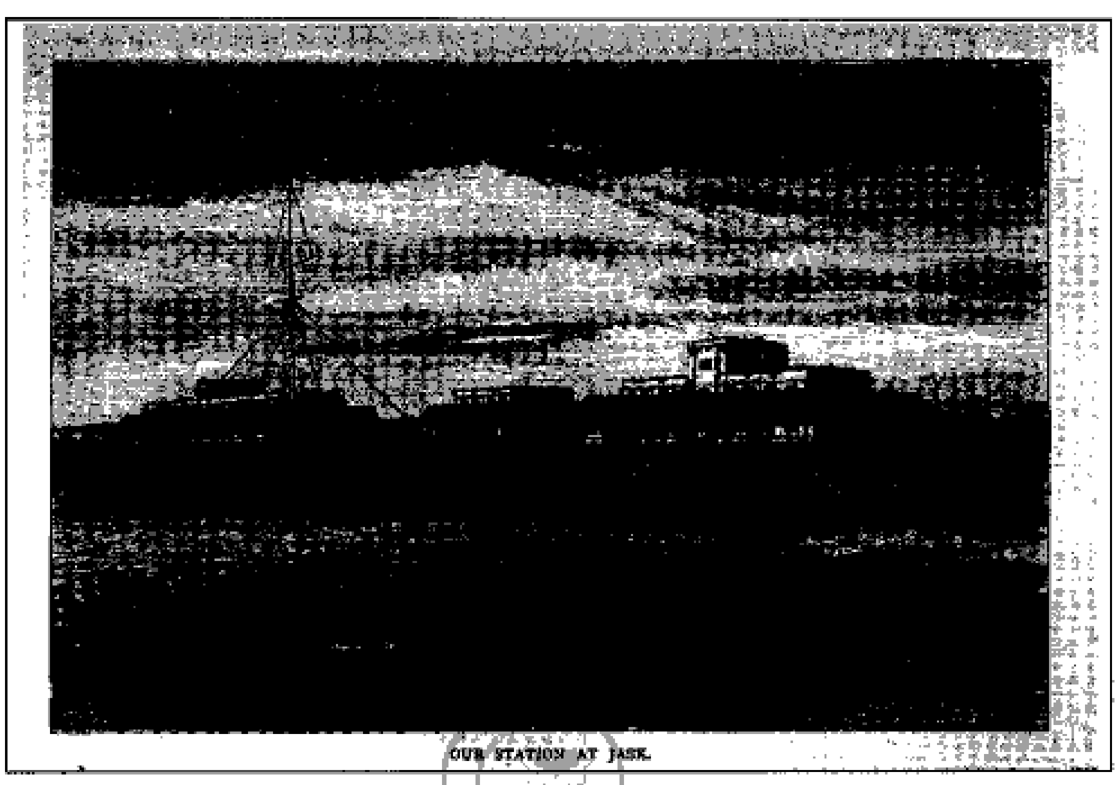

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

في يناير ١٨٧٦م وبينما كنت قد عانيت كثيراً في سنوات خدمة قاسية في الخليج الفارسي، وبعد أن مُنحت إجازتي السنوية الطويلة والمؤجلة من حكومة صاحبة الجلالة، فآليت جهدي في التخطيط للإستفادة من هذه الإجازة قدر الإمكان.

وكنت أقيم في ذلك الوقت في (جاسك)[١] مقابل ساحل (مسقط)، وقد فكرت أولاً أن أقوم بزيارة صديقي الوكيل السياسي المقيم هناك، ولما كان «اللنش» القديم هو أسلوب المواصلات الوحيد بين البلدتين فقد قمت بتغيير هذه الفكرة خاصة أنه ليس من الممكن الحصول على سفينة قبل أسبوعين، وكان البديل لذلك القيام برحلة إلى (البشكرد)[٢] والتي بدت لي

(١) هي ميناء على الساحل الشمالي لخليج عُمان في منطقة مكران، وتعتبر أقدم البلاد التي هاجر إليها العرب في مناطق عُمان وساحل عُمان (الإمارات) منذ أيام «سُليمة بن مالك بن فهم» وخاصة قبائل الأزد.

(٢) بلاد (الباشكارد): بلاد جبلية محاذية لجبال مكران سكنها القنص والبلوش وأبناء عمرو بن عامر، وجبالها (البارز) التي سكنها أيضاً بعض من الأزد والقحطانيين.



محطة التلغراف البريطاني في «جاسك»

أنها أفضل من الفكرة السابقة، ولكني كنت خائفاً وراجعت حساباتي بسبب الجليد والضباب في هذه البلاد، حيث إنه من المستحيل بركوب البغل أن يسافر المرء في هذا الطقس المشابه لمناخ الإقليم القطبي، إضافةً إلى الحروب الأهلية الدائرة هناك والتي كنت قد سمعتُ عنها مؤخراً.

أما أصدقائي من أهالي المنطقة فقد أصروا على الذهاب إلى (ميناب)(٣) وإقناعي أن الطريق جيِّد ومأهول بالسكان وفيه كل شيءٍ متوفر للمسافر، وكل هذه الأسباب مجتمعة كان لها الأثر في تغيير الاتجاه السابق. غير إنّي منذ زمنٍ بعيدٍ كنتُ أتمنى أن أرى ما وراء الجبال المحاذية لساحلِ (مكران) حيث قضيت سنوات طويلة مقتنعاً بعجزي عن تحقيق هذه الأمنية، وكانت

(٣) ميناب: هي بلاد خصبة تقع بالقرب من تياب والتي هي أساس مملكة (هرمز) القديمة التي أسسها «محمد بن درهم كوب» بعد قدومه من (قلهات).

هذه أحسن فرصة تُتاح لي لعبور هذه الجبال، وبالتالي لتحقيق تلك الأُمنية.

عند النظر في خارطة السير «فريدريك غولدسميد» تبدو (بنت)[٤] منطقة جميلة تستحق التوجه إليها، ومن مزاياها أيضاً أنه لم يسبق لأبناء بلدي الذهاب إليها. . وهكذا قررت أن أجعلها محطة سفري الأولى.

وقررتُ أن أصحب مجموعة كبيرة من المراقبين في رحلتي هذه، وبدا من الصعب أن أجد الجمال السبعة المحدّدة للحمولة، وهكذا انقضت ثلاثة أيام في البحث عن جمالٍ في البلدة دون جدوى بسبب عدم معرفة حقيقة اتجاهي والخوف من البرد، وكذلك كان الموسم هو موسم التوالد في هذه الأيام، وكل الجمال الذكور الشابة كانت هائجة مع الإناث.

وفي مساءِ السابع من يناير حصلنا على سبعة جمال، هنأت نفسي بها إذ أن واحداً فقط من الجمال كان هائجاً وكان ذكراً كبيراً وعمره خمس سنوات، يصيح باستمرار ويخرج زبداً كثيراً من فمه؛ ولذلك استحق أن يوصف بأنه إبل عجوز، ولكن فيما بعد اتضح أنه أفضل من منظره، وبسبب مرضي فقد كانت أمتعتي أكثر مما كان ضرورياً بما فيها الخيمة والسرير وكرسي وطاولة متنقلة. «صالح» ـ الملا العربي ـ صاحبني للتحري عن شؤون الأهالي ورواياتهم. أما الطباخ فقد كان «جونيس» العنيد، و«غلام شاه» كان السفرجي وهو ولد أمين وقوي، أما «جلال» العجوز» أبو زيد سروج»[٥] ذو الفطنة والدهاء، فقد حمل بندقيتي، بينما سائقوا الجمال الخمسة والذين ظهرت الطيبة على وجوههم فقد حملوا الخيمة والحطب

---

(٤) (بنت): بلدة مشهورة هي مركز حكم «الشيرانيين» ـ ومنها أيضاً ظهر الأمير «قنبر بن سليمان» في أشعار البلوش.

(٥) أبو زيد السروج: شخصية عربية في كتاب «الأصفهاني» عاشت في البصرة.

والماء، ويجب ألا أنسى أيضاً «توبي» كلبي الوفي الصغير ذو الأنف الأسود الذي كان مسافراً على ظهر جمل الطباخ، وأثناء الليل يحوم حول سريري لأكون تحت حمايته الخاصة.

وبعد ثلاث ساعات عمل في تحميل الأمتعة كان اتجاهنا إلى (بنت)، ولما كان العيد واحتفال الأضحى يصادفان في مساء هذا اليوم فقد جعلتهم يسيرون ستة أميال فقط على أمل أن نصل مساءً إلى (جغين)[٦] وهي تبعد حوالي ٢٧ ميلاً من هنا أي من (جاسك).

وهنا عليّ أن أذكر بأن (البلوش) معلوماتهم سطحية عن عقائدهم لمعرفة ما إذا كان هناك عيد، ومن يعرف هذه المناسبة يسارع في شراء ملابس جديدة، والقلة التي قابلتنا في اليوم التالي لم يتمكن أحدٌ منهم من اخباري عن أي عيد هذا، وربما كانوا مسرورين لأنني قلت لهم ربما يكون هذا عيد الأضحى، ولما قررنا أنا و«صالح» بدء رحلتنا في صباح اليوم التالي استيقظتُ مبكراً بعد حالة اكتئاب لأرى ما يقدمونه في الكرم السخي من مجموعة فرسان (جاسك) وهم فيلق من الفرسان مسلحون برماح مصقولة ويمتطون الحمير ـ في مهمةٍ لتطهير البلدان المجاورة من الكلاب الضالة، وكان خلال الليل قد سقط ـ مطراً كثيفاً ـ كإنذارٍ لنا بأننا لن نلاقي طقساً معتدلاً دائماً.

الصباح كان جميلاً، فامتطينا جمالنا وسرنا ببطء إلى (جغين) عبر صحراء مقفرة ـ في رتابة لم نشاهد خلالها إلا أشجار النخيل والقمح في

(٦) جغين: هي منبع وأساس استقرار القبائل العربية في ساحل «مكران». راجع كتاب الرحالة «تكسييرا» عن القبائل العربية في جغين ـ وخاصة القحطانيين من عُمان واليمن ـ ودورهم في الصراع بمملكة هرمز، كذلك استقر بها لفترة قبائل الرند بقيادة الأمير «شاكر» ولهم قلعة بها قبل مغادرتهم إلى (سيوي).

ثلاث مناطق.

طريقنا في التسعة عشر ميلاً[7] الأولى كان عبر الرمال بين الجبال والبحر، وهنا أرشدنا القرويون لممرٍ عبر الجبال يمكن أن يكون أقرب من هذا الذي نسير فيه، وكنت متشوقاً لمقابلة صديق كان مسافراً من (جوادر)[8] بمحاذاة الساحل، وتركنا (جاسك) في العاشرة صباحاً وحسب وعد سابق بيننا عرجنا لأخذ «جلال» الرجل العجوز الذي توفيت زوجته الثانية قبل أيام، وقد منحه زعيمه «الأمير علي»[9] جارية اتخذها زوجةً له بشكلٍ مؤقت حتى يتسنى له أن يجمع مالاً ويدفع مهراً لواحدةٍ من جنسه، وكانت هذه تُدعى «لكوم تتنس» وهي زنجية صغيرة ذات طبع عنيد، والتي لربما كانت في خدمة بيت الأمير وكانت تكن كراهية عميقة لأطفال العجوز الأربعة، وعندما اقتربنا سمعنا نزاعاً ساخناً، فالزوجة هددت بأن تترك أبناءه جياعاً إن لم يعطها اثنين من (الكران)[10] والتي تشك في أنه استردهما واحتفظ بهما.

قمنا بالصياح على العجوز الذي خرج من كوخه وهو يقود حماره أمامه متمتماً بكلماتٍ يعلن بها النساء، أما ابنه المُدلل من زوجته الأولى، فقد تبعه وهو يبكي راجياً أباه ألا يذهب ويتركه، حيث رق له قلب الرجل العجوز، ورغم مشاكله العائلية فقد كان سعيداً بمرافقتنا في هذه الرحلة.

في الحقيقة «جلال» العجوز يستحق الوصف، فقد كان عمره بين ٤٥

---

(٧) الميل: هو عبارة عن ١,٦ كيلو متر، فالتسعة عشر ميلاً تكون تقريباً ٣١ كم.

(٨) جوادر: بلدة على خليج عُمان مقابل سلطنة عُمان حكمها أمراء الهوت في مملكتهم الأولى بمكران وظلت بيد حكومة آل بو سعيد العُمانية الحالية حتى عام ١٩٥٨م.

(٩) هو الأمير علي بن الأمير حاجي من «آل دغار» وهم أمراء المير من آل دغار المتوزعين في منطقة عُمان ومكران وساحل الإمارات.

(١٠) عملة محلية فارسية.

و٦٠ سنة، وطوله ٥ أقدام و٦ بوصات، نحيلاً؛ قوياً، متسامحاً، ذراعاه وساقاه ضعيفة، وتبدو خشنة ومشققة مثله في ذلك مثل بقية أبناء بلاده، شعر رأسه محلوق ومُغطى بعمامة دبقة على طريقة أهل الدين المحافظين، حواجبه الضخمة ذات الشعر الواقف الخشن تُغطي عيناه العميقتين الغائرتين ذاتا اللون الرمادي شديد الإحمرار، مع أنفٍ صغير يتوسط وجهه بطريقة جميلة. ولحيته القصيرة البيضاء تشبه الطين بعد أن صبغها بالحناء. وبينما كان يمشي بجانبي أوضح لي كيف أن مشاكله العائلية أنسته غسل الحناء من لحيته مساء الأمس، وقد تعاطفتُ معه عندما سمعت منه ذلك. فمن عادة البلوشي أن يكون نظيفاً وأنيقاً خاصة عندما يكون بين الأجانب، وكان «جلال» ذا شخصية قوية، مع قدرة غير عادية على تحمل مشاق السفر فكان عليه أن يمشي أربعة أميال في الساعة من بداية الصباح حتى المساء بظهره المقوّس وقدميه المستقيمتين التي لم يكن يثنيهما أثناء المشي وكأنه لا يدرك فائدة المفاصل في قدميه.

كان «جلال» صياداً ماهراً ومدللاً عند «الأمير علي»[11]، ولكنه الآن أصبح عاجزاً عن القيام بمهمته، وما عليه إلا اللّهو بالصيد البسيط، ومساءً كان عليه أن يأكل كميةً من التمر ومأكولات أخرى من مشتقات الألبان مثل اللبن والروب واليقط، وهي من الأطعمة التقليدية للبلوش، وبعدها كان لا يستطيع الحركة لمدة ساعتين، وكان مخلصاً جداً وعمله يستحق الثناء، فإن ربط أي شيء من الأحمال يكون ربطها محكماً، وإذا طلبتَ منه أن يوقظك في الثالثة صباحاً، يكون كل شيء جاهزاً في الثانية والنصف، ومن صفاته أيضاً تحمل الجوع.

(١١) كانت حاشية «الأمير علي» ـ خاصة ـ مشهورة في ساحل مكران بأنها كبيرة وكثيرة السفر والترحال بين مناطق (جاسك وبيابان) وحتى مناطق (بنت) و(باشكارد) نظراً لمصاهرته مع حكامها هناك ـ وكان وجود الصيادين والقناصة والعبيد معهم من ضمن ضروريات سفرهم.

لقد كان جلال العجوز مسروراً؛ لأنه أصبح موضوع دُعابة من القافلة، ولكنه بلسانه السليط كان كثير الشكوى ولاذعاً، وإنما كان حاضر البديهة يستطيع قلب الموقف على خصمه، حماره كان صغيراً حيث اشتراه رخيصاً عندما كان رضيعاً، ومن شدة اعتنائه به، قلما يركبه ويسير بقدميه يومين باحثاً له عن عشب مخصوص، وقد علَّمته خبرته الطويلة أين يجد العشبَ من أجل «ابنه الحمار» كما كان يسميه.

كنتُ أتحدث مع الرجل العجوز وجملي يمشي بخفةٍ حسب ما تقتضيه حالته المرهقة حتى وصلنا إلى (باهل)[١٢] وهي قرية صغيرة مليئة بالحشائش وتبعد حوالي ٦ أميال من (جاسك) ويسكنها أهالي (حشدان)[١٣] الذين انتقلوا إليها منذ فترةٍ قريبة.

كبير هذه القرية يُدعى «جمعات» وتُلفظ عادة «جمعة» ـ صديق قديم لي ـ وكان أيضاً صياداً في جبال (حشدان) (لكل قناص حق الصيد في منطقته ويرثها عن أجداده) وقد صاحبنا الزعيم لبعض المسافة وأوصى ابنه «جني» أن يكون تحت تصرفنا، وقام بركوب الجمل ـ إبليس العجوز ـ أثناء الرحلة.

القرويون في (حشدان) لهم ثلاثة تجمعات تبعد كل واحدة عن الأخرى ٨ أميال، وفي كل تجمع يقضون جزءاً من السنة، أما (باهل) ولكونها منخفض تتجمع فيه مياه الأمطار، فإنها تنتج محصولاً وافراً من حشائش

(١٢) باهل أو بهل: قرية للسماكين يقطنها أغلبية من «الميد» ومن الأفارقة، ويعملون في صناعة شباك الصيد. كان بها حامية لقوات «رضا شاه» أبادها الأمير «مراد بن مصطفى» لاحقاً في الثلاثينيات من القرن الماضي.

(١٣) حشدان: قرية تبعد ١٥ كيلو متراً شمال شرق جاسك، بها أشجار نخيل وأهلها من البلوش والميد وقبيلة السويدي الذين استقروا بها من قادمين من الإمارات وساحل عمان.

الربيع، وعندما تأكلها الأغنام والقطيع يكون الوقت قد حان لمغادرتها إلى (يكدار)[١٤] للعناية بنخيل «جمعة»، حيث تكون رقعة القمح والتي زُرعت هناك من قبل بارتفاع ٨ بوصات، ويحملون أكواخهم المصنوعة من سعف النخيل مع عجلات الغزل والمياه المُخزَّنة في القرب المصنوعة من جلود الحيوانات وأغراض النساء الأخرى على الجمال والحمير إلى هناك ويصحبهم حوالي دستة من الكلاب الضخمة ونصف دستة من البقر، وثلاثون أو أربعون ماعزاً وخرافاً، ثم تصبح (حشدان) هي اتجاههم الثاني إلى أن يحين الوقت للعودة إلى (باهل) في الربيع التالي.

«جمعة» له أربع زوجات وخمسة أولاد (بنجي، جني، نجو، دلواش، وشاهي) كانوا يمارسون مهنة القنص، إلا أن «نجو» قد تزوج من فتاة من أسرة بعيدة، وسخَّر كل طاقاته للزراعة. والرجل العجوز لم يكن مسروراً إلا إذا رآهم وهم طيّبون، أما ابنه «دلواش» واسمه يعني (القلب المبتهج) فقد عاد لتوه من (تشابهار)[١٥] وكان سعيداً أن يرى أحوال أسرته على ما يُرام.

من (باهل) لزمنا في سيرنا ساحل البحر الرملي وعبرنا (حشدان) حتى

---

(١٤) يكدار: تقع بحدود ٣٧ كيلو متراً شمال شرق جاسك، وتبعد ١٥ كم عن البحر ـ وعن خط التلغراف البريطاني القديم الذي كان يربط الهند بلندن، وبها ما يقرب من ٢٠٠ منزل للبلوش وقبيلة «جنكي» ومن الميد، ويملك أغلب نخيلها أمراء آل دغار وأخوالهم من أبناء محمد بن جنكي وللسيد عبد الرحمن الهاشمي وأسرته وهم أخوال أبناء بركت، وبها بعض من النخيل. وفي يكدار كان الحصار الأخير للأمير مراد بن مصطفى والسيد عبد الرحيم الهاشمي قبل إعدامهما من قبل رضا شاه.

(١٥) تشابهار: بلدة على ساحل خليج عُمان الشمالي في منطقة مكران، حكمها العُمانيون من اليعاربة ثم آل بو سعيد حتى عام ١٨٧٢، واستقروا بها وأحد ولاتها السيد تركي بن سعيد بن سلطان آل بو سعيد الجد الأكبر لسلطان عُمان الحالي جلالة السلطان قابوس بن سعيد بن تيمور بن فيصل بن تركي آل سعيد.



وصلنا إلى (شهرنو) حيث خيَّمنا تحت ظلال أشجار النخيل، وهنا يجب عليَّ ألا أنسى ذكر ذلك الرجل الصامت الذي قابلناه أثناء سفرنا. كان اسمه «الملا سعيد» أي «الفقيه سعيد» وكان قائداً سابقاً لدى الأمير «عبد النبي»(١٦) والذي بعد المعركة الأخيرة التي خسرها من الأمير «يوسف»(١٧) للسيطرة على قلعة (جاسك) قد تركه وجاء ليشارك ويخدم مع الأمير «يوسف»، وهو شخص طويل ونحيف، أسمر البشرة ومكتئب ويعرّف نفسه على أنه أفغاني، ولكن من يراه يعتقد أنه من (الهند)، وكان يركب جملاً رائع الشكل، بينما خادمه الصغير يجري أمامه حاملاً بندقيته الإنجليزية الثقيلة.

(١٦) هو الأمير عبد رب النبي واختصرت القبائل هذا الاسم واشتهر باسم «الأمير عبد النبي» بن محمد بن داخذا الكبير بن شاهو بن اليشكري بن الأمير جمعة بن الأمير دغار بن الأمير بلى بن الأمير البهلوان بن الأمير الأشتر بن الأمير عالي من السلالة الميرانية الحاكمة ومن أقوى شخصيات أمراء آل دغار في الساحل، اصطدم مع حكومة فارس وتحالف مع حكومة «مسقط» في عُمان وحكم باسم سلطان عُمان مناطق الساحل ثم اختلف معهم بعد وفاة السيد ثويني بن سعيد بن سلطان، وأقام علاقة تحالف مع الحكومة الإنجليزية ووقع معهم اتفاقية التلغراف البريطاني بعد أن سمح لهم باستخدام أراضي منطقته لعبور خط التلغراف وهو والد الأمير «بركت».

(١٧) هو الأمير يوسف بن داخذا بن الأمير حاجي الكبير بن الأمير حسين بن داخذا بن شاهو بن اليشكري بن الأمير جمعة بن الأمير دغار.

شخصيته كانت غريبة، نظراً لتحيته لي بالطريقة المتَّبعة في (هندوستان)، ومن يراه يعتقد أنه هندي نظراً لصعوبة تلفظه لحرف «الراء» بالبلوشية.

لقد لفت نظري في (شهرنو) الأكواخ القليلة المتفرقة وسكانها يلبسون الملابس الزاهية محتفلين بحلول عيد الأضحى، اليوم الذي يلتف فيه المسلمون حول الكعبة بمكة المكرمة، وذلك حسب اعتقادي؛ لأنه كما ذكرت، ليس بيد أحد منهم أن يعرف أي مناسبة تمر بهم، فقط أنا و«الملا سعيد» كنا نعرف سبب المناسبة.

بعد مغادرتنا (شهرنو) مررنا بـ (يكدار) حيث ينمو فيها شجر النخيل في برك راكدة وينتشر فيها البعوض الأسود القارص، الذي أربكنا وأربك جملنا مما جعلنا نتقدّم بحذرٍ على أطراف هذه البرك لتفادي ما لا يُحمد عقباه.

إن النظر إلى حالة بساتين النخيل بهذه المنطقة يمّكننا من معرفة المكانة العائلية لأصحابها وملاكها، ومعظم البساتين هنا هي ملك الأمير «علي» وخصمه «عبد النبي» وقد بدأ رجالي - وكلهم خدم أو أتباع الأمير «علي» - عند رؤيتهم الأشجار، فرحين وهم يؤشرون ويشرحون لي عن أشجار النخيل المثمرة الطويلة، ومقارنتها مع بساتين الخير المزروعة حديثاً.

إن شخصيتا هذين الزعيمين الخصمين، واللذين قد أثر نزاعهما سلباً على أحوال البلاد، يمكن تلخيصه بوجه عام كالتالي:

إن «الأمير علي» وهو رجل كهل ومسن، هو الأفضل لرعاياه؛ حيث يقوم بإعطاء كل فرد جزءاً من نخيله ليجعل بينها مسكناً له، كما أنه يساعدهم في الزواج والاستقرار.

أما «عبد النبي» فإنه منذ أيام عنفوانه الأولى، وبعد وفاة والده في (مكة)(١٨) أصبح حامياً للرعية وجعل من أتباعه وخدمه جنوداً،

---

(١٨) لم يتوفى والده (الأمير محمد آل دغار) في مكة، إنما كان في رحلة للحج إلى بيت الله الحرام =

لم يدعهم للبقاء طويلاً في مكانٍ واحدٍ، وجعلهم دائماً مرافقين له في رحلاته ليكسبهم الخبرة؛ من أجل القتال ومساعدته في أعماله الأخرى.

وعند غروب الشمس اخترقنا حزام الأشجار الخضراء على ضفاف نهر (جغين) ووجدنا مكاناً مناسباً للمخيم في الناحية الغربية للنهر، وبكل حماس اندفع الرجال لإقامة الخيام، وكان واضحاً من عملهم أنهم لم يسبق لأيٍ منهم أن قام بهذا العمل، إذ أنني لاحظت ثلاثة منهم يمسكون وتداً واحداً، أحدهم يرفعه، والآخر يربطه بوتدٍ آخر ويطرقانه بشدة، والثالث يمسك بنهاية الحبل لشده. على أي حال، قام «جني» الصبي الصغير بتسوية الأمر لتثبيت الخيام، خاصةً أنه يريد أن يبرهن بأنه يستحق ثناء أبيه وتوصيته.

وبعد العشاء توجهنا للنوم على زمجرة الجمل «إبليس العجوز» للرد على آخر ما يصله من الأصوات البعيدة، وعلى موسيقى طنطنة البعوض المتداخلة مع صوت تحرك كتل الرمال من المنحدرات نحو قاع النهر.

وفي الصباح الباكر بدأت أسراب طيور الحجل التي قَدَمت من الغابات المحيطة ترتوي من مياه النهر.. وتوجهتُ مع «جلال» للصيد وعدنا بعد ساعتين بثعلبٍ واحد، وقط بري، وابن آوى، وثلاثة من طير الحجل الأسود، وأشهد أنني لم أكن موفقاً في ذلك اليوم، فقد كنتُ مضطرباً برغم أنني صوَّبت كثيراً دون جدوى، وكانت الغابة في بعض مناطقها كثيفة الأشجار، ولم أسمع سوى صوت الطلقات والطيور تهرب بعيداً، وقام «جلال» باصطياد حجلين بيده فهو له خبرة في ذلك؛ إذ أن هذه الطيور بعد

= في مكة، فوافته المنية في «الإحساء» عندما كان عائداً من مقابلة الأمير السعودي قائد الحركة السلفية في الدرعية في نجد ودُفن بها.

سماعها صوت طلقات الرصاص تختبئ في أشجارٍ كثيفة، ويمكن للصياد الماهر اصطيادها بيديه، وقد أجهدت «جلال» كثيراً بهذا العمل، فطَير الحجل الأسود أصعب في صيده من الطير البُنيّ اللون، كما أن منظر هذه الأفواج من الحجل وهي مختبئة في الأشجار قد يُفاجأ بها القادم لأول مرة لهذه البلاد.

إن نهر (جغين) كغيره من الأنهار ينحدر من الجبال وينساب بشكل متموج خلال مجرى رملي نحو البحر ـ فوصفاً موجزاً له قد يكون ذا فائدة ـ إن عرض نهر (جغين) نصف ميل، وهو غني بالطمي الذي يساعد على زراعة محاصيل وفيرة، ولكن ما يُستفاد منه هنا فقط زراعة بعض أنواع شجرة القطن الرديئة، والحشائش، ومنها البرسيم الذي ينمو بغزارة في الشتاء ويقل في موسم الجفاف، كذلك يوجد قليل من المواشي ترعى في هذا المكان، والناس هناك قد تَسخر من فكرة حشه وتخزينه في موسم كهذا لأجل استخدامه في موسم الجفاف[١٩].

وعند عودتنا من الصيد، فوجئنا بخبرٍ غير سار؛ إذ أن النهر غير سالك لما فيه من طبقات كثيفة من الطمي المتراكم والذي يصعب عبوره، وقد بحثنا طوال الصباح عن ممرٍ ضيق في النهر دون جدوى.

وتناولتُ طعام إفطاري بدون شهية بعد أن أرسلت «جلال» و«تاجو» (أحد المصاحبين للجمال)، في اتجاهي النهر، المنبع والمصب؛ للتأكد والبحث، أما «تاجو» الذي رافقني لاحقاً، في رحلات عديدة مع آخرين بعيداً عن بلادهم، لدرجة أنهم تخلو عني بل وتمردوا ضدي ولكنه وقف

(١٩) إن سكان جزيرة «قشم»، في الخليج الفارسي هم على عكس ذلك، في غاية الحرص يحتفظون بالبرسيم والأقطان في كهوف ومخازن للموسم الحار ولا يعطي المسافر عبر الجزيرة فرصة ليفلت جملة طلباً للطعام والشراب (فلوير).

بجانبي دائماً، ويبدو «تاجو» بساقيه الطويلتين التي يرتكز عليهما كأنه يريد أن يتحدى التعب، وكان شخصاً مرحاً ومنطلقاً. ولا تبدو الرابطة الجلدية التي حزم بها شعره الكثيف كافية من أن يترامى الشعر على وجهه وكتفيه، ومع أنه لم يكن معتنياً بنفسه بما فيه الكفاية إلا أنه أصبح خير مساعد لي، وقام أيضاً بتعلم الطبخ بعد جهد ومشقة، وهو يمتلك ثلاثة جمال ويشترك في عدة جمال أخرى غيرها، ويصحبنا في هذه الرحلة بناقته المدلّلة الأنيقة «دارجي» التي يشاركه ركوبها الطباخ والكلب «توبي»، بالإضافة إلى أجزاء من الخيمة التي بالكاد تستطيع حملها.

و«تاجو» يتاجر في الحمير أيضاً؛ حيث يستوردها ويصدّرها من وإلى (عُمان)، وبدا سعيداً لأنه أصبح قادراً على التفاهم مع «صالح» بنفس اللغة التي يفهمها.

وبينما كُنت أسترخى على سريري في الظهيرة والجمّالة يتحدثون بالخارج، سمعتُ صوتاً غريباً، ولما ألقيتُ نظرةً من جانبِ باب الخيمة رأيتُ أحد رجالي يلقي السلام على بلوشي عابر ومدجج بالسلاح حتى أسنانه، وبجانبه جمله الذي يقبض بزمامه عبد صغير يتبعه، ويحمل بيده سيف طويل وآلة موسيقية تسمّى (البانجو).

إن طريقة وإسلوب التحية والسلام عند البلوشي تدعو للضحك والاستغراب؛ لأنها تستغرق خمس دقائق؛ حيث يقومون بتقبيل الأيدي بوقارٍ، وعند مرورِ كبار القوم من قبائل البلوش، على أتباعهم ورعاياهم، يقوم هؤلاء بتقبيل أياديهم تعبيراً عن ولائهم وإخلاصهم لهم، ويردون عليهم بسحب أياديهم والاكتفاء بالقبلات التقليدية على الوجه. وليس من اللائق وإهانة لكرامة الرجل أن يسأل أحدهما عن صحة الآخر أقل مما يسأله الآخر عن صحته وأحواله، وهذه الطريقة الشائعة كان يتبعها رجالي عند لقائهم أبناء بلدهم؛ لذلك أصبحت فزعاً جداً عند لقاء غرباء في

مسيرتنا؛ لأنها تسبب لنا تأخيراً، وعندئذٍ يفسد تنظيم خط سير رحلتنا.

وبعد إلقاء السلام يسأل كلٌ الآخر، مثلاً: هل أنت بخير؟ هل أنت سليم مُعافى؟ هل كل الأهل بخير؟ هل أهل بيتك بخير؟ وأثناء الأسئلة تُلتقي الأيدي ويقبّل كل واحد الآخر ثلاث مرات، ثم يكررّ هذا السلام مراتٍ عديدة، بعد ذلك يسألون بعضهم عن الأخبار ويكررون السؤال أيضاً، وإذا صادف أن شخصاً واحداً يواجه ثلاثةَ أشخاص عليه أن يسأل عن حال كلٍ واحد على حدة، وإذا كان أحدهم من كبار أبناء القبيلة اكتفى بأخذ الأخبار من أكبر واحد من الموجودين.

وبعد نهاية اللقاء والسؤال عن الصحة والأخبار استعدّ الضيف للرحيل، ولما رأيته قد انصرف، ناديت على رجالي لسؤالهم إن كان اتجاهه نحو الممر الضيق للنهر، وأدهشني أنهم جميعاً لم يخطر ببال أحد منهم أن يسأله هذا السؤال، وخطر ببالي أن أتحرى شخصياً عن وضع النهر بدلاً من الاعتماد على الرجال، فوضعت القبعة على رأسي وذهبت للتحية والسلام على صديقنا الجديد، وأخبرته أنني أود مرافقته إلى الممر الضيق للنهر، فتوجهنا قدماً وبخطوات واثقة نحو النهر وكان الرجل حذراً، ويجعلني أتقدمه كلما ضاق الطريق.

واتضح أن صديقنا هذا كان جندياً ماراً في طريقه من مخيّم «عبد النبي» إلى مركز قيادته في (جابريج)[٢٠]، وسمعنا بعد ذلك بأن هناك مسألة تتعلق

---

(٢٠) جابريج أو غابريغ: هي مقر فرع أبناء الأمير «محمد» من أمراء آل دغار، وهم أربعة: «اليشكري بن محمد» و«جمعة بن محمد» و«عبد النبي بن محمد» و«عبد الله بن محمد». وهؤلاء هم أبناء الفرع الذي آل إليهم الحكم بعد مقتل الأمير «حاجي»، وآخر أمرائهم هو الأمير «بركت»، وتعتبر (غابريج) منطقة زراعية وبها أشجار النخيل ومجمعات سكن للقبائل ومركز التراث الأدبي والشعر لقبائل المنطقة. =

بمحاولة أخرى لإعادة السيطرة على القلعة في (جاسك) التي سقطت في يد الأمير «يوسف».

وإنني لا أنسى أبداً سمات التكبر والغطرسة التي كان ينظر بها إليهم عند ادعائهم بأن النهر في مكان ما عميق وموحل جداً، وكان يلوِّح ببندقيته وكأنه يعلمهم متسائلاً: «من قال أنه يوجد وحل هنا؟ أليست هذه آثار أقدامي من الأمس عندما كان النهر أعلى منسوباً من اليوم؟»، وبكلِ هدوء رفع الغلام فوق الجمل وخلع ملابسه وتوجه ماشياً نحو النهر ليعبره. كانت المياه في هذه القناة عميقة ومنحدرة من الناحية الأخرى، ولكن عبورها لم يكن بالسهل أو المستحيل.

وبالرجوع إلى عبارة - استحالة عبور النهر - التي كان يكررها علينا «دادو» وهو الساكن الوحيد بالمنطقة الذي ظل يبيع البيض والدجاج واللبن لنا طوال فترة بقاءنا هنا. وبعد أن عَبَر الرجل النهر، تجلى الموقف وأصبح طبيعياً بالنسبة لي أن أعبر أيضاً، فأصدرت أوامري للتحميل والرحيل في الحال. أما الجمال التي ذهبت لترعى لم تكن مفاجأة لي أن أراها ترعى على الضفة الأخرى من النهر.

وبعد الغروب كنا قد أنهينا التحميل وبدأنا بالمسير، وكان أسوأ ما لقيناه هو الخوض في حوالي ٥ أقدام من المياه والوحل، حتى أن «إبليس العجوز» الذي يتبعني كاد أن يترنح ويسقط بما يحمله من السكر والأرز والدقيق، لولا أن قام الرجال بإعادة توازنه بعد أن حملوا البضائع والصناديق على رؤوسهم.

= وفيها أيضاً حصلت ثورة الأمير ميرزا بن بركت مع القبائل المتحالفة معه وفيها تم حرق مراكز الجيش والشرطة في زمن محمد رضا شاه بهلوي آخر شاهات إيران والتي أطاحت به الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني عام ١٩٧٩.

كانت نصف ساعة مثيرة للأعصاب والجمال متفرقة في الظلام تعبر المياه الباردة. عموماً، مرَّ كل شيء بسلام، خاصةً بعد أن وصلت الجمال على الضفة الأخرى من النهر وتأكدنا من سلامة مخزوننا من الطعام وزال القلق عنا.

ولكي نتحاشى البعوض خيَّمنا في مكانٍ بعيدٍ عن الوحل والمياه، وكانت الخيام التي أقامها «عبد الله» تشبه الأشجار الضعيفة مما جعلنا نلومه بأسلوبٍ لطيف؛ لأنه ركَّز أوتاد الخيمة على الرمال الهشة وسقوط الخيمة ربما يؤدي إلى موتنا مؤكداً.

ولم يكن من السهل على «عبد الله» أن ينصب الخيمة لأنه ضعيف جداً، وهو رجل كبير وطيب، وأصبح بحكم عمره مسئولاً عن الرجال، ولم أعترض على ذلك حتى يحين الوقت لإيجاد شخص آخر مناسب بدلاً منه، ولكن هذا لم يحدث لأنه كان يفرض رأيه وبعض تعليماته خاصة عندما نصبنا الخيمة. وبهذا نال استحسان الجميع ولم يكن ليسكت أبداً وإن لم يكن يوجد شيء للحديث عنه، كان يقوم بأخذ عصاً صغيرةً ويبدأ في وصفها «كم هي جميلة، آه كم هي حادة، قوية كالمسمار . . . الخ».

صحونا صباح اليوم التالي مبكرين مع الطيور، وكان الجو شديد البرودة، مما جعل الاستيقاظ باكراً صعباً على هؤلاء الرجال وذلك بالرغم من الأغطية الثقيلة التي سلمتها لهم. ويبدو أن السبب يكمن في أنهم كانوا لا يرتدون سوى ثوباً وقميصاً بسيطاً مع علمهم بسوء الطقس.

وقد بدا واضحاً أيضاً أن الحمولات الخاصة بالجمال لم تكن قد وُضعت عليها بعد، وكان علينا أن نستعجل لإنهاء هذا الأمر. وهنا بدأ «إسماعيل» بصوته الحاد في توزيع التعليمات، حيث أن ثلاثة من الجمال المرافقة لنا هي ملك لأخيه الأكبر «عبد الله» وكان يحاسب على تحميلها

ويعترض أن يكون على ظهرها حمولات زائدة عمّا هو مقرر.

وتأخرنا عشرين دقيقة أخرى بسبب الجمل «بيغ» كان قد أُحكم وثاقه، ولما نهض تأرجحت حمولته مرتين حتى أعدنا ربطها جيداً مرة أخرى. ولسوء الحظ لم أجلب معي مشرفاً على العمال؛ لذلك كان عليَّ أن أقود الركب بنفسي، فقد كان واضحاً الآن أننا فقدنا وقتاً ثميناً من رحلتنا وكان لابد أن أحدد لكل واحد من الرجال حمولة جمله مع إفهامه أن يقوم بمهمة التحميل بنفسه وعليه أن يتحمل مسئولية ذلك.

الوصول إلى جابريج:

في رحلة هذا اليوم توجهنا إلى نهر (جابريج) الذي يبعد عشرون ميلاً من هنا. بدأنا بعبور حزام الأشجار الخصب على ضفاف نهر (جغين) وبعدها مررنا على تلال رملية على مقربة منها أكوام تغطيها شجيرات قصيرة، بعدها تراءت لنا عن بُعد أشجار النخيل في (جابريج).

تقدمنا الركب أنا و«صالح»، وكان أمراً مدهشاً أن نرى قطيعين من الجمال تهيجت لها جمالنا وكأنها في معركة، وكنا في خطر أشد بعد أن دخلنا حزاماً من الأشجار، إذ وجدنا صعوبة في تحاشي هذه الجمال الهائجة، وبينما كنا نعبر تلاً رملياً آخراً فوجئنا بزمجرة هائلة وغير عادية، وسرعان ما كان أمامنا جمالاً ضخمة جعلتنا نتقهقر بسرعةٍ وبشدة مدركين من صوتها فقط بأن هذه إبل وليست خيول قوية كما بدا ذلك من وقع أخفافها.

وفي طريقنا مررنا بنموذجٍ جميلٍ لمقبرة على ربوة من حصى وأحجار بها أربعة عشر أو خمسة عشر حوشاً مستطيلاً مبنية من الطوب المجفّف - ارتفاع حوائطها حوالي ٤ أقدام ويعلوها من جوانبها شكل مثلث ناحية كل ركن، وهذه هي مقابر عليّة القومِ التي يغطونها بالأحجار البيضاء والقرمزية

والخضراء، وفي الخارج وعلى جوانب هذه الأحراش توجد رقعة أخرى لمقابر الفقراء وتُغطى أيضاً مقابرهم بالأحجار الملونة، ويزين حائط المقابر مثلثات متشابكة تبدو وكأن لا نهاية لها، على شكل «W»، ومدخلها الوحيد فتحة لا يمكن الدخول منها إلا وأنت توطأ على يديك وقدميك[٢١].

(جابريج) هي مركز حكم «عبد النبي» ومنها يدير المنطقة من الشرق إلى الغرب من حدود نهر (جغين) شرقاً إلى حدود نهر (سذيج) ومن الشمال إلى الجنوب فحدودها الجبال حتى البحر.

والصيد جد ممتع خلف (جابريج) وعليه فقد أرسلت من يبلِّغ «راهي» ليصاحبني في صبيحة اليوم التالي؛ لأنه سبق أن خرج معي في رحلة صيد ممتعة على جبال (قيكن)[٢٢] التي تبعد حوالي ٧٠ ميلاً غرباً من هنا، وتجولت في الغابة لاصطياد طير الحجل وبقيت لوحدي دون أي أثر لـ «راهي» وهكذا قفلت راجعاً في الظهيرة، وذهبت إلى القرية لكي أتفق معه على اللقاء غداً.

كان «راهي» عبداً لـ الأمير «عبد النبي» ويعيش في إحدى المنازل الستة أو السبعة التي تملكها عائلة «عبد النبي» بجوار مزرعة للقطن، ووجدته مريضاً من حُمى الملاريا التي لازمته إثنى عشر يوماً. وبما أنني كنت متعباً

(٢١) هذه المقبرة الميرانية، وفيها قبر الأمير «دغار» الذي استشهد أثناء معاركه العديدة مع الملك دوستين والملك محمد في القرن السابع عشر ـ وفيها وضع حدود إمارته في منطقة «مليكوني جيذاك» وهي حدود حكومة الملوك. ودُفن بها أيضاً عددٌ كبيرٌ من أفراد هذه الأسرة وعائلاتهم، وفيها كذلك قبر الشيخ جمال الدين وأبنائه من علماء الدين والأئمة وهم أخوال بنو آل دغار.
LT. C.M. Mac Gregor. P.214

(٢٢) قيكن أو جيجن: قرية تبعد ٢٠ ميلاً غرب (جاشك) يسكن بها قبائل (الشيهانيين).

أيضاً رأينا أن تكون رحلة صيدنا قصيرة بقدر الإمكان، وغادرنا نحو جبال (غوراني) التي تقع على بعد ٨ أميال من المخيَّم. وزاد اضطرابنا عندما فوجئنا بحوالي ٧٠٠ ناقة تجري بقوة وأصبح جملي في وسطها يركض بكل قوته، وكان الوادي مليئاً بالبعوض مما جعل (تيس الجبل) الذي كنا نتعقّبه لنصطاده يترك المنطقة ويهرب ليرعى على مشارف التلال المحيطة. بعد ثلاث ساعات وجدنا مجموعة أخرى من قطعان (تيس الجبل) على حافة الشجيرات المحيطة، وحاولت التصويب عليها ولكنني وجدت مجموعة أخرى مؤلفة من خمسة وعول تبيَّن أننا قد رأيناها من قبل، فصوبت عليها لأخطئ في البداية، وبعدها أصبت وعلاً ذكراً ذا قرن بطول ٦ بوصات، بدت فرحة الانتصار لدى «راهي» عظيمة وهو ينظر إلى «جلال» الذي ما فتيء ساخراً من الصيادين المبتدئين أمثال «راهي»، ولكن عندما اصطدنا هذا الوعل، سكت ولم ينبس ببنت شفة.

وعند غروب الشمس رجعنا ثانيةً إلى المعسكر الذي أبلغت الرجال أن ينقلوه إلى (سذيج)[٢٣] وجعلت شاباً يُدعى «غلام شاه» مسئولاً عن المعسكر وعن الأواني، والدقيق، وصفيحة الزيت والكاكاو والحليب. وبعد أن شربنا الكاكاو بدأنا نتناقش حول إمكانية بقائنا إلى الغد، وبدا القمر مكتملاً في تلك الليلة، فقررنا التحرك. كان «غلام شاه» يملك جملاً لاستعماله الشخصي مع حقيبة السرج، كذلك كان لـ«جلال» حماره ولي أيضاً جملي. وهكذا قمنا بعبور النهر، الذي كان عرضه ٦٠ ياردة وكان موحلاً، وبعدها مشينا بإجهاد عبر التلال الرملية، وودَّعنا «راهي» هناك.

(٢٣) سذيج أو سديج: بلدة تقع على وادي أو نهر سذيج، أهلها من قبائل البلوش والشيه وأبناء (سمّا) و«نودبنده» وبين (غابريج) و(سذيج) تقع عدة بلدات منها (كروج) و(تنك ليري)، ومجموعة أخرى تقطنها قبائل الهوت المتحالفة مع أمراء آل دغار وآل محمد.. وقد خاضوا أغلب المعارك القبلية والخارجية معهم خاصة مع الأمير «عبد النبي» والأمير «بركت»، وفي زمن ثورة «ميرزا بن بركت».

مسافة هذه المرحلة كانت ٢٠ ميلاً، وبعد حوالي ثلثيها ترجل العجوز «جلال» وتوجّه ناحية تلة رملية قريبة واعداً إيانا أن يقابلنا صباحاً في المخيّم بـ (سذيج).

في حوالي الساعة الثانية صباحاً وصلنا إلى مخيَّمنا ووجدتُ كما توقعتُ الجميع نائمون، ولم تُنصب أية خيمة. أيقظتُ الرجال وقمنا بتثبيت الأوتاد وبعدها نصبنا الخيمة. وآويت إلى فراشي وكانت الرياح قد بدأت تهب بشدة وأصبحت الأرض موحلة إلا أنّ خيمتنا صمدت أمام كل ذلك.

في حوالي الساعة التاسعة صباحاً استيقظنا على صوت عاصفة قوية وأمطار غزيرة، وبدأ الرجال في حالة من الاضطراب، ولكن كان عليهم أن ينتظروا حتى تهدأ العاصفة. وعندما هدأت العاصفة قمنا بحل الخيام ووضعناها تحت أشعة الشمس لتجف، بعدها أرسلت الرجال لقطع أربعة قوائم من الأشجار والتي تبين أنها أفادتنا كثيراً فيما بعد.



أصبح نهر (سذيج) الذي كنا نعسكر على

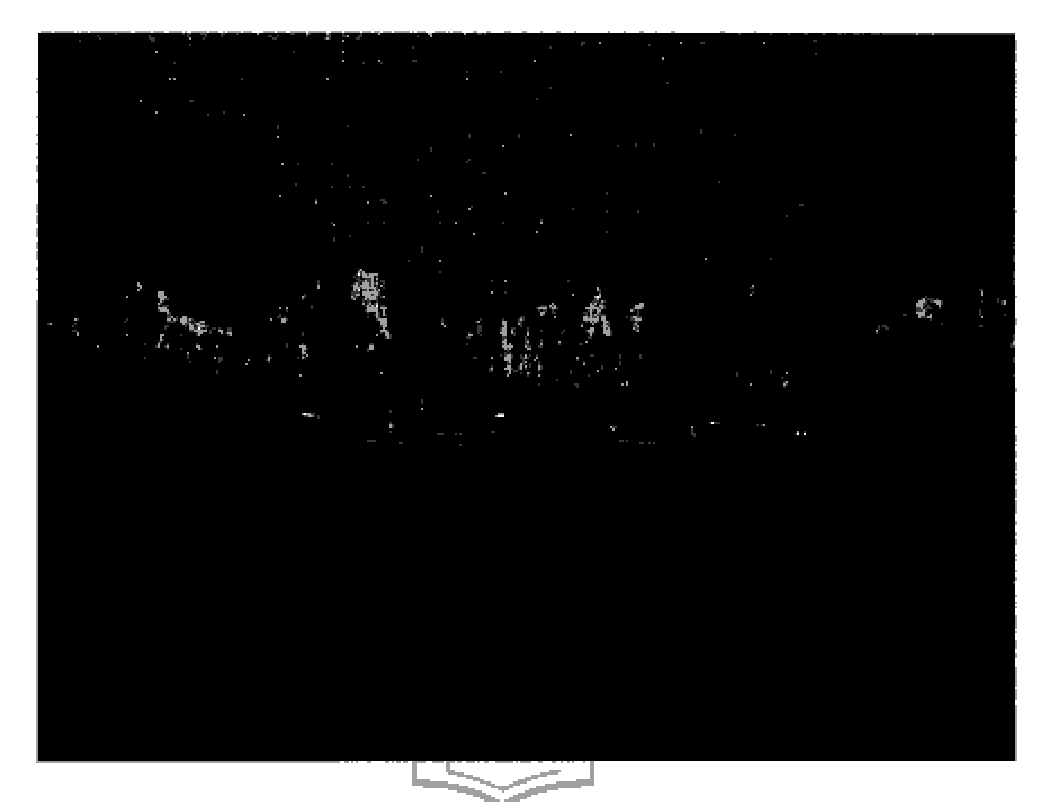
أحد ضفافه موحلاً نتيجة لهذه الأمطار، وهنأنا أنفسنا على أن سيرنا ليلاً قد أنقذنا من البقاء على الجانب الآخر من نهر (جابريج) وبينما كان معسكرنا في (سذيج). انقضى هذا اليوم في تجفيف كل أغراضنا. حينها بدأتُ البحث من غير جدوى عن خنزير بري قيل أنه يزمجر غضباً ويحوم في منطقة ما حول معسكرنا، بينما انصرف الرجال لشراء نعجة وطيور وسمن.

أما اليوم التالي فكان جميلاً والنهر ـ بلا شك ـ لا يمكن عبوره، ولكن تجربتي وخبرتي في (جغين) جعلتني لا أبالي بالأمر كثيراً، وأخذتُ على عاتقي العبور مهما كان الثمن؛ لأنه بالنسبة لي لا يمكن أن أكون مثل بعض أولئك الرجال الذين جلسوا على الضفة الأخرى من النهر في انتظار انخفاض المنسوب، وهكذا أرسلت رجالي حاملين قوائم الأشجار ليتحسسوا بها القاع الرملي لمعرفة الأماكن الضحلة، ثم بدأنا بالعبور، وبدا جمل «تاجو» الفقير تعباً جداً نتيجة الحمولة الزائدة عليه من معدات الطبخ، وكاد أن يأخذه السيل لولا أن تداركنا الأمر فرفعناه وأنزلنا بعضاً من المتاع عنه وحملناها، حتى وصلنا إلى الضفة الأخرى من النهر.

الوصول إلى سوراك:

إن رحلتنا هذا اليوم إلى (سوراك)[٢٤] كانت لحسن حظنا قصيرة، حوالي ٥ أميال فقط، وكان الطريق موحلاً وزلقاً، فسلكنا أنا وصالح طريقاً

(٢٤) سوراك أو سورق: تبعد حوالي ٨ كم من سذيج، وهي مشهورة ومشؤومة كما قالوا لأنها كانت المعركة الأخيرة التي أودت بأغلب عائلة الأمير «مراد بن مصطفى آل دغار» سواء من النساء والأطفال ـ كانت مجزرة إرتكبتها القوات العسكرية البهلوية، لرضا شاه ولم ينج من أبنائه سوى «عبد الرحمن» و«حسين»، وأصيب الأمير «مراد» إصابات بالغة، فقد نظره خلالها ـ وبعدها ظل في (بنت) لفترة ثم حوصر في (بكدار) وأُعدم لاحقاً بتهمة التصدي للقوات الحكومية لرضا شاه بهلوي.



مختصرة نحو الجنوب ووجدنا ٢٠٠ فداناً من الأراضي المزروعة بالقمح والقطن، وكان الرجال الذين يحرثون الأرض من طبقة العبيد.

كانت (سوراك) أجمل منطقة خيّمنا فيها حتى الآن واتخذت لنفسي مجلساً في الخلاء هذا المساء، وأمامي شجرة كبيرة تحترق. عموماً، خابت آمالي في مقابلة أصدقائي الذين كنت أتوقع أن ألتقي بهم في نهاية هذه المرحلة من رحلتي قبل أن أتوجّه شمالاً إلى (بنت).

في اليوم التالي، كنا في (كاشي) التي تقع على بعد ١٦ ميلاً عبر سلسلة جبال صعبة دون وجود طريق سالك فيها، ووجدنا خلال سيرنا مجرىً مائياً جافاً، الذي اتضح أنه يؤدي إلى طريق سالك، فأخذنا نمشي فيه ونسحب وراءنا الجمال بكل حماس، آملين أن تجد دوابنا طريقاً سالكاً أكبر، ثم انتهت متاعبنا حين عبرنا المنطقة الجبلية تماماً بعد ٣ أميال تقريباً.

وفي كل شيئ أيضاً لم يسعفنا الحظ في مقابلة أولئك الأصدقاء، وبما

أن الرياح في صبيحة اليوم الثاني كانت باردة مما أجبرنا على حمل أمتعتنا وتوجهنا شمالاً نحو منطقة «كروان» التي تغطيها السهوب والسهول المتقاطعة مع جداول المياه المغطاة بالأعشاب والشجيرات الصغيرة، والتي انتشرت أعشاب الزعتر حولها مما أكسب الجو رائحة طيبة.

التحرك ناحية كروان(٢٥):

وفي (كاشي)(٢٦) حصلنا على مرشد مُرافق، ولكنه لسوء الحظ كان رجلاً كبيراً في السن، ذو لحية وهرقلي الأكتاف، وكان له ثلاثة حمير يمتطيها واحداً يلو الآخر، وكان شخصاً طيباً ولكنه لا يعرف شيئاً عن خط سيرنا. عبرنا وادي (كاشي) الصغير وظهرت أمامنا سلسلة من البرك الموحلة، فسرنا بمحاذاة منطقة كبيرة منخفضة، فيها حجارة ملحية مغطاة بطبقة من الحجارة الرملية. بعدها تركنا هذه المنطقة على الجهة اليمنى ومررنا على شواطئ حصوية على امتداد (٤ إلى ٥) أميال، وفي الظهيرة وصلنا إلى (ناليج) حيث توجد بعض المرتفعات تسمى (الشور) وتقع على حافة حزام من أشجار الغابات، وهنا كنا قد دخلنا إلى منطقة (كروان).

سوف أذكر في حديثي في مرات لاحقة هذه التلال المتكونة من الطمي والطين وسأقوم بوصفها بإيجاز. يسميها السكان المحليون (شور) وهي

---

(٢٥) هي مجموعة من البلدان أو تجمع من المناطق الزراعية تبعد حوالي ١٥ كم من البحر على ضفة نهر أو وادي «ريج»، وأهم هذه البلدان كَنجاك، تماو، هيان، كاركندر، تمبلان .. وهي تتبع لإدارة (الشيرانيين) في (بنت)، ولهم قصة مشهورة مع القوات البريطانية في حادثة مقتل جريفز الذي قُتل على أيدي قبائل هذه المنطقة ــ مما أدى إلى تحرك القوات الإنجليزية ومعها (بيرسوبوليس) البارجة الفارسية لهذه المنطقة وذلك سنة ١٨٨٩.

(٢٦) كاشي: هي بلدة تقع في بداية الطريق إلى (بنت) ولكن لا يستخدمها الأهالي وإنما يذهبون إلى (كروان) ثم ينطلقون منها إلى (بنت).

تلال عالية ذات حواف حادة متساوية، ولها سطح عالٍ دائري، ذات تقاطعات من قوائم وعروق جبسية بسماكة (٥ أو ٦) بوصات، موجودة في أسفل الجبال بالمنطقة، ولا ينمو أي شيء عليها.

لقد استغل الرجل المسن «جلال» ضيافة وكرم السكان المحليّين، فأخذ يزيد ويثقل في الطلبات منهم، وأتى بي إليهم عندما توقفت لإنزال أمتعتنا وفي طريقنا لاحظ بعضاً من الماعز المشاكسة تسلك طريقاً خاطئة فركض «جلال» خلفها لسحبها وقام بحلبها، ثم قام بشراء خروف صغير لنا من الأهالي، وهذا الشيء شائع هنا.

تركنا (ناليج) متجهين غرباً بعد أن عبرنا نهر (كروان) من أربع أماكن مختلفة ووصلنا إلى تلال (جودار) المكان الذي يوجد فيه الآن مجموعات كبيرة من الأشجار وأعشاب القش التي تُستخدم لأغراض مختلفة مثل عمل الأحذية، وتدخل ضمن مواد البناء وتُستعمل كوقود للنار ولها استخدامات أخرى تماماً مثل استخدام البلّوط في انجلترا.

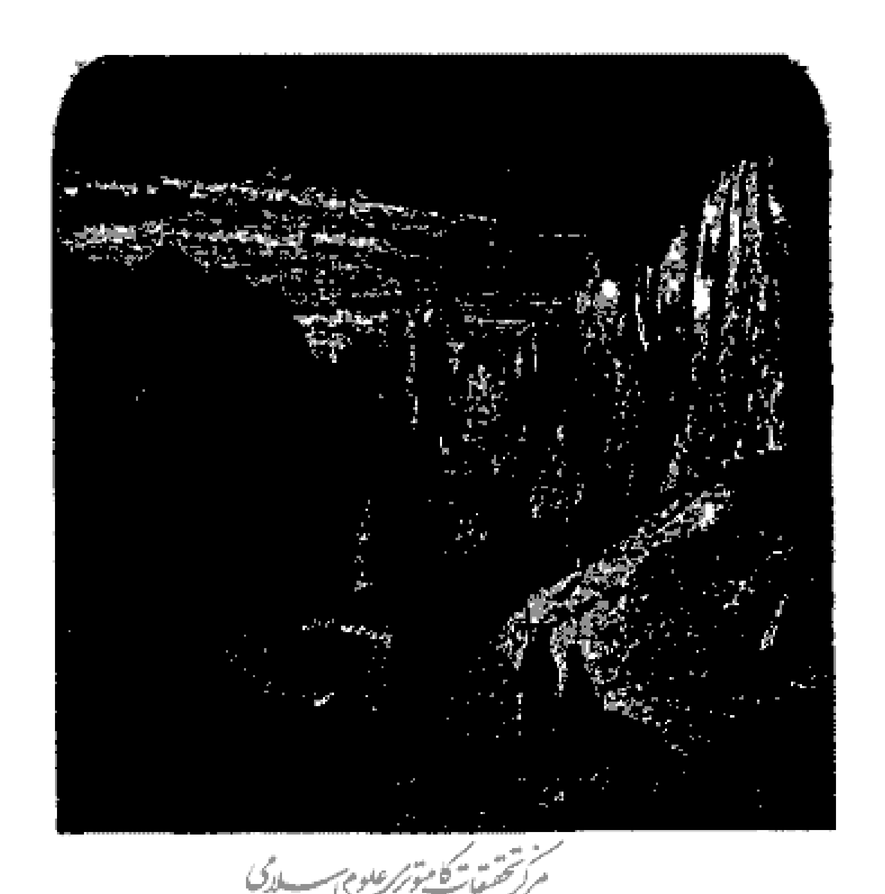
إن شجر القش واسمه العلمي «جاماروبس ريتشيانا» ذو أوراق كبيرة، وتنمو مجموعات هذه الأشجار في قاع النهر الذي يجري في الأرض المالحة، وجذور هذه الأشجار سميكة سوداء تتكون من ألياف وجذور تمتد إلى (١٢ أو ١٥) قدماً تحت الأرض، تتعرج منها فروع ترتفع حوالي ٩ أقدام، وطول فروعها يصل إلى ٤ أقدام في بعض الأحيان، وأشجار القش تموت عندما تكبر ولكنها تُثمر، والثمرة تسمى (كونار) وهي بيضاء وتؤكل كالتمر. وبعض أشجار القش تنتج مادة كالوبر تُنقع مع محلول آخر وتُجفف وتُلف بعد ذلك وتُصنع منها الحصائر، وهي متينة وطويلة الأمد، وتُسقف بها الأكواخ فتكون مانعاً ضد المياه. وتُحمل أوراق القش عادة من أعالي الجبال إلى السهول. ويوجد في قاع نهر (كروان) غابة من أشجار القش، هذه الغابة تزيد من جمال النهر. كان الليل رائعاً، فخيَّمنا في

(بوجندي) وهذا الاسم يعني (قلب شجر القش).

في صباح اليوم التالي عارض «مهراب» مرشدنا الحمولة التي على جمله، ولحسن حظنا مرَّ بنا في تلك الأثناء شخصٌ يمتطي جملاً متجهاً إلى (بنت). فصحبناه ومشينا معه لمدة ساعتين لنصل إلى هضبة صخرية قاحلة؛ حيث وجدنا فيها ثلاث غزلان قريبة، وقد عكَّرنا على هذه الغزلان صفوها لتواجدها على طريق رحلتنا. وبعد مسافة ميل واحد تحت هذه الجبال اتبعنا طريقاً آخراً واتجهنا نحو الغرب قليلاً، إلا أن بلغنا نهر (تنك) وهي تعني الممّر. وهناك أيضاً ٣ أنهار تحمل نفس الاسم وتبعد حوالي ٢٠ ميلاً عن بعضها البعض. نهر (تنك) صخري الجوانب والقاع، والمكان الذي نحن فيه الآن يقع على الجبال وأمامنا ١٠٠ ميلاً من الأراضي والسهول التي تمتد شمالاً لتصل إلى مقاطعة (لاشار).

لقد تابعنا مجرى نهر (تنك) لمسافة ميل واحد، وكان عرضه حوالي ٤٠٠ ياردة، وارتفاع الجبال على كل جانب تتراوح ما بين ٥٠ إلى ٣٠٠ قدم. في هذا المكان التقينا برجلين يمتطيان جملين محملين بالقش، لقد أخذ رجالي التحدث معهما لأكثر من ربع ساعة، فأمرتهم أن يجلسوا ويتحدثوا بشرط أن يكون هناك شخص مسئول عن الجمال ويبقى معها. كانت الأخبار تفيد أن الأمير «حاجي»[٢٧] حاكم (بنت) قد قتل شقيق «همّام شاه» وهو أكثر رجل معروف في (سوراك)، وأن ركباً مكوناً من ثلاثين رجلاً قد سبقونا متوجهين إلى (قصر قند) لرفع شكوى، ضد الأمير

(٢٧) هو الأمير «حاجي بن أحمد بن الرئيس سليمان»، وكان حاكماً لإمارة بنت واستلمها بعده أبناؤه والمعروف منهم الأمير «إسلام»، ولكن حصلت مقتلة كبيرة بينهم انتهت بقتله، وتحول حكم الإمارة إلى أبنائه، وحصل تقاتل شديد بين الأخوه قُتل منهم «أيوب» وتحول الحكم بعدها إلى «نجدي» وبعدها لابنه «علي» وأبنائه.

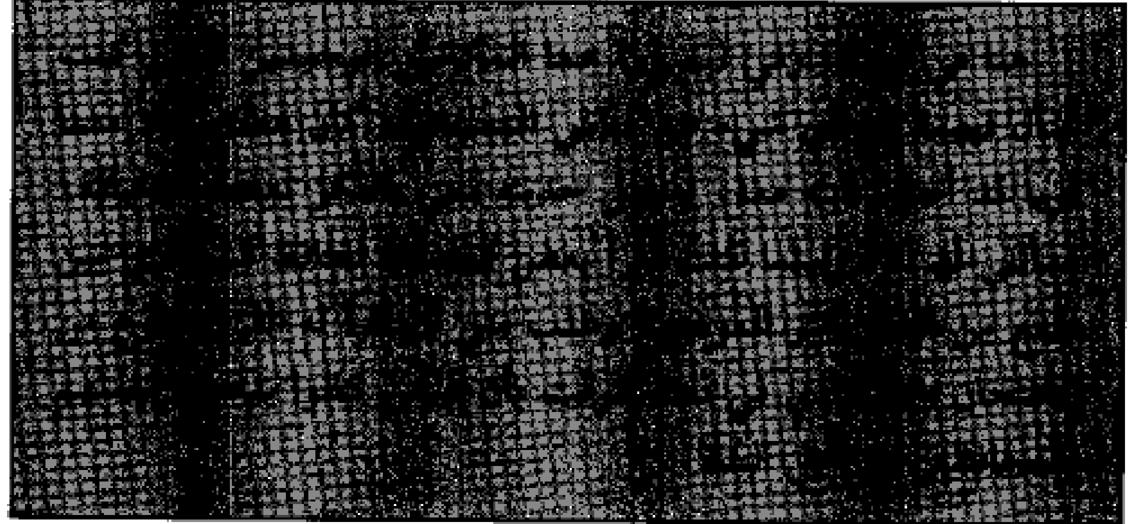


«حاجي» أمام «حسين خان» ـ حاكم قصر قند ـ والمطالبة بالديّة. وتدخّلت هنا قائلاً بأن ما رأيته في الطريق الذي سلكناه آثار جملين وحمار واحد، وتساءلت عن العدد الحقيقي للمجموعة التي سبقتنا، وصاح الشخص مباشرة أنهم كانوا ٣٥ شخصاً ـ وسكتُ قبل أن أعيد طرح السؤال حتى لا يصل العدد إلى مجموع جيش كامل، ويبدو أن الأمر يتعلق بقضية أرملة ثرية.

نحن الآن نقصد (شهران كوه) أو الجبال القرمزية الناعمة، بألوانها الحادة. الآن تركنا (تنك) واتجهنا إلى اليمين نحو جدول ماء (شهراني)، وسرنا حوالي ميلاً واحداً أعلى المنحدر، واجتزنا منحدراً شاهقاً شديد الإنحدار إلى الجانب الآخر من نهر (غاري). وتابعنا ذلك لفترة قصيرة نحو جدول (ديرائي) ولمرة ثانية اجتزنا منحدراً آخراً حتى وصلنا إلى نهر (سرتابي) أو (النهر البارد) فخيّمنا هنا عند غروب الشمس.

الجزء الثاني






مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أعتقد أن وصف أحوال المسافرين على الجمال سيكون مفيداً لغير المطلعين على هذه الأمور، ففي هذه الليلة كانت الشمس قد بدأت تغرب ونحن كنا لا نزال نتابع مسيرنا؛ لأننا لم نجد مكاناً نستطيع أن نخيّم فيه وكانت هذه الأماكن المناسبة للتخييم تصادفنا لمرة واحدة تقريباً كل ستة أميال في طريقنا. كان «حبيب»[1] وهو المرشد الذي أعطيناه أجره كاملاً ومقدماً أصبح يقسم بالله أننا لن نجد مكاناً مناسباً للتخييم، وكلما عبرنا مسافة تقارب عشرة أميال كان يزداد قلقه ويؤكد لنا أننا لن نصادف مكاناً آخراً حتى منتصف الليل. وكان الرجال يؤيدونه بشدة مع أنهم لا يعرفون عن الطريق شيئاً، وهكذا تدخلت في الموضوع مضطراً وقرّرتُ أن أرفض التوقف من الآن في أي مكان حتى الساعة الرابعة بعد الظهر. أما في هذه الليلة فكانت الجمال مجهدة جداً وهي تمشي بين الجبال القاحلة في ظلام حالك، وكنت أضحك على الرجال لأنهم تقبلوا أسلوبي تجاههم مع أنهم يعرفون طبيعة المنطقة أفضل مني ولكنهم امتنعوا عن التعليق على

---

(١) كان واحداً من المرشدين المحليين الذين كان يستعين بهم «فلوير» عندما يمر من منطقة إلى الأخرى.

تعليماتي. وعلى أية حال لم يحدث شيء خطير في هذه الليلة نتيجة تأخرنا عن التخييم وكنتُ أعرف هذا، وهكذا حملت المسؤولية على عاتقي ورفضت التوقف تحت تلال (سيهراني) وكان الرجال قد تأخروا بسبب جدالهم الشديد حول إنزال الأمتعة، وتقدمت الركب ومعي «صالح» محاولين إيجاد أرضاً منبسطة على وادي (سرتابي) وظهر لنا هذا المكان بوضوح في الظلام الدامس، وبعد ذلك وجدنا الماء ووجدنا كومة من الأخشاب ملقية هناك أيضاً. وبعدها ترجلنا وجلسنا بالقرب من أشجار (السمر)[٢] وبدأ «صالح» بعمل الشاي، وقام «غلام» بربط الأرجل الخلفية للجمال، وانتزع اللجام منها، وبعد قليل رأينا «جلالاً» قادماً من على بُعد جاراً حماره من خلفه بقوةٍ وهو يشتم دليلنا في هذه الرحلة على المصاعب التي كبَّدها لنا وابتهجت أساريره فجأة عندما علم أننا نود أن نخيِّم هنا، وقال بلهجةٍ متسارعة: «نعم يا صاحب، إنه مكان ممتاز، به الماء، وخشب للنار، وعلف للحيوانات». وفي خلال دقيقتين قام بربط حماره في شجرة صغيرة وقدَّم له بعض الحشائش والتمر، ثم قال: «خيمتك هنا يا صاحب وهنا تكون خيمة الطباخين». وظل يلّح على «صالح» حتى أخذ منه النرجيلة من حقيبة السرج، مع قليل من التبغ، والبلوش يموتون في سبيل التدخين خاصة إذا كانوا مجهدين، فما بالك بـ«جلال» الذي أصبح كبيراً في السن ويظهر عليه التعب بسرعة.

بعدها سمعنا هرجاً ومرجاً من الرجال وهم يسوقون الجمال أمامهم خاصة الجمل العجوز «إبليس» الذي كان يتقدَّم بخطوات سريعة من صناديق الطباخين الثقيلة معلناً عن وصوله بزمجرة عالية ليؤكد لنا أنه برغم كل هذه

(٢) أشجار (السمر): هي أشجار منتشرة بكثرة في منطقتنا بعمان والإمارات وهي ذات أشواك كثيرة وهي مختلفة عن شجر «الغاف».

الأحداث فهو غير مُتعب.

«الحمد لله» كانت تُسمع من الكل بعد أن وصلوا المخيَّم ثم بدأوا بعد لحظات يسألون عن خيمة الطباخ.. «أين الخيمة؟ هل هناك علف للحيوانات؟» .. ثم يردون على أنفسهم قائلين: «لابد أن يكون العلف موجوداً .. إننا نثق بقدرة «الصاحب» على توفير ذلك»، وفي خلال ٦ إلى ٧ دقائق كانت جميع الجمال مفرَّغة من حمولتها ورُبطت أرجلها ثم جلس الرجال لأكل التمر ومشاركة «صالح» في تدخين النرجيلة، وأثناء ذلك ناقشوا مع «حبيب» احتمالات وجود شجيرات سامة حول المنطقة. وفجأة نهض «عبد الله» ليتسائل: ما إذا كانت خيمة «الصاحب قد نُصبت أم لا»؟ وعندما سمع بجوابي «لا» هبّ الرجال للعمل فوراً. اثنان أخذا العصا ليرفعا عليها قرب الماء وذهبا إلى النهر لجلب الماء، كذلك كان على اثنين آخرين أن يشعلا النار. وأخذ «عبد الله» في تجهيز قدر من الأرز، أما الطباخ الذي بدا بلا عمل فقد بدأ يتشاجر معهما، خاصة مع «جلال» الذي رفض اعطاءه الكميات الكافية من الأكل للطبخ، وقام الرجال الأربعة بعد ذلك بأخذ أكياس من ملاءاتهم لجمع الأعشاب والقش. كانت ليلة سعيدة وجميلة بحق، وبدأتُ بالتجول والتنزه حول خيمتي. وفي وقت انتهاء تجهيز طعام العشاء، حضر جميع الرجال وبدأوا في أخذ وجبتهم من الأرز مع نوع من السمك ذو رائحة الغير طيبة. ثم جلست على كرسي صغير بجانب النار، وقام «غلام شاه» بتجهيز الأسْرة وغطاها بالملاءات؛ لأن الرطوبة كانت مرتفعة. بعد ذلك أحضر الرجال جمالهم وحلوا عقالها وجاءوا لمساعدة صالح في جمع الأعشاب للجمال وكانوا سعداء؛ لأنه لم تكن أية أعشاب سامة منتشرة في المنطقة، وعندما عادوا إلى المخيم بدا «حبيب» وكأنه منهمك مع جماله وهو يقول لهم «ألم أقل لكم لا توجد أعشاب سامة .. ألم أقل لكم ذلك».



بركت جميع الجمال على الأرض موجهة رأسها نحو النار، إنه لمنظر جميل ويروق للعين. كانت النار متوهجة ووجوه الرجال مفعمة بالحيوية، وهم يتحدثون عن الجمال والكران (أي قيمتها) وهي المواضيع الوحيدة التي يستمتع البلوش في التحدث عنها، وكان كل رجل يمسك بحبل جمله بيده وباليد الأخرى يرفع رأس الجمل لمساعدته في تناول الطعام ومضغه.

ولكي نتمكن من النهوض في الصباح الباكر، قررنا عدم نصب الخيمة والنوم بجانب النهر، وما كدنا نبدأ حتى بدأ رذاذ المطر بالنزول في حوالي التاسعة ليلاً. فوراً غيَّرنا أماكننا إلى أسفل الجبل ولففت نفسي بمعطفي الواقي من المطر وغفوت تماماً. ولكن إذا تساقط علينا المطر مرة أخرى وجب تغيير هذا المكان أيضاً؛ لأنه مع سقوط الأمطار الكثيرة فإن احتمال سيران الوادي كبير وقد يجرفنا فجأة معه أثناء نومنا[٣].

(٣) هذا صحيح تماماً ــ فهذه الوديان مختلفة عن ودياننا في الإمارات وعُمان بأنها أسرع ومفاجأة أكثر، ولها منطقة عريضة في مجرى مياهها نظراً لأن الأرض طينية وليست صخرية.

في صباح اليوم الثاني وبعد أن تناولنا الإفطار، بدأ الرجال بتحميل الجمال، وفجأة ظهر أحد البلوش يمتطي حصانه يتبعه من خلفه عبده الذي كان ممتطياً حصاناً أيضاً. نزل هذا الشخص من فوق حصانه وتقدم إلينا للسلام والتحية، ولكن لم تكن لديه أسنان أمامية، مما جعل كلامه غير واضحاً، وبدا ممن لهم علاقة بالقضية التي ذكرناها سابقاً، وكان متوجهاً إلى (بنت) حيث المكان الذي التقينا فيه فيما بعد مع «كريم داد»، وهذا اسم له شهرة واسعة في معرفة جميع الطرق الجبلية، ثم سألنا عن بُهارات تسمى (مساله). وقد كان منظراً مسلياً أن أرى وجه الطبّاخ الذي تجاهل طلب «كريم داد» واعتبره هجوماً على ممتلكاته الخاصة. إن بُهارات (الكاري) وهذه تُصنع في (بنجغور) و(ميناب) ومناطق أخرى صغيرة، أما التي تُصنع في (بندر عباس) فإنها ليست طيبة، وقد تكون على الأرجح مستوردة من (بومباي). ويقوم البلوش أيضاً بعمل بُهارات (الكاري) ذات الرائحة القوية مستخدمين أنواعاً من الأعشاب والأشجار المتوفرة لديهم مثل شجرة (الترات).

في صباح اليوم التالي (الذي كان يوافق الثامن عشر من يناير) تبعنا مجرى نهر (سرتابي) لمدة نصف ساعة بين الجبال نعلو ونهبط على الهضاب الحصوية بارتفاع ٨٠٠ قدماً حتى ظهرت أمامنا (جوركوه) كما كانت مبيّنة في الرسم التخطيطي الذي رسمه الملازم «ستيفي» على ارتفاع ٦,٤٠٠ قدماً. ومن هنا ينبع نهر (غاوريق) وإلى يميننا تقريباً تقع جبال (ليجاندي) و(شاريكي) وهي حدود طبيعية تفصلنا عن مسارنا السابق. بعد حوالي ٢,٥ ميل حوّلنا مسارنا لنهاية جبال (ليجاندي)، وشاهدنا سد (شاريكي). كانت هذه السلسلة الجبلية المرتفعة إلى ١,٦٠٠ قدم تثير الانتباه؛ لأنها صعبة الاجتياز باستثناء أماكن معينة وقليلة، ونهر (شاريكي) الذي يفصل السلسلتين يحتوي على قليلٍ من الماء وهو غير عذب،

وشاهدنا هناك قطعان من الأغنام ترعى على التلال التي يكثر بها نبات (الترات).

بعد ٨ أميال من (ليجاندي) مررنا بين نهاية جبال (شاريكي) وهضبة ذات نتوءات حادة، وعلى بعد من ناحية الشمال كانت تظهر القمم الزرقاء لجبال (هاشينجان). وفي نهاية سلسلة جبال (شاريكي) ظهرت لنا تلة صغيرة كان شكلها مثل القلعة القديمة. على طول رحلتنا هذه كنا نصعد تدريجياً عبر سهل مرتفع وعندما عبرنا الممر العريض في الجبل، كنا أمام منظر بديع هو الوحيد الذي تمتعنا به منذ وصولنا لهذه السلسلة من الجبال. كان منظر الجبال والسماء حولنا في كل مكان على مدّ البصر بجميع ألوانها البُني والأزرق والسماوي، هنا سأذكر قصة كلبي «توبي» الذي تسبب في مشكلة كبيرة لنا تستحق السرد.

كان من عادة «توبي» أن يمتطي الجمل مع الطباخ، أما في هذا اليوم فقد سمحنا له أن يركض على أرجله الصغيرة، وبينما كنت أسير مجهداً في مقدمة القافلة سمعت الرجال ينادونني ويبلغونني أن «توبي» قد أخاف جمل أحد الرجال والتي على أثرها وقع راكبها على الأرض بشكل قاس. وقد تضايقت لدى سماعي بذلك؛ لأنه دون شك من الخطأ السفر مع كلب أليف في بلد إسلامي كهذا، وانطلقت راجعاً نصف ميل إلى الخلف لأتحرى الأمر.

وما أن وصلتُ إلى هناك حتى سمعتُ حواراً غاضباً من قِبل شخصين بلوشيين ملتحيين ومعهما جمليهما اللذين كانا رائعي الشكل. وكان لكل من الرجلين أنف شامخ طويل وهو ما يتميز به وجه البلوشي دائماً. وكانا قد سمعا من «جنكي» أنني «سيد القافلة»، فتوجها إليّ بالحديث بصوتٍ عال وهما يشتكيان الكلب «توبي» وقال أحدهما إنه كاد أن يقطّعه بسيفه لولا أن تنبه أن للكلب صاحباً فتوقف عن ذلك ليرفع الأمر إليّ وقال:

«ماذا لك أن تقول في أمر كهذا»، كان صوته مرتفعاً وكان عليَّ أن أعالج الأمر بطريقة مختلفة؛ لأن هذين الشخصين من السادة الأشراف وهما من سلالة دينية ولهما احترامهما في هذه المنطقة أكثر من أية منطقة أخرى حتى في فارس مثل (يزد) مثلاً، حتى أنهم يعيشون هناك بكثرة(٤) - تشجعت وقلت له: «إنني أعتبر أي شخص لا يستطيع ركوب جمله أن يكون بلوشياً أصيلاً أو رجلاً متمكناً فما بالك أن يسقط من على الجمل بسبب كلب .. وأرى اختياري الجيد لهذه الجملة وضربي على الوتر الحساس الذي يتفاخر به الرجال سواء بأصولهم أو بهويتهم أو بطريقة ركوبهم جمالهم، فشجعني الرجال الذين معي لتحكمي بالموقف مع هذين السيدين. وأكملت قائلاً: «من خبرتي الطويلة مع البلوش فإنهم منذ الصغر إن لم يكونوا قد نشأوا على الأصول الصحيحة السليمة فإنهم عندما يكبرون يصبحون عاجزين تماماً.. وإن كانوا يريدون السفر مرة أخرى ولا يستطيعون ركوب الجمال فعليهم استخدام الحمير».

---

(٤) أغلب العائلات الدينية من البلوش هم من السادة أو الشيه، والسادة هم من الأشراف من السلالة الهاشمية وينقسمون إلى مجموعة قديمة استقرت مع الفتح الإسلامي وأخرى هاجرت في فترة الشاه «عباس الصفوي الذي قام بتحويل (فارس) إلى المذهب الشيعي فهاجرت عائلات كثيرة منهم إلى ساحل «مكران» وأخرى أتت لاحقاً في القرن التاسع عشر في الفترة القاجارية. والشيه أو عائلة «الشيخ» أو «الشيخ زاده» و«الشيه زادة» وتُخفف الخاء لدى أبناء القبائل هناك، فإن أغلبهم «قرشيين» أو عائلات عربية متدينة استقرت في (مكران) وبنت مدارساً للقرآن وأصبحوا يمتهنون مهنة القضاء والتعليم، وتحولت أضرحة كثير من هؤلاء إلى مزارات في فترة من الفترات ذكرها «لوريمر Loimer» مثل «الشيه عيسى» حوالي «غابريغ»، والمشهور منهم أبناء «الشيه جمال الدين» وهم كبار عائلة الشيه، وهم أخوال كل «الدغارانيين» ـ لأن والدة الأمير دغار هي إبنه الشيخ جمال الدين ـ وكذلك المشهور منهم هو «محمد بن جنكَي الشيهاني» وهو جد فرع آل محمد من الدغارانيين، وجد الأمير «محمد» والد الأمير «عبد النبي» وأخوته الآخرين.

لمزيد من التفاصيل عن «الشيه زادة» وأصولهم راجع كتاب الكولونيل

C.M. Mac Gregor - Baluchistan, central Asia, Part III, p.257.

المطبوعات الرسمية للحكومة البريطانية ، عام ١٨٧٥.

لقد أفحمت الرجل وأسكته، ومن ثم تقدم إليَّ وطلب مالاً لشراء دواء له، ولكنني رفضت ذلك بشدة، ولكنه تراجع إلى الوراء وطلب قليلاً من البودرة للعلاج، ونظرتُ إلى «غلام شاه» وأمرته أن يعطيه قارورة بأكملها وكان سعيداً بذلك. ثم قام هذين السيدين بدعوتي لزيارتهما في قريتهما وقضاء يوم أو يومين عندهما ثم افترقنا ونحن أصدقاء.

بعد (جامكي) بدأ خط سيرنا بالإنحدار البسيط، وكانت الأرض بيضاء وملحية وبها أشجار القش ومجموعة من الشجيرات الصغيرة، وبعد ٢,٥ ميل من (جامكي) ظهرت أودية جميلة تمتد حوالي ٥ إلى ٦ أميال منها وادٍ يسمى (غديج)، وكان في قاع الوادي طبقة من الطمي، كان عرض الوادي ميلاً واحداً، والجبال من الجانبين منزلقة وذات حواف مغطاة بالنباتات وأشجار (السمر)، وكان يجري بينها نهر أزرق قاتم هادئ بعرض ٦٠ ياردة وعمق قدمين، وكان معدل سرعته حوالي ٥ أميال في الساعة. ومن الجانب الأيمن من خط سيرنا كان هناك سدٌ رملي بارز مُغطى بطبقة من القشرة الأرضية وطمي أزرق يشبه الصخور. كل ذلك يجعل المكان جميلاً لنخيّم فيه حيث الماء، وعلف الحيوان، وخشب للوقود. هنا كانت الساعة قد تجاوزت الثانية، وحسب خبرتي السابقة مع مرشدنا «حبيب» الذي أكد لنا أننا لن نجد مكاناً أفضل من هذا المكان حتى منتصف الليل، فقد قررت متابعة السير مع محاولات «حبيب» المتكررة بعرقلة الأمر. وهكذا تابع الطريق الذي أرشدته إليه وتبيَّن أن اتجاهي هو الصحيح.

بعد أن عبرنا النهر اتجهنا إلى الشرق حوالي ٢ ميل عبر جداول منخفضة من الماء المالح، ومنها اتجهنا إلى الشمال على سهل صخري منبسط مكسو بطبقة زرقاء سمكها ٦ بوصات من الجبس، وكان يمكننا أن نرى من على بعد جبال (بندي نيلج) وبها الممر الذي يؤدي إلى «نانوج» ومنها كان يمكننا أن نذهب إلى (بشكرد)، بعد ذلك مررنا بجدول ماء

اسمه (شيرين كنداج) قيل إنه يصب في البحر بالقرب من (سوراك). وعندما تركنا (الأميروي كوه) على يسارنا وقطعنا سيراً مسافة ٣ أميال أخرى على أرض وعرة داخل وادي (هوردين) الأبيض اللون بسبب الملح وكانت النباتات البرية تنمو بكثرة، وسعف النخيل تصل أطوالها إلى ٧ أقدام.

في هذه المرحلة من رحلتنا وصلنا أرضاً وعرة وعبرنا جداول مليئة بمياه سوداء، ثم شققنا طريقنا إلى وادي (Pasgah) وكانت أمامنا صخوراً ملفتة للنظر أمكننا مشاهدتها من أعلى منحدر اسمه (كوناركانو) و(الـ Pasgah) له مجرى أعرض من (غديج) والتلال حوله أكثر انخفاضاً والنهر هنا يتشعب إلى ٣ قنوات كلها تمر خلال حشائش غزيرة وشجيرات قش صغيرة.

هنا في (Pasgah) تخيّم جميع القوافل التي تمر بين منطقة (بنت) وشاطئ البحر على خليج عُمان، وقد وجدنا قافلة في ذلك اليوم تمر من (بنت) تحمل حوالي ٩٠ صندوقاً من التمر لبيعها في (Sadeij) وفي القرى المتفرقة على الطريق التي ربما يجدون فيها مشترين لهذه الصناديق.

وهنا في (Pasgah) أيضاً أشجار (الجيش) والتي هي كالسّم للجمال. أما نباتات أو شجيرات الدلفى فهي مناسبة لجميع الحيوانات إلا الحمير. فالجمال، والماعز، والخراف ليس مصّرحاً لها بأكل الأعشاب، ولكن تُقدم لها أوراق العلف. وبعض الحيوانات الأخرى تأكل العشب الأخضر في أي مكان تراه.

صباح اليوم العشرين كان غائماً وقد قال لنا «حبيب» أن النهر قد امتلأ، وإذا هطلت الأمطار سنكون غير قادرين على اجتياز الوادي الذي كان عرضه عندما تركنا الخيمة حوالي نصف ميل وهناك تلال عريضة وحشائش كثيرة على الجانبين. بعد ميل ونصف دخلنا أرضاً فيها طبقة من القشرة الأرضية والطمي بسماكة حوالي ٦ بوصات بلون بني و ٤ بوصات حجارة رملية.

بعد فترة وجيزة عبرنا مقاطعة (كالكيا) ونحن نتابع مجرى جدولها لمسافة حوالي ميل واحد، إن سطح هذه الجبال التي كانت تحتوي على الجبس والطمي ورمال بنية اللون، دائماً تغطيها قشور بارزة من الحصى الرملي، وهذه القشرة تتكون عندما تزيل مياه المطر الطميّ ويبقى الحصى على سطح الجبال.

في هذا المكان تمكّنا من رؤية أول حيوان حيّ منذ دخولنا هذه الجبال، فقد كانت هناك أسراباً من العصافير الملونة تشبه عصفور (الدوري)، ولكن جسمها مستطيل ولونها بلون سلك معدني غطاه الصدأ. وعندما واصلنا سيرنا كان على يميننا جبالاً عالية، وعلى شمالنا كانت هناك أرض موحلة تغطيها طبقة من الطين سماكتها ٣ أقدام، وتمتد لمسافة قدرها إثنى عشر قدماً، وبعد ميل واحد وربع الميل وصلنا إلى وادي (Pasgah) وكان هناك جبلين ضخمين، واحداً على يميننا، والآخر على يسارنا. وقد بدا منظرهما بديعاً وهما مغطيان بصخور قرمزية اللون متداخلة فيها اللون الأخضر القاتم الذي تخترقه شبكة من الخطوط المتموّجة البيضاء.

لقد عبرنا نهر (Pasgah) الذي كان حجمه هنا أكبر بثلاث مرات مما هو عليه في مكان مخيّمنا، كذلك مررنا على طريق (بيرتاري) كانت فيه كومة كبيرة من الحصى التي كان يساهم فيها كل عابر بهذا الطريق، فبعض الرجال الذين يمتطون الجمال يحملون عصاهم فيحركون الحصى بها، والذين يمشون كانوا يأخذون الحصى ويقذفون بها ثانية على الأرض.

لقد أدهشني هذا التصرف في بداية الأمر، ولكن عندما سافرنا عبر المناطق المقدسة باتجاه (كربلاء) في العراق، وجدت أن ذلك كان بهدف الزيارات. وقد أخذتُ هذه التفسيرات على أنها صحيحة، وقد عرفت فيما بعد، أنه في الجزء الوعر على طريق (كربلاء) كانت أكوام الحصى كثيرة، وفوراً أدركت أن ذلك الحصى يجعل الطريق واضحاً. ولكن السكان ذكروا

لي أن الحاكم ألزم كل مؤمن بهذه الأماكن المقدسة أن يرمي حجراً واحداً على الأقل على كل كوم من الحصى؛ حتى يمكن الوصول بسهولة إلى الأماكن المقدسة.

إن هذه العادة قد امتدت إلى (بلوشستان) كما كان يؤكد ذلك البلوش الذين يمّرون عبر الجبال. إن كل كومة من الحصى تعني مكاناً أو قبراً لبعض الأولياء(٥).

وعندما اتجهت قافلتنا إلى (بلوشستان) قمت بعمل كومة من الحجارة على جانب من المنطقة، وعندما اقترب الرجال منها كانوا يتباهون برمي الحجارة عليها، وبذلك يعتبر هذا الرمي هدفاً متبعاً بلا تردد.

كانت جبال (كاليكا) تقع في الجانب الأيمن من المنطقة التي نحن فيها، وقد عبرنا (الـ Pasgah) ثانية ومررنا بصخرتين لونهما أبيض كالثلج مستديرتين في وسط النهر الذي يبلغ عرضه ٢٠ قدماً ولعمق متوسط ١,٥ قدماً من حولنا التقت الجبال بألوانها الفائقة التصور، وكان علينا أن نمر بمضيق من أصعب الطرق، اسمه «ريدا جون دارج»، بعد ذلك بلغنا بحراً من التلال المختلفة الألوان التي لا يمكن تصديقها لولا رؤيتها.

بعد سير ١,٥ ميل عبر تلك التلال كان هناك نهر (هاليرت) على ضفافه بعض المستعمرات، ثم مررنا بين جبلين أو أربعة جبال مخروطية الشكل اسمها (كاتال جانين). نحن الآن متجهين إلى جبال (سيجا بوشت)، والتي تبعد حوالي نصف ميل. كل شيء حولنا يدعو للتعجب، ففي أسفل جبل

(٥) هذا غير صحيح، ومن السذاجة الظن بذلك، والهدف كان هو تثبيت الطرق للقوافل والمسافرين وهذا معروف، وكان الحكام يشجعون القوافل على ذلك حرصاً على سلامتهم وتوضيح الطرق. وتطورت هذه العادة إلى أنهم كانوا يقومون بعمل إشارات وعمل أشكال معينة عند التقاطعات كدليل للناس للمناطق واتجاهاتها.

(سيجا بوشت) ضريح يُدعي (بيرتاري) وحوله زُرعت البطاطا الحلوة ولم تكن بأوراقها خطوط بيضاء، ولكنها تلتف حول بعضها كالثعبان الصغير. في ذلك المكان أيضاً غابة والطريق التي تقطعها غير واضحة، في الجبال التي نحن فيها الآن بدت القشرة الأرضية أسمدة من الحجر الرملي وبعبورنا جبال (سيجابوشت) وصلنا إلى وادٍ فسيح به أشجار وشجيرات كثيرة. في ذلك المكان دخلنا ثانية نهر (Pasgah) والذي كان يجري فيه جدول نهر (سيجا بوشت) وكان في قاع النهر سياج من القمح بعرض ربع ميل ونبات آخر بارتفاع ١٣ قدماً.

عندما بلغنا جدول نهر (كوشت) وتابعناه حوالي ثلاث أرباع ميل، وصلنا إلى نهر (جاري) ثانية وكان القاع أبيض ومالح حوالي ٤٠٠ ياردة عرض. ثم عبرنا مستوطنة جديدة تحتوي على غابات صغيرة وبساتين وأشجار نخيل طويلة تحيطها حدائق من التبغ وأشجار الفاصوليا والفول. وكانت هناك مساحات محجوزة لزراعة الأرز في موسمه بعد شهرين من الآن. وكانت المياه الراكدة هنا منذ فترة تحتوي على أعشاب ضارة، بينما تُقام في نفس المكان الأكواخ التي كانت تميزها أسراب البعوض المنتشرة في أعالي الجبال المجاورة.

كانت هذه البقعة المزدهرة في الصحراء المكان الممتع الذي رأيناه خلال رحلتنا عبر بحر من التلال القاحلة التي يبدو أن استصلاحها كان بدافع علمي، بالإضافة إلى تلك الجسور الصغيرة المتعددة المبنية بطريقة حسنة. كذلك شكل أسوار الحدائق يدلُّ على أنها مبنية من الطوب الإنكليزي المربّع والمنسق. كانت طبقات الجبال هنا من الرمال البُنية اللون وتربتها صالحة وليست مالحة. على يسارنا كانت هناك جبال كثيرة ذات ألوان ظهرت وكأنها إضاءة. وقد شُقت فيها قناة لتمر المياه عبرها مباشرة من أعالي الجبال إلى النهر وكان طولها حوالي ميل واحد، ويخترقها

جسران قويان مبنيان من الطين والحجارة. وبينما نحن هنا قام واحد من أهالي المنطقة بضيافتنا، وذكر لنا أنه شقيق (الأميرحاجي) وهو حاكم (جاري دراب) وهناك أيضاً عائلتان أو أربعة من العلائلات المهمة في البلدة أما بقية المنازل فيسكنها الخدم والعبيد.

لقد عبرنا فوق قاع النهر وكان على يسارنا قرية (واسكير) وعلى يميننا (راح قودار) وأمامنا (ترامبوك). كان النهر في تلك المنطقة يجري سريعاً وعرضه ٥٠ قدماً وعمقه قدم واحد ومنبعه من (باندينيلاج). خلال عبورنا النهر مشينا بين قريتي (لترامبوك) و(ريناداج) وقد كان حولنا أشجار النخيل وأشجار أخرى وخلفنا جبالاً قاحلة.

وعلى بعد ٢ ميل بعد خروجنا من النهر كان الطريق إلى (نبوج) مليئاً على يميننا بأشجار النخيل وكانت تُدعى (أمكان). جميع أشجار التمر هنا كانت بشكل غير منتظم، وقد قال لي صلاح وهو مزارع لتلك المنطقة بأنه يلوم صاحب هذه النخيل إذ كان عليه من البداية أن يهتم بطريقة الزراعة بالشكل الصحيح حيث «أنه قد أكد لي أن أشجار النخيل عندما تُزرع بنظام سوف تعطي محصولاً أكثر».

نحن الآن في أعلى جبل مخروطي الشكل فخم اسمه (سي بورج). وبعد أن تركنا الطريق المؤدية إلى (نبوج) بعد ١,٥ ميل، عبرنا مجراً صغيراً صخرياً يُدعى (دانجوتان) يصب في الشرق وكان ذو قاع عميق، وعرضه حوالي ٣٠٠ ياردة. وقد قيل بأنه نهر صغير ومستمر خلال الفصول. عندما عبرنا النهر خيَّمنا تحت الجبل حتى الساعة الرابعة وكان الجو مظلماً. كنتُ مقتنعاً بأن بلدة (بنت) قريبة جداً من هنا، ولكن المرشد كالعادة قد أنكر ذلك، ولكننا بمحض الصدفة رأينا مجموعة من الحمير تحمل علف الجمال إلى بلدة (بنت).

لقد راق لنا أن نخيّم في ذلك المكان الواسع وأثناء الليل هطل المطر بانتظام وعندما أشرقت الشمس كانت هناك سُحب قاتمة أدت إلى هطول مطراً غزيراً متواصلاً وكأنها تشير بذلك إلى عدم توقف سقوط الأمطار.

ـ الوصول إلى بنت:

كانت (بنت) تبعد حوالي ٣ أميال. وقد ظهر لنا هذا المكان فسيحاً جداً غير ما كنا نتوقع. يحتوي هذا المكان من الرؤية الأولى على جبال عالية يحيط بها مساكن من الطين والعديد من المساكن الأخرى. وعلى كل جانب في المكان حوالي ١ أو ٢ ميل من أشجار النخيل وقد انتشرت أمامها الحشائش الملساء وعلى الجانب الأيمن كان هناك جبل مخروطي وغريب الشكل يُدعى (سي بورج). وما أن تقدمنا وكان المطر يسقط وجدنا أن على أسقف المنازل أناس كثيرون بينما أعداداً كبيرة أخرى من السكان يخرجون من المدينة نحونا. وقد قمنا بعدّ ١٤٠ شخصاً قبل وصولهم. و«كريم داد» الرجل الذي أخذنا الى (سارتاي) قد أخطر الأمير مما نتج عنه تأخير الرحلة إلى (جيه). والآن وقبل أن نقوم بنصب الخيمة قد أرسل إليّ لمقابلتي. لقد قمنا بنصب الخيمة تحت صعوبات كبيرة نظراً لأن الأرض قوية ومطاطية، ووجدنا صعوبة جديدة في تثبيت أوتاد الخيمة، إذ صادف أن وقعت المطرقة على الأرض فلم نتمكن من العثور عليها إلا بعد مرور نصف ساعة لابتلال الأرض من المطر بشكل كثيف.

لقد تزوج صيادنا «جلال» ابنة «الأمير شوش» ونشأت صداقة بين الرجلين، أما «كريم شاه» فقد كان مهتماً جداً بأن يخرج من الخيمة المزدحمة عندما تثبت. إنني لم أكن مهتماً من هو «الأمير» في موكب المسيرة التي وصلت الخيمة الآن، ولكن من الطبيعي أنني قد خاطبت الرجل ذا الشخصية القوية المتحكم قليلاً، وما أن أصّر أحد قادته على

الجلوس معه في سريري المتنقل، حتى شعر الرجل بافتقاد كرامته أمامهم عندما وقع على الأرض فجأة.

لقد وجدت أن حديثي مفيداً أكثر مع الرجل الذي يجلس بجانبه والذي كان يتكلم الفارسية بطلاقة بدون أية رسميات. وكان يتكلم بشكلٍ مباشرة بكل وضوح في صميم الموضوع، هذا هو الأمير «حاجي» الحاكم. لقد جاوب على جميع أسئلتي بدون تردد وبدون تقيد وسألني عن أي شيء يريد معرفته.

أما الرجل ذا الشخصية القوية الذي وجدته كان «عبد القادر» الشقيق الأكبر الذي لم يأخذ أي مكان في الحكومة وما هو إلا فلاَّح أو ريفي من (جاري داراب).

الخراف في بلدة (بنت) هزيلة الصحة وغالية الثمن، وعلف الجمال والحيوانات وخشب الوقود يُجلب من مسافة ٤ أميال، أما مهمة جمع الحطب فقد طلبتها من «الأمير حاجي» فقد كلفت بها «الأمير حاجي»، كذلك كان هناك حمير لحمل هذا الحطب الذي كانوا يقضون نصف اليوم في جمعه. أكثر الملابس هنا يتم صنعها في البيت وكان صانعي الملابس يجلسون في حدائقهم أمام ماكينة النسيج وينتجون قماشاً قطنياً خشناً وشاشاً خشناً أيضاً ويُصبغ باللون الأحمر، والأخضر، والأزرق ويزخرف بالحرير الأحمر والأخضر، بينما تقوم النساء بتطريز غطاء الرأس بزخرفة دقيقة جداً.

إن الملابس الطويلة من (ديزاك)[٦] أكثر ثمناً من أي مكان آخر، والقطن في المقاطعة هو من النوع الجيّد وطويل التيلة، ولا تُرسل تلك المنتوجات إلى خارج البلدة سوى طواقي الرأس (قلنسوة الرأس)، والتي اشترى منها

(٦) ديزاك: بلدة كبيرة في أطراف بلوشستان ولها تاريخ كبير ليس في الاختصاص هنا.

رجالنا كمية كبيرة لبيعها وكان سعر الواحدة دولاراً واحداً. أما الأحذية والأحزمة والمحافظ كانت أسعارها معقولة وفريدة الصُنع. كذلك كانت قرب الماء زهيدة الثمن.

إن «الأمير حاجي» قد أعطى لي وبكل بساطة تعريفاً شاملاً لأسماء كثير من الأماكن التي مررنا بها. فقد ذكر بأن كلمة (بنت) تعني بالعربية (بيت)، وقد أُختير هذا الاسم عندما بنى جده الأكبر قلعة (سارتابي)(٧) بينما أُعطيت (ماسكوتان) كسكن لقبيلة الهوت (»مسكن» ويعني بذلك «سكن»). وبعد وصول «الأمير» جاء بعض وجهاء الإمارة المتواضعين، وكانوا يقدمون اعتذاراتهم لمضايقتنا. بعد ذلك تركوا الخيمة وبدأنا أنا و«جلال» و«صلاح» نمشي في الحدائق في هذا الفصل من السنة. وكان هذا ممتعاً حقاً فالأرض كانت مرويّة مع الخضرة والنضارة، كما كان هناك البرسيم وزهور السوسن، وأكثر من مائة صنف من الحبوب كالفول الإنجليزي، والقمح، والأرز، وقليل من التبغ، والتمر، وقد ذكر المزارع في تلك الحديقة تسعة عشر نوعاً منها فقط واحد أو اثنين من أصناف هذه التمور معروف باللغة العربية، والأرض التي خُصصت لزراعة الأرز ما زالت فيها سيقان النباتات حتى العام الماضي(٨).

إن هذه الزراعة تُسقى بالري من القناة التي قام بشقها والد «الأمير حاجي» وكان يأخذ عليها ضريبة عند استعمالها. إن توزيع الماء على الزرع كان سيئاً، فبعض من المحصول لم يُسقى وبعضه يُسقى من جدول الماء الذي كان يتفرع ليسقي أربعة حقول أيضاً، فمالكي الأرض من الوجهاء

(٧) الأكيد قلعة (سرتابي) أي (سرد آب) أو (نهر الماء البارد).

(٨) بنت: معروفة بزراعتها والوديان التي تجري بها والأرز «البنتي» مشهور لدى قدماء أهالي المنطقة لجودته.

كانوا يأخذون دورتهم من ماء القناة حسب مكانتهم وليست حسب الملكية الجماعية، أما الأرض فقد كانت من الطين الجاف وتصلح لبناء القلاع وليست من أجل الزراعة لأنها تحتاج الى السماد باستمرار. جميع القطن مزروع من (دشت)، وهذه التسمية لم أتأكد من معناها ما إذا كانت اسم المكان الذي نحن فيه أم أنها تعني (البلاد المفتوحة)[9] عموماً، على كل حال من الواضح أن زراعة مثمرة في (جاري دراب). وعند عودتنا وجدنا أن «الأمير حاجي» قد أرسل لنا شاة وكيساً به تسعين رطلاً من التمر وأرز وجبن، وما أن سمع أننا بحاجة إلى حصائر لعمل مطبخ حتى أرسل لنا قبة كاملة من مجموع أكواخه. وبعد تناول وجبة خفيفة معهم حضرت إلينا وفود من الملأ أي فقهاء المدينة.

تُعد الديانة شيئاً أساسياً في هذه المناطق، فقد كان فقهاء بلدة (بنت) يقدمون أنفسهم على أنهم سُنة من المذهب الحنفي، ولا يُعد أحد يملك المقدرة الأدبية في (بنت) سوى الشباب الذين يسعون للحفاظ على دينهم حتى يصلوا إلى سن الزواج، وتمت مقاطعتنا عدة مرات ليذهبوا للصلاة. إن مواضيع الأحاديث الرئيسية التي دارت كانت كالمعتاد عن الحكم الاستبدادي (للقاجار) أو (الفرس)، وكان البلوش يرغبون أن يأخذ الإنجليز بلادهم وهو شيء هم يتوقعونه بالتأكيد بأنه سيحدث قريباً[10]. وقد سألوا بتلهف عن «حافظ»[11] ولم يستطيعوا أن يقرأوا الكتب التي بحوزتي مثل «الشيكاستا» و«نموليستان» للمؤلف «هيرفورد» أو كتاب النحو للغة الفارسية والتي تهامسوا على نهايته فيما بينهم بصوت منخفض. اثنان أو ثلاثة فقط

---

(٩) دشت: تعني المنطقة المسطحة أو المنطقة بين البسطاء والصحراء.

(١٠) هذه من الدلالات التي توضح أحد أهداف زيارة «فلوير» للمنطقة على حسب أوامر رؤسائه وهو النظر في إمكانية التوسع البريطاني في هذه المناطق.

(١١) هو حافظ الشيرازي.

متخصصون في اللغة العربية، ولكنهم لم يستطيعوا قراءة أي كتاب عربي إلا كتاب القرآن. لقد حيرنا آخر اثنان منهم حيث كانا يحوزان على نسخة مكتوبة من الشعر التركي الذي فشلوا في اكتشاف اللغة المكتوب بها.

هنا في (بنت) وفي (بمبور) المكانين الوحيدين الذين كنت أسأل فيهما عن أي شيء بخصوص ديانتي المسيحية، كان هناك رجلاً مسناً قوياً قد أحضر ابنه معه، إستهل حديثه معي باللّكز بعصاه الغليظة، فسألني أن أقرأ وبينما كُنتُ أقرأ بعض القصائد لحافظ الشيرازي بين جمع من الناس غيَّر الموضوع وطلب مني أن أقرأ له القرآن كنوع من الامتحان ولاعتقادي في ذلك الوقت بأن الناس كانوا يدعون أنفسهم بالمحافظين من أهل السُنة، التفتُ إليه أسأله بغضب كيف يجرؤ أن يطلب مني أن أقرأ في نفس الوقت عدداً من أشعار الحب وكلام الله. فما كان منه إلا أن تركني في الحال، وكنت أهنئ نفسي على نجاحي في توبيخه، وأخبرني «صلاح» لاحقاً أن لهجتي هي سبب مغادرته وليس منطق الكلام الذي قلته.

إن شمس المغرب الآن تتجه نحو الخيمة، فذهبت للتنزه في الحدائق نزولاً نحو النهر العريض . كانت الحدائق بعرض حوالي نصف ميل ممتدة إلى الأمام نحو الجنوب، وقد بلغت حافة النهر العريض ولكن لم أتمكن من الوصول للقناة نفسها بسبب الكثير من الحصى المتحرك، وعندما عدتُ إلى الخيمة بدأنا نحضِّر لنحمي أنفسنا من ظلام الليل، وأرسل «الأمير حاجي» أن نتوخى الحذر من الأمن في هذه المنطقة.

حسب مقياس الضغط الجوي تقريباً كان ارتفاع سطح البحر حوالي ٢٠٠٠ قدماً تقريباً، وكان المناخ كمناخ بريطانيا عدا الشمس كانت ساخنة وقت الظهر. خلال النهار ذكرتُ «جلال» رغبتي العاجلة للذهاب إلى (بمبور)، وعليه فقد بذل جهده لشراء ثلاثة جمال جيدة لتحمله وتحملني ومعهم جمَّالين. وفي اليوم التالي اقترحنا أن نرد زيارة «الأمير حاجي»

أولاً. بعد ذلك سنذكر له حاجتنا والصعوبات التي تواجهنا. في صباح اليوم التالي سرنا على الطريق الرئيسي وعبرنا فجوة في الحائط وصعدنا الانحدار وشوارع قذرة، وكنا أثناء سيرنا نشاهد يومياً حميراً تسير نحو البلدة محمَّلة بجذور الحشائش، والآن نجد أن في كل شارع أو ركن في البلدة ينتشر تبن الأرز وجذور الحشائش أيضاً.

إن المنازل في بلدة (بنت)، و(فانوش)، و(ماسكوتان)، وبلاد أخرى للبلوش قد بُنيت بشكل بدائي حيث تشبه حظائر المواشي في الشتاء، وهذا يعطيها رائحة سيئة في بعض شهور السنة. أما تبن الأرز فقد كان قوتاً لعصافير الدوري وكان قذراً ومكدساً خلف المنازل بإهمال، ولم يكن هناك أي ممرّ معتمد ولكننا صعدنا بحرص إلى منزل «الأمير حاجي» الذي كان على قمة الجبل، في منطقة رياح شديدة، زلقة بسبب هطول الأمطار مؤخراً. وعند وصولنا إلى غرفة مستطيلة الشكل كان «عبد القادر» و«الأمير حاجي» ورؤساء آخرون في البلدة يجلسون على الأرض في الغرفة، وكان هناك سرير طفل يهتز بحبل مصنوع من شعر الغنم ومزخرف تستلقي به ابنهُ «الأمير» المحبب ووريثه، بينما في الجانب الثاني من الغرفة كان يوجد ما يُسمى (بشهارباي) أو مقعد سرير وهذا الذي جلستُ أنا فيه.

لقد تجمع رجال «الأمير» ورجالي عند الباب يتكلمون عن عدة أشياء وبكل حرية، وقد لاحظت الجدران ذات الحائط الطيني يتدلى منها زجاجات إنجليزية معلقة في شبكة من شعر الجمال ومزخرفة، وكان هناك أيضاً زهريات من النحاس مليئة بماء الورد من صنع روسيا على ما يبدو لي. ثم كان لنا حديثاً سريعاً عن الطرق والتجارة والتعليم وعن الروس والأفغانيين الذين صنعوا لأنفسهم اسم فظيع هنا. وكنت دائماً أسأل لأتنبأ إلى متى سيعيش الشاه. ثم لاحظت وجود غليون متواضع كان قد وُضع على إناءٍ إنجليزي للخمر وكنتُ أستعمله بغير أن يراه أحد حتى لا أوقع

«الأمير» في حرج لاستعمال (المبسم) من بعدي، وكان رجاله فخورين به لأنه يعرف جيداً كيف يستخدم الغليون كرجال فارس المتحضرين، وخلال جولاتي الأخرى كنتُ أسمع من يعلق بأنني دخنت الغليون مع "الأمير حاجي».

بدون شك إنه خلال المقابلة لم نقم بذكر أعمالنا، كما أن "الأمير» أصرَّ على أن بلاده، ومنازله وجماله، ورجاله جميعهم في خدمتي، وإنني بدون شك قد أكّدتُ بأن الشيء الوحيد الذي لعلاج قلقي هو يقيني أنه وعائلته لم يقصّروا في حقي. وبعد أن استرجعت خيمتي أرسلت صلاح إلى «الأمير» لإبلاغه بطلبي ثلاثة جمال جيدة لإرسالها في نفس الليلة.

بعد أن أصبح "صالح» معتزاً بنفسه لأنه قد وجد الفرصة لإبراز تفوّقه وذكائه لنجاح المهمة التي كُلف بها وبدأ يفكر في اللغة الدبلوماسية التي يجب أن يتكلم بها مع «الأمير» للموافقة على طلبنا. عموماً حرص «جلال» بأن يذهب معه كمترجم، وعند وصوله إلى "الأمير» وفي جمع الحاكم بدأ يصيح بحزم: «إن «صاحب» - أي الرجل الإنجليزي - يريد ثلاثة جمال فوراً»، وطريقة المفاوضة هذه التي قام بها جلال كانت صحيحة لأنها تبين نوعاً من ادعاء التفوق والسيطرة من جانبنا. وهذا كان جزءً من التفاخر بين الأهالي الذين يدعون التواضع هو ضعف في هذه الحالات. إن أسلوب البلوش مع أميرهم لا يختلف عن أسلوب البدو العرب عندما يدخلون على حاكمهم حيث يتجهون مباشرة إليه ويلوِّحون بعصاهم الطويلة ويصيحون «سلام يا محفوظ».

هذه كانت آخر ليلة لي في بلدة (بنت) وإنني هنا سأقتبس ملخصاً من مفكرتي التي احتفظت بها في (بنت) عندما كنتُ أنا في (بمبور) هذه المذكرات تقول: -

«إن المدرسة كانت ببساطة جانب من غرفة تمتد حتى المسجد والتي كانت حوالي ٦٠ قدماً مربعاً، وقد بُنيت ببراعة من الطين ومسقوفة بالحصير أو القش، وإمام المسجد كان ناظراً للمدرسة، وكان يعرف قليلاً من اللغة العربية، وقد ذُكر أنه قد تعلمها في مكة. كذلك كان يلم بشيء من اللغة الفارسية، أما الدروس فكانت بالبلوشية. وكان معدل حضور الطلبة عشرة طلاب فقط بعضهم كان يقرأ القرآن . وبناءً على طلبي قام أحد الطلبة بقراءة الجزء السابع عشر منه، فكانت قراءته جيدة، ولكنه كالعادة في هذه البلدة كما هو واضح فإنهم لا يستطيعون إدراك المعنى. وقد قال الإمام: «إذا ما أكمل أحد طلابه حفظ القرآن فإنه يستلم من والده مبلغ عشرة ريالات. وفي وقت جمع التمر تكون الهدية عبارة عن تمر».

بعد ذلك دخلتُ المسجد ورأيتُ في تجويف الحائط أجزاءً من ورق القرآن. كذلك رأيت كتاباً مغلفاً بقماش أخضر اللون مطرّزاً بالذهب، وعندما سألتُ أحدهم ما هذا؟ قال إنه كتاب «حافظ الشيرازي» وعندما طلبت منه أن أراه أخذه بيديه بوقار وأعطاه إلي ؛ وعندما تاكدتُ أنه فعلاً «حافظ» قلتُ له: «لماذا تضع هذا الكتاب الذي يتكلم عن مشروب الخمر، والحب والفجور هنا» فبرّر ذلك بلهجةٍ عنيفة وأجاب لا تقل هذا إن هذا الكتاب نظيف من كل هذه الأمور، فأين نضعه الآن في غير هذا المكان؟ فأجبتُ «هذا مسجد بيت الله ويجب ألا يكون به شيء غير كلام الله وسُنة رسوله. هذا الكتاب للشباب والجاهل، وليس بكتاب ديني. ثم أجاب بالعكس إن أصل هذا الكتاب كان أصل الدين نفسه وهو غير ما تتصوره. «فالخمر» هو مشروب لحب الله والحب يدوم من أجل الله». وأخذ يعدّ لي كلمات مختلفة كما رُتبت في كتاب «قاموس ومعاني الكلمات». وسكتُ لأنه قد يطول الوقت حتى يترك القرآن ويضع «حافظاً» مكانة النبي «محمد».

لذا فقد استخلصتُ الآتي: -

«إنني قد سألته عن يوم صلاة الجمعة وإن كان يحضر الناس للخطبة، وعندما أجاب نافياً، فبلا شك كنت استفسرتُ لماذا؟ فقال إنه لا يوجد قانون لحماية الدين أو قانون ضد الكفر والشرك، وقد أضاف أنه من وجهة نظره عن الدين أن صلاة الجمعة يجب أن تُقام فقط في المناطق التي لا توجد بها قوانين الشرع الإسلامي ويوجد الحاكم العادل»(١٢).

وقد ذكر أن المواطنين هم على مذهب أبو حنيفة، ديانتهم هي الإسلام وهم أهل السُنة، ولا يطيقون الفارسيين الذين ينعتونهم بـ (الخارجين عن الملة) ويسيئون للهاربين منْ دينهم.

أيضاً لا توجد تجارة نظامية هنا، وعندما تكون البضائع زائدة عن الحاجة، يُباع التمر إلى البلوش المقيمين، والسمن والماشية تُرسل إلى مسقط وبندر عباس وذلك مقابل القطن والملابس والحرير للتطريز. وفي ذلك الوقت لم تكن هناك عُملة للتداول أقل من نصف «الكران».

سنوياً يقوم «الأمير حاجي» بدفع مبلغ ٢,٥٠٠ تومان إلى «الأمير حسين» في (قصر قند)(١٣). وعند المغرب حضر «الأمير» ليودعنا، حيث أنه غادر إلى (كَيه) في صباح اليوم التالي وكان يصحب معه ابنه الصغير المفضّل الذي داويته بمادة الكينا أثناء مرضه. وقد كان طوله ٣ أقدام تقريباً ولكنه كان على مقدرة من قراءة القرآن بأكمله. ثم أعطيناه لفة من الخيط

---

(١٢) بلا شك يقصد الإمام ظلم حكام القاجار وعدم إقامة الشرع في بلادهم، وكلها أسباب جعلته ألا يقيم خطبة الجمعة أو يدعو فيها للحاكم المسلم خلالها كما هو المتبع دائماً.

(١٣) هذا هو الترتيب في جمع الضرائب المالية الذي اعتمدته حكومة القاجاريين في نظام حكام القبائل والمقاطعات، وكان «الأمير حسين» في (بمبور) مسؤولاً عن (بنت) من ضمن مجموعة أخرى من المقاطعات، وكان يجمع مالياتها وتُرسل لدفع ديون حكومة شاه فارس القاجاري.

والحرير، وكان صالح يتباهى بذلك. وقيل أن «الأمير» سيترك المكان ممتطياً جواده الرمادي اللون ووعدنا بأن الجمال سوف تصلنا في خلال ساعة.





الجزء الثالث



[illegible]


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بدء الرحلة إلى بمبور:



بالرغم من وعده لنا بإعطائي الجمال وبدون أي شك في المساء، إلا أنه بعكس ما توقعنا، فقد ظهرت ثلاثة جمال رائعة في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي، حيث كانت هناك ريحاً عاصفة باردة قادمة من جهة الشمال. كان أكبر هذه الجمال هائجاً ممّا جعل فمه مليئاً بالزبد، وبعد المناقشة وعدنا الرجال إذا أمكن، بأن تكون الرحلة إلى (بمبور)[1] في خلال ستة عشر يوماً، ولكن الآن لديَّ فقط عشرة أيام باقية بمعنى أنهم سيمنحونني ستة أيام فقط للرحلة من (بنت) إلى (جاسك) والتي قررت أن أقوم بها سالكاً طريقاً جديداً. على كل حال، إنني قد عزمت على أن أنهض مبكراً في الصباح للسير مع الرجلين اللذين أرسلهما صاحب الجمال معي، واللذين ليس من المتوقع أن يراعيا الجمال كصاحبهما.

---

(١) بمبور: بلدة مشهورة في شمال بنت من أهم قبائلها (الركشانيون والناروئيين) من قبائل البلوش الشماليين ـ وبها قلعة مشهورة.

رفقاؤنا الجُدد في الرحلة:

ربما نحتاج إلى بعض الشرح مع رفقاء الرحلة في الطريق، أولاً فيما يتعلق بتأجير الجمال، إن الرجل المتكلم في هذه الصفقة اسمه «شوكاري» تُلفظ هنا كاللغة الإنجليزية «شوجاري» وقد أنكر أية فوائد في الجمال، وذكر لنا أن سبب حضوره هو تكليف من «الواجه»[٢] له بهذه المهمة، وقد زودنا بثلاثة جمال ممتازة، وقد حصل عليها بعد جهد، كذلك الموافقة على مصاحبتهم مع مالكي الجمال لعمل صفقة معي؛ لأن الرجلان صاحبي الجمال كانا خائفين من «الفرنجي» أي الأجنبي، وقد ذكر بأن الرجلين هما أشقاءه، وهو يفضل أن تُنطق الكلمة الفارسية (سرد) كـ(سوارت) وتعني خفير.

إن «عبد الله» هو صاحب الجملين المذكورين. كان رجلاً قصيراً ممتلأً شجاعاً وقوياً ذو أنفٍ صغير وعينان سوداوان لامعتان، وطريقة حديثه كانت متحمسة وعنيفة. أما صاحب الجمل الصغير الذي كان عمره ٣ سنوات اسمه «بارجة»، رجل طويل قوي ووسيم، ذو لحية بُنيّة. وكلمة «بارجة» باللغة الفارسية تعني وسيم . . «بارجة» هو الأخ الأكبر لـ«عبد الله»، وإنه لمن الممتع أن ترى «عبد الله» وهو ملتف حول نفسه بغطاء رأسه ويرقد أرضاً وهو ينادي على «بارجة» ليغطيه من جميع الأطراف ببطانية.

رياح الشمال:

بدأنا السير ضد رياح الشمال القاسية، «عبد الله» و«بارجة» يمتطيان الجمل الكبير ويتبعاني و«جلال»، وكانت رائحة الجمل الذي أمتطيه عفنة،

(٢) الواجه: وتُنطق لكبار القوم من قبائل البلوش في هذه المناطق، ويُقال أن أصلها قدمت مع قبائل الرند من الشام وتعني (الوجيه).

فقد قطعنا مسافة كبيرة من النهر واتجهنا إلى أعلى حتى مجرى النهر، حيث كانت جوانبه مزروعة بالأشجار، التي كان يقوم بجمع أوراقها المواطنون لتخزينها كسماد حيواني. وقتها كانت الرياح باردة تلفح وجوهنا ببرودة شديدة مصحوبة بقطرات من المطر.

وحوالي الساعة الثالثة توقف الرجال وقالوا إنه من غير الممكن أن نسير أكثر من ذلك في هذا الجو، فخيمنًا على شاطئ صخري للقناة التي تصب في النهر. وكان المكان الذي نجلس عليه موحل بالكامل. كما أننا ولأول مرة نرى نبات (الطرفاء) هنا والذي ترى منه حزاماً من أشجاره في (بمبور). إن الفواكه تُجمع وتُباع بالكران أو المَن[٣] (وزن من ٦ أرطال) أما الزيت الذي يُستخرج منه يُباع بثمن ٣ كران «للمن».

الساعة الآن هي الثامنة مساءً، وكان هناك مشكلة تدبير أكل الجمل الذي أظهر العصيان على صاحبه وبدأ يدور في الأرض ساحقاً الشجيرات الصغيرة. ليس هذا الجمل فحسب بل إن البقية من الجمال لم تأكل، فما كان من كل واحد من الجمّالة إلا أن يضع الطعام في فمها بالقوة ودفعه داخل حلقها لمضغها رغماً عنها.

وفي حوالي العاشرة مساءً جلس «برجا» بجانب النار وهو يلف اثنين من عنان اللجامين حول خصره، كذلك «عبد الله» كان يرقد في الجانب الآخر من النار وحوله يلتف لجام آخر كبير. حتى الآن لم يصب أحد بأذى؛ حيث أن الجمل الكبير كان مربوطاً من سيقانه الأربعة وهو بارك على ركبتيه وفخذيه.

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف كان الجمل الكبير يرقد على بعد

(٣) المن: وحدة وزن لازالت تُستخدم إلى اليوم وهي عبارة عن ٤ كيلو غرام أو ٦ أرطال تقريباً.

باردة من قدمي وهو يمدّ رقبته على الأرض مستسلماً للنوم. وكانت الدماء تسيل من أنفه مكان عقدة اللجام، والحبل يمر من فتحة أنفه؛ لذلك لم يتمكن من النهوض بغير أن يرفع أنفه لثلاث بوصات، أما «الواجه» فقد ذهب للنوم ثانية، أما «جلال» فقد رقد تحت ظل شجرة خضراء كبيرة. وقد كان الرجال يقولون أنهم ليسوا خائفين على أنفسهم ولكنهم خائفين على الجمال الصغيرة، إلا أنه لم يراودني هذا الشعور حينها.

في صباح اليوم التالي كان الجوّ غائماً شديد البرودة، والريح قوية تهب من الجهة الشمالية. فقد أكّد الرجال أنه من المستحيل أن نتقدم، إلا أنهم بدأوا بالمسير بعد أن وزعت الأغطية عليهم وحثيتهم على النهوض. وبعد خمسة أميال قضينا بعض الوقت نمشي في الماء وبعض الأحيان على الضفاف الرملية. الآن وصلنا تقريباً إلى مدخل جيري وكانت هناك صخرة حمراء ضخمة وبركة كبيرة وعميقة. وبعد حوالي ثلاثة أميال إلى الأمام من (كيلات ايذانجي) كانت هناك جبال وصخور غاية في الجمال من كل حجم وقياس ولون يمكن أن تتصوره.

إنه من الصحيح بهذه المناسبة إذا ذكرت بأن كل شيء كان رطباً من المطر وليس هناك سوى اللون الأسود، إلا أنني قد اكتشفت أن الألوان الرئيسية في هذا المدخل العجيب كانت الأحمر اللامع، والقرمزي، والأبيض، والأرجواني والفولاذي. كما أن جميع درجات اللون الأخضر من الغامق إلى الزمردي وأكسيد الحديد تعطي جميع ألوان الأحمر من اللون الفاتح إلى القرمزي، والرصاص يعطي جميع ألوان الأصفر، والنحاس يعطي جميع ألوان الأخضر، والحجر الجيري عديم اللون يعطي لون الثلج الأبيض.

نجلس الآن في أحد المنازل؛ حيث أعرف تماماً بأن درجة الحرارة سترتفع بعد قليل إلى ١١٠ درجة. وإنه لمن المستغرب بأنني لم أحضر معي عيّنات ولا حتى خرائط لاستكمال مذكراتي، وقد شعرت بأن يداي

مخدَّرتان لا تقويان على كتابة رسالة، وأن السرج سوف يبتل إذا نزلتُ من عليه ولو لخمس دقائق، وهذه كانت من الصعاب التي لم أتغلب عليها ولم يكن لديَّ أية فكرة كم يتبقى من هذه المرحلة، وعليَّ أن أقدّر كم من الوقت يمكن أن أوفّره. ثم قال الرجال: «إن الرحلة طويلة، والطريق طويل» وهم يحدُقون بي بلهفة؛ لأنه لم يسبق لهم أن قاموا برحلة مدخلها مثل هذا المدخل وفي جو كهذا. وإذا تقدَّمنا أكثر فسيكون هناك مياه كثيرة وعندها سيتحتّم علينا رجوع الطريق بأكمله إلى المكان الذي خيَّمنا فيه الليلة الماضية لايجاد مأوى آمن ومريح.

شاطئ النهر هنا صخري وعمقه حوالي ثلاثة أقدام، وهناك كثير من الدوّامات المائية. ترتفع مياه النهر من حوالي ١٢ إلى ١٥ قدماً فوق سطح الماء لحدٍّ يفوق الوصف من حيث بالحجم والعمق ويصعب اجتياز هذا النهر بسبب وجود الكثير من الطحالب البرية، كما أن هدير المياه المرتفعة كاد أن يصدم رأس جملي، وبعد جهود قوية بدأ باستعادة توازنه لبضع ثوان فتقدم على حجر أملس وبعد ثباته بدأ يدور ويدور وهو يثير الشفقة. وقد فهم الرجال وضعه وعدم قدرته على الحركة. وقد جاهدنا حوالي أربعة أميال حتى رأينا سلسلة جبال (باندي نيلاج). في هذا المكان بلغنا تقريباً آخر الممّر وقد سمعنا أنه لا يوجد خشب للوقود في (بنوج)، فتوقفنا لجمع بعض فروع الزرع اليابس. في نفس المكان رأينا نوعاً من السمك طوله حوالي ست بوصات وقد لفت انتباهي (سرطان البحر) ذو اللون البني، طوله حوالي بوصة ونصف. وعرفنا بعد ذلك أن أهل (بنت) يتباهون بسمكهم الذي يتفوق بكثير على الأسماك[٤] التي تأتي في البحر لأنها

---

(٤) هذه الأسماك كما هو واضح أسماك مياه الأنهار الموسمية في المنطقة أو الوديان ــ ونادراً أن توجد هذه الأيام.

طويلة ونحيفة وذات لون رمادي على ظهرها.

ثم أكملنا سيرنا تحت حائط عال من الصخور الأرجوانية وهو جزء من العمود الفقري لـ(باندي نيلاج) وتظهر للعيان من خلال الممر. وعندما اتجهنا إلى اليمين نحو الضفة، كانت هناك أشجار النخيل في (بنوج). وبعد أن قطعنا ميلاً كانت هناك على الجانب الأيمن بقايا قلعة، وقد ذُكر لنا بأنها قد هُدمت من قِبل الأفغان. وفي مقابل الشمال كان على يسارنا رافداً لنهر (بنت) بحوالي ربع حجمه وضفة شديدة الانحدار فيها قلعة من الطين، وعلى الجبل أكواخ من القش تشبه مخازن القمح الإنجليزية. وكان كل قدم بين الأكواخ فيه عيدان الأرز، وجذور الحشائش لاستعماله كسماد للحيوانات. وبسبب غياب «شاكر خان» دلّنا خادم «الأميرحاجي» على أحد منازل سيّده الذي كان خالياً ودافئاً وبكل معنى الكلمة كان نظيفاً. وبعد أن شعرنا بالاستقرار فرشنا السجاد وكنا باستقبال حوالي مائة شخص من الأرستقراطيين، بعضهم يتمتع بأخلاق جيدة وبعضهم لا ..

«أدوين بيرس» الذي يدرس لغة البلوش، كان دائماً يذكر الصعوبات التي واجهته لاقناع السكان بأنه يفهم ويتكلم لغتهم. إنني أيضاً قد مررت بتلك الصعوبات ولكن كان هذا في بداية رحلتي عند إبداء الرأي الذي كان يجبرني عند شرحه أن أعززه بلغة البلوش.

ومع ذلك فإن الحالة الآن تختلف بالنسبة لـ«جلال» الذي قال: «إنه لا يرغب في أن يوجهوا أية كلمة لي فيما يخص ملاحظاتهم عني التي أبدوها بحرّية». وعندما كنت أظهر لهم أي إعجاب من جانبي كانوا يتهامسون بكلمات.. «هو يفهم ذلك الآن»، أيضاً هم لا يصدقون أن ملابسي وحذائي الكبير الحجم قد اشتريته من (كرمان) المكان الذي يتكلم عنه السكان كثيراً كما يتكلم الإنجليز عن لندن.

لقد أُصبنا بالدهشة حيث أن أحد الرجال قد أخذ يظهر نفسه بأنه شخصٌ بارز ورفيع الشأن، وكان ضخماً أسود اللون يتبختر في مشيته وذو صوت خشن، وكان يلبس ملابس الفرس، وقفازات سميكة وجوارب طويلة، وكان حديثه عن الجياد؛ لأنه كان سائساً لخيل «شاكر خان» ولكنني كنتُ مندهشاً عندما عرفت أنه عبد. وعندما رأيته يحدّق بملابسي التي تشبه ملابس البحارة القصيرة والحذاء الكبير، سمعته يقول: «هذا هو زي الشاه»، وأضاف: «إنك الآن تعلم أن الشاه ملك مدهش فأي شخص قد يُحكم عليه ظلماً أو يُعامل بقسوة، ما عليه إلا أن يذهب إلى منزله ويقول أين الملك؟ فيأتي الملك إليه فوراً ليمنحه عدالته.

إنني لا أصدق أن هذا الرجل كان عبداً أو خادماً ولكن ثلاثة أشخاص قد أخبروني بذلك، ولم تحن لي الفرصة لمحادثته على انفراد، ولا أعتقد أن وضعي يبّرر طرح أية أسئلة أو استفسارات معه عن هذا الوضع، لذلك كان عليّ أن أترك الأمر مُعلقاً. وقد طلب مني «مراد خان» نائب «شاكر» بإلحاح أن آخذ أحد خيوله وأذهب إلى (بمبور) خلال يومين، ولكنني لم أكن مستعداً أن أترك حقيبتي الصغيرة هنا. عرضه هذا جاء ليشير بإصرار وبلهجة حادة إلى الجمّالين الذين سيرافقونني بأن الرحلة ستستغرق معهم خمسة أيام.

عندما تعوّدنا على الناس أكثر أصبحوا يلحوّن في طلب الأدوية لجميع الأمراض وبصفة رئيسية لأوجاع الرأس. وعندما تعبت من إلحاحهم إدعيت بأنني قد نسيت جميع الأدوية في (بنت) ولكن بدون أية مقدمات قام (جلال) بدور الطبيب بكل جراءة فقط ليتساوى مع «أبو زيد» .

إن الطريق المؤدي إلى الضريح الذي عرفناه من أحد الرجال حيث أوصى «جلال» بأن يزوره ويذبح له ماعز كقربان، كان نوعاً من السخرية وتعبيراً عن استغرابهم لمعرفته السطحية بالمكان.

لقد قدَّم لنا «شاكر خان» عشاءً فاخراً. وقمت بدوري بدعوة ابنه الأكبر أيضاً للعشاء معي، وكان ولداً خجولاً يلبس رداءً من شعر الماعز مطّرزاً ومزخرفاً بالحرير وهو شعار الملوك، كذلك كان يرتدي سروالاً حريرياً قرمزي اللّون، وعندما سألت عن عمره قال صديقه إنهم لا يعرفون عمره ورجعوا إليَّ لتخمينه، وحسب تقديري فقد أعطيته عمراً لعشرة سنوات، فتعجبوا واعتبروا أن تخميني هذا إثباتاً ودليلاً على أن الإفرنج يعلمون كل شيئ.

كانت المنازل هنا بعضها مستطيل والآخر دائري وبعضها من طابقين، الجدران قوية بُنيت من الطين القوي الأزرق. وفي الحالة التي تتطلب أن يكون المنزل مستطيلاً، فإن جذوع أشجار النخيل توضع بالعرض وتغطي أولاً بالحصير، وبعد ذلك بالطين. ولكن الأكواخ المستديرة هي الأفضل؛ لأن جدرانها ترتفع إلى اثنتي عشر قدماً، والسقف مبني من عيدان شجر التمر المُغطى بالحصير وورق البيش وهو (القش).

المؤذن هنا رجل عملي من نوع خاص. فبدلاً من أن يحثَّ رعايا المسجد والمصلين للقيام بالصلاة، كان يستعرضها في الطرق وهو يصيح «بره نماز» وتعني «اذهبوا للصلاة» وقد قدَّم لي «مراد خان» هدية عبارة عن قطعة قماش بُنية اللون من «ديزاك».

صباح اليوم التالي كان شديد البرودة، وقد رأينا حوالي عشرين رجلاً وطفلاً على الحمير وكان معهم أكياساً كبيرة من الحصير يجلبون فيها الحشائش وجذور النباتات كسماد للحيوانات وكذلك كوقود للنار، هذا هو آخر شيئ رأيناه من الحمير التي أُستوردت من عُمان.

في نفس الوقت عبرنا (بيادلدولي علي) وكانت هناك سلسلة من الدوائر بقطر ياردة تقريباً وقد قيل بأنها علامات على الأرض وهي آثار أقدام فرس

سيدنا «علي»، ويختلف العلماء إن كانت فرساً أم بغلاً؟ وهل هو ملك سيدنا «علي» أم سيدنا «محمد»؟. . بعد ذلك اجتزنا جدول ماء غير عذب فيه سيقان طويلة لنبات «الإثل» أو «السمار»، وهذه تُستعمل لعمل الحصائر. ثم عبرنا سهولاً وجبالاً منحدرة حتى بلغنا جدول ماء جاف فيه نباتات نخيل صغيرة، وبعد ذلك بقليل كان هنا آخر امتداد لنبات (البيش) أو (القش) حيث ظهرت بعده نهاية الجبال، ولم يكن هناك سوى ممر واحد، وكان باستطاعتي استلام القيادة حينها للسير مسرعاً حيث قطعنا عشرة أميال حتى الساعة العاشرة والنصف، وبلغنا حدود الجبال. وراءنا كانت الصحراء وسراب أزرق تخيَّلنا أنه البحر. بينما على مسافة بعيدة ظهر الثلج يغطي سلسلة (بشمان) و(توريك).

إن اتجاهنا كان مقرّراً للشمال، ولكننا الآن تحوَّلنا إلى الشرق. أرض البلدة كانت خليطاً من الرمال والحصى الأحمر، وكان هناك خطاً أحمر اللون من الصخور البيضاء مرصَّعة باللون الذهبي، وفي الساعة الرابعة مساءً عبرنا جدول ماء جاف اسمه (مورج)، وقبل غروب الشمس بساعة رأينا بلدة (ماسكوتان)[٥] واقعة بين جبال منخفضة ظهرت بين رمالها أعشاب خفيفة وقليل من أشجار الصمغ.

هنا كنا نراقب غلاماً صغيراً يحمل خشب الوقود وهو يلهث، الأمر الذي أغضب جلال؛ لأن الغلام لم يستعمل حماره لعمل كهذا. وقد وجد الآن أن بإمكان بعض أطفال زوجته الثانية القيام بهذا العمل. إنني قررتُ حسب خبرتي في (بنوج) أن أقطع المدينة إلى الجانب الآخر منها وأخيِّم هناك. وعندما بدأنا طريقنا مررنا بغابات من شجر النخيل التي كانت فيها المياه بعمق قدم واحد. عبرنا قنوات مياه الري بمساعدة أُناس كانوا هناك

(٥) مسكوتان: أصلها (مسكن هوتان) ـ أي مسكن قبائل الهوت.

ويلبسون ملابس الفُرس، بعد ذلك صعدنا تلة صغيرة حيث ظهرت المدينة جاثمة في مكانٍ عال.

إن الملابس الفارسية هنا لا تعني أنها دليل على أن اللذين يلبسونها هم من الفُرس. وبلوش (مكران) يحتقرون أي زيّ غير زيّهم. عموماً، الفارسيين هنا أكثر خوفاً، أما البلوش فهم أكثر جهالة وهم يلبسون هذه الملابس تكيفاً كهؤلاء الأفريقيون الذين يلبسون معطفاً أحمر اللون بغير السروال.

إن بلدتي (بنوج) و(بنت) تشبهان المكان المخصص للتجارة أو ساحة العمال الإنجليز، ولكن في بلدة (ماسكوتان) تمتليء طرقاتها بالسماد الحيواني والقش الذي يعطيها مظهراً يشبه حظيرة الخنازير، ثم مررنا ببلدة (بارجة) لنشتري قرباً للماء لرحلتنا عبر الصحراء، وعبرنا بعد ذلك قاع النهر إلى أسفل فهو ضحل عميق، وقد خيّمنا على بعد من أسفل الجبال المنخفضة في المكان المقابل.

هناك وجدنا مكاناً دافئاً وهادئاً تحت الشجر، وما أن أخذ الماء يغلي في إبريق الشاي حتى ظهر لنا أحد سكان (ماسكوتان) بمظهره المرعب ويرتدي ثوباً قصيراً ليعبر النهر. فقمت فوراً بالتوقف عن تخطيطي وبسرعة تسلقت أقرب جبل، حيث كان قد أوشك على الانتهاء تماماً عندما رأيت أربعة رجال يتصببون عرقاً ويلبسون أحسن الثياب، يتحركون بمشقة على الحافة أمامي وبدون أي نوع من التحية أخذوا في انتقادي. وبعد حوالي عشرة دقائق غيَّروا رأيهم وحضروا إلى أعلى ثم سألني أكثر رجل أناقة فيهم، إذا كان لديَّ روبية أو قميص قديم ممكن أن أعطيه له. طلبت منه أن ينتظر لحظة وانسحبت إلى الخيمة حيث رأيت «جلال» يصف دواءً لحوالي ستين مريضاً. كانت إحدى النساء كفيفة منذ عشرين عاماً توبِّخ الرجل العجوز، ولكنه أسكتها أخيراً بقطعة من الكيك والتي طلب منها أن تمضغها.

كان طعامنا في تلك الليلة عبارة عن قليل من الأرز ولحم من أرجل الضأن التي أحضرته معي من (بنت)، وقد جُهز هذا بواسطة «جلال»، وعندما شبعت والثلاثة الآخرون قد أكملوا ما في القدر من طعام، تناولنا طبق من الحلوى المصنوعة من التمر، وفي طعام بسيط كهذا كان هناك نقطة واحدة لم نوافق عليها، وقد اكتشفتها وهي أن (جلال) بدون شك قد وضع كثيراً من الملح في الطعام. كان الملح لونه أسود واللحم قوي، وكان يقوم بتقطيع اللحم بطريقة همجية، وعندما تحدثنا عن الموضوع ذكر لنا أن اتفاقنا مع الجمّالين لا يشمل الطعام، وهذا على كل حال، يوضح أنه ليست هناك علاقات ناجحة، وقد رفضت أن أقبل وجهة نظره عن الموضوع. بعد ذلك وجدنا الحل لهذه الصعوبات وهو أن يقوم كل منا بإعداد الطعام بدوره وإنه لمن المسلي أن يمزح كل مع الآخر أثناء دوره في إعداد الطعام.

إن النهر هنا يجري ناحية الجنوب وغابات النخيل كثيرة، والجبال الوعرة تمتد بضعة أميال إلى أسفل حيث الجهة المقابلة أو إلى الشاطئ الغربي.

وفي الجهة المعاكسة لنا أيضاً كان النهر ينحدر وكان ينتج عنه تكوّم الحجارة البيضاء الكبيرة التي كانت تلتقي بشكل جميل مع الحشائش الخضراء التي تنمو تحت شجر النخيل على أعلى الجسر. مياه النهر كانت عذبة تصلح للشرب، ولكن كانت هناك عدة عيون ماء عذبة تختلط مع مياه النهر.

كان في بلدة (ماسكوتان) عناصر قليلة من الفارسيين وسكانها ينقسمون إلى ثلاث فئات: « الفُرس» ذو الشعر الطويل، و«اللاشاريون» بنظراتهم المتوحشة، و«البلوش» الذين يبدو عليهم القلق. إن الفرس حقيقةً قد دخلوا هنا بواسطة «الأمير هوتي». والبلوش هنا هم من قبيلة (الهوت) وهم

نشيطون ولهم قدرة على التحمّل. لقد أجّرنا رجلاً كبير السن نظير روبية واحدة ليدلنا على (بمبور) في خلال يومين، إن جميع السكان الذين قابلناهم حتى الآن مختلفين عن بعضهم البعض.

وصديقنا الجديد «كولي» كان قصير القامة مقوّس الساقين، فمه كبير ووجهه كتلة غير منتظمة وكان يرتدي قميصاً وسروالاً ويحمل سكيناً وسلاحاً آخراً طوله ١٨ بوصة جانباً منه حاداً والآخر خشناً كالمنشار والمقبض هو قطعة غليظة من الخشب. وهذا السلاح الذي كان مربوطاً في الوسط هو لقطع الحشائش أو الحطب. هذه السكاكين معروفة في (ماسكوتان) على أن اسمها الحقيقي «كاهكين» وتعني «قاطعة الحشائش» ولكن معظم السكاكين التي رأيتها كانت أصغر من التي مع «كولي».

أما الثلاثة رجال الآخرين كانوا كالنبلاء، ولم تكن هناك أية حاجة للسرعة أو الحزن، على العكس كان كل شيء على ما يُرام. على كل حال، إن «كولي» حقاً هو كالغول لأنني أصدق أنه لم يرى أي نوع من الطعام خلال ثلاثة أيام متتالية، وإنه لم يذق طعم اللحم أبداً، فالقرون والصوف والحوافر وأي جزء من الشاة يأكله بنهم من غير طهي ويمكنه أن يشق أو يقرض العظام بأسنانه كالكلب، ودائماً بعد أن نفرغ من الوليمة يقوم «كولي» بوضع قطع من العظام في جيبه حتى يأخذ في قضمها أو مصها في أي وقت.

وفي طريقنا دائماً كنا نتقابل مع رجال يسألون عن اللّحم والتبوغ ولكننا لم نصادف شخصاً فظاً وخشناً مثل «كولي». إنه لم يستلم الروبية قبل أن نعود إلى (ماسكوتان) في الوقت المحدّد. وفي اليوم التالي وصل «كولي» مبكراً يلبس غطاءً من الصوف، وبدأ بالشكوى من سائقي الجمال والذين سنسير معهم الآن. وما أن بدأنا نغادر (بنوج) حتى كان بصحبتنا حشدٌ من الرجال ذاهبون إلى جزّ الحشائش وجمع حطباً للوقود، وعند مغادرتنا

البلدة كان معنا حُرّاس في مهمة قصيرة، يركبون البقر، وأخذ البقر يعاندنا في السير ولكن كان لديَّ خبرة في ركوب جميع الحيوانات والبقر. ولم أبالغ إذا ما ذكرت أن حقيقة الناس الذين يمتطون البقر إنهم مسؤولون جزئياً عن تعديل اللهجة؛ لأن الأسلوب الجديد يصبح ضرورياً ليعبر عن شعورهم بالسخط والغضب.

كانت الصحراء أمامنا، وعلى الجهة اليسرى بمسافة بدت (باسمان) وعلى الجهة اليمنى بحوالي ثلاثة أميال تقع سلاسل جبال (باجنج) و(جاشومال) و(باندي لاجي). في هذا الجزء من رحلتنا كان «عبد الله» لا يجاوب على أي من الأسئلة إلا «بقافية» و«نعم» وإنني سأذكر إجابته على سؤالي عن الجبال. أثناء مقاطعتي له عندما كان يغني أغنية يبدو أنها طويلة على الفرنجيّين وعن الصيد وسألته «ما هي أسماء هذه الجبال على يميننا؟ فتقدم أمامي ببطء وهو يمتطي جمله وجاوب وهو يغني:

هما كوه .. هما كوه .. جوستن كوهاني

... إيش باكينكَ .. وبند لاكي.

بعد حوالي ثلاثة أميال عبرنا جدول (جيه) الذي يتدفق جهة الشرق، وبعد ذلك مباشرة أدركنا قافلة من الحمير تحمل التبغ من (مهتر آباد) إلى (بمبور) لقد كانوا فرحين. وأحد الشاب الذي كان يعزف على آلة موسيقية، خاطبني باللغة الهندوستانية، فقد كان في الهند في (حيدر آباد) وفي (كراتشي). وعندما سألته عن عمله قال فقط إنه «كام والا» أي «رجل كادح»، وكان الشباب جميعاً يرتدون جوارب طويلة. بعد ثمانية أميال شاهدنا سلسلة جبال «لاشاري» الباهتة وذلك خلال يومين من السفر إلى الجنوب الشرقي، وبعد أن مررنا بصف كبير من الحفر في الأرض للوصول للماء كان على الجهة اليسرى نخيل التمر لبلدة (داري آباد) وبعد ميلين

آخرين وسط الأشجار وصلنا إلى (ماري).

مائتان من النخيل في هذا المكان، من هنا ملئنا مياهنا للرحلة من شق صغير محفور عبر الصخور على بعد بضع ياردات من جدول ماء غير عذب. في هذا الوقت من السنة توجد مياه في (لوكان شاه) و(جيشكوك) ولكن حيث أن سائقي الجمال التابعين لنا لم يسافروا على هذا الطريق من قبل فقد رتبنا أنا و«كولي» خطة لنمر في أول مرحلة إلى (لوجان جاه).

إن الجنرال «جولد سميث» قد ذكر في ملاحظاته عن (بلوشستان) بأن عدداً من الشيعة يزورون هذه البلد السُنية. ومع هذه المفارقات في مثل هذه الحالة فإنني أعتقد بأن ذلك يعتمد على الوقائع الآتية: ـ

أولاً: إنه من بلدة (جيشكواك) حتى الساحل لا شيء يعرف باسم دين الشيعة أو السنة إلا الاسم وبعض كلمات عربية.

ثانياً: لا يوجد أحد من الخمسمائة بلوشي يكلف نفسه ليعتقد في أصل أي من الأضرحة (المزارات).

ثالثاً: إن هذه الأضرحة ينظرون إليها على أنها طلاسم أو سحر مع مراعاة الشعائر والطقوس والتي ربما تجلب الحظ، ولا تسبب أي أذى.

كذلك قد سمعت مناقشات عمّا إذا كانت كومة الحجارة هي لضريح أم لا. وفي مكانٍ آخر ذكرت أن ديانة البلدة تقتصر على ثمانية أو عشرة أولاد وشباب في كل بلدة تعتز بالملا. والضريح الوحيد الذي صادفته كان للشيعة «الباي إي دولدولي علي» وهو ينتسب إلى (فانوج).

بعد أن أُلقيت علينا التحية العسكرية سرنا في ممر مرصوف بالحصي إلي خيمة كبيرة،و كانت الخيمة في غاية الجمال حائطها مُغطي برسوم وشعارات بلون أحمر ، مروراً بوسط الخيمة كان هناك مبني مستطيل نصفه مُغطي بالسجاد يُستعمل كمتكأ بينما النصف الأخر مغطي بالحرير وبه بعض

الوسائد . حول عمود الخيمة تذكار عن الصيد ، إنه حقاً يبين براعة الفارسين في العمل . و كنت علي شوق أن أسأل عن ذلك التذكار، وعن أسلحة الفرس الجيدة حقاً و ليس عن رداءة مثيلاتها.

كان «الخان» رجلاً فارساً متعلما و كريماً وكان مضيافاً لي ، حتي علي مائدته الخاصه ،و الحفاوة الطيبة التي لم أتوقعها منه بعد أن شاهدت هذا الحشد الطويل من المصلين عنده.وقتها كان شهر محرم يقترب وبعد ذلك لاحظت أن الفُرس كالأتراك و الرومان الكاثوليك يقدرون قوة الدين لديهم كسلاح لأجل الناس .في كل مكان من العراق كانت لهجة الأتراك منتشرة علي النحو: نحن أولياء الله، «السلطان هو أمير المؤمنين». ونحن نعيش في إسلام بول» (تعديل لإسطنبول) فكن حريصاً فيما تقوم به تجاه قوم مثلنا مقربين إلي الله.

إن الفُرس الذين يتكلمون مع الرجال هنا هم جهلة أكثر من رجال العراق[٦] وإشارتهم صارمةفي تمثيل الطقوس الخارجية لدياناتهم و العروض الكبيرة بمناسبة المهرجان[٧]. إن التحضيرلشهر محرم مازال قائماً وقد دعي «الخان» جميع البلوش للمشاهدة حتي الرجال الذين هددهم بالضرب الآن.

جلسنا نتحدث حتي المساء و كان حديثنا يشتمل علي مواضيع كثيرة ومتنوعة،وزوار جدد يصلون باستمرار،و قد سأل «الخان» ما إذا وجدنا أية علامات تشير لوجود مناجم في رحلتنا ، وخلال مناقشات عن سياسات (مكران) أراد أن يعطي انطباعاً بأن جميع الشيوخ المنطقة تحت سيطرته ، و هذا صحيح عدا قبائل الساحل التي هي تحت حكم (ميناب) . بمحض

---

(٦) يقصد أن الجنود الفرس هنا أكثر جهلة من الجنود الأتراك في العراق و معاملتهم مع الأهالي.

(٧) المهرجان : يقصد به مسيرة الشيعة أثناء محرم و عاشوراء.

الصدفة حولت الشك إلي يقين حيث أكدتُ فعلاً أنني كنت ظابطاً مسؤلاً عن سلاح المدفعية ، وزال هذا الشك عند ملاحضتهم للأزرار المعدنية الكبيرة التي في معطفي. وبأني قد حضرت إلي (فانوج) وكنت أقصد أن آخذ معي حقيبتي ، عندما سألت مسؤل المدفعية ما إذا كان بالإمكان إحضار مدفع عبر هذا الطريق أم لا، فأجاب أنه من الممكن إذا كان صغيراً. . وهكذا لم يعد هناك أي شك بأني كنت ظابطاً سابقاً.

عموماً أستأنف قصتي عن رحلتي في هذه الأرض عند منظرجبال الرمال الغير مألوف هنا في هذا المكان، وقد علمت أولاً أن «كاتنخار» و«شاكول» التي حتى الآن أعتبرها مترادفة، فقد كانا جنسين مختلفين. والمسطحات الملحية هناك تغطي سطح الأرض حيث تجد عشب الصندل تحتها بكثافة منذ سبعة أيام فقط. وهذا الملح بالمعنى ليس ملحاً حقيقياً بل إنه نترات الصودا.

كان من الصعب جداً ملاحقة الجمال ليشربوا الماء، حتى أخذ ثلاثة من الرجال يستعملون معها الأسلوب الخشن في نفس الوقت. كان «بارجة» يرتدي كنزة التجديف الخاصة بي ذات اللون القرمزي مع الكاب والشال الخاصين بي أيضاً اللّذين أحضرتهما من نادي لندن للتجديف. وكان «عبد الله» كالعادة يتعارك مع جمله وهو يرتدي فانيلة وعليها شال قرمزي اللون بينما عيناه الصغيرتان تلمعان تحت عمامة سوداء صوفية. لغته مع الجمل كانت غير عادية وكانت سلسلة من شتائمه فاحشة وبذيئة، هو بدون شك يجهل العربية والأسماء المستحسنة بصدق في الإسلام.

إن «كولي» يصّلي في المزار، و«جلال» يجلس ساكناً يمضغ التمر ويرتدي الفانلة الصوف وسترة غطاء قرمزي. إنني أعتقد أنه ليست هناك أية مجموعة غير مألوفة قد سلكت هذه البقعة المهجورة المقفرة. إن الرجال في كل مكان مهتمون بالملابس الإنجليزية حتى في (بمبور) حيث توقعت

منهم أن يظهروا بملابسهم العادية، ولكنهم كانوا يمشون بمنتهى العظمة وهم راضون عن أنفسهم بتلك الملابس.

«كولي» الآن يحثّنا على الإسراع في المشي حيث أنّ باقي المراحل كانت فوق التلال الرملية، وإنني بكل بساطة سوف أعطي ملخصات من مفكرتي لنستمتع معاً بقراءتها. قائدنا الآن قلق على كيفية تدبير علف الجمال؛ لأن بعد موافقة سائقي الجمال بأن نسافر من أي مكان قد نمّر به، ولكن أيضاً كان حماسي في أن نسرع بمسيرتنا بقدر الإمكان.

تقدّمنا بسيرنا من (ماري) نحو الشرق تقريباً لحوالي ثلاثة عشر ميلاً من (مسكوتان)، وقد مررنا بين جبال (ديربوم) المنخفضة وهي على بعد ثلاثة أميال على الجهة اليسرى، ومن (كانوك) على بعد ثلاثة أميال على الجهة اليمنى. وكانت هناك فقط أشجار شائكة صغيرة. وبعد ثمانية عشر ميلاً عبرنا جبال «جانجا» القاتمة وأرضها ذات اللون البنّي المغطاة بطبقة من الحصى الرملي، وهي تعطي شكل التلال البريطانية المحروثة جيداً. تلالها تمتاز بنباتات شوكية ذات أوراق جلدية وبكل نبات أربع أو خمس أوراق ميتة لونها أبيض جافة. وعلى بعد ٢٠ ميلاً لجهة الشمال الشرقي كانت هناك تلال رملية. أما على جهتنا اليمنى فكانت تقع بلدة «لوجان جاه» حيث عندها توقف الرجال لقطع «لورتي» ولكنني دفعتهم حتى لا يفسح أي مجال للتساؤلات أو التلميح في أي مكان نحن. وعندما انضم إلينا «عبد الله» كان وجهه عابساً وقد ذهبت ابتسامته ومرحه لأنه وقع على قدميه أرضاً من فوق ظهر جمله.

وعلى بعد ثمانية وثلاثون ميلاً على قمة جبل رملي عال بدت لنا قلعة (بمبور) على مسافة قريبة، وعندها بدأ التمرّد يظهر على «جلال» الذي يعلم سرّ اختراقنا بميلين آخرين للوصول إليها.

وأثناء سيرنا لهذين الميلين، ترجل الرجال أربع مرات رافضين تماماً التقدم أكثر؛ لذلك خيّمنا عند غروب الشمس. وقد تشاجرنا لأن الرجال يعلمون تماماً المسافة الباقية للوصول لبلدة (جيشكواك) التي كانت في الحقيقة على بعد ثلاثة خطوط رملية إلى الأمام. عموماً، انتهى الموقف ونحن نضحك، فهم حقاً رفقاء جيدين. هذا وإننا قد وفرّنا كمية من علف الجمال في هذا المكان المقفر، حيث لا يوجد إلا نبات (البيتو) وسيصبح الوقت ليلاً مباشرةً بعد وصولنا. تلك الليلة كانت شديدة البرودة، وفي صباح اليوم التالي نهضنا مبكرين وأخذنا نمشي بثقل في أعلى الجبال الرملية حتى وصلنا إلى (جيشكواك)، التي كانت تظهر كمدينة على خارطة (Pottinger)[(٨)] وكانت لا تبرز أيه علامة من أي نوع. إن هذا الاسم يشتمل بكل بساطة مكاناً من الجبال الرملية حيث تتراكم مياه الأمطار لمدة طويلة مما يحيّر (اللاشاريين).

بدو البلدة الذين من حين لآخر يلجأون إلى بسط خيمهم المصنوعة من صوف الغنم أثناء سيرنا. توقفنا أربع أو خمس مرات لنقدم العلف للجمال، وهنا مررنا بقوافل من الجمال حيث كان المسافرون عليها نائمون على الأرض، وهذه الحقيقة كان يشير إليها سائقوا الجمال خاصة قبل أن تنتهي رحلتنا التي تخللها فصلاً مضحكاً ضدي، فقد صادف دائماً كلما مررنا بقافلة نرى المسافرين فيها نائمين وحسب رأي سائقي جمالنا، يلزم علينا أن ننام مثلهم.

بعد أن سرنا أكثر لمسافة ميلين على الرمال العميقة بعد (جيشكواك) توقفنا على قمة جبل عال ورأينا في الجانب الشمالي الغربي حزاماً من

---

(٨) «Potinger»: كابتن عسكري بريطاني ذهب في رحلة إلى هذه المنطقة قبل «فلوير» بعدة سنوات وعمل مذكرات وخرائط عنها.

الأشجار الخضراء التي كنا نرى بينها قلاع (قاسم آباد) و(بمبور)، وقد كان الطريق هنا منقسماً فأخذنا سيرنا على طريق (بمبور) حيث كانت الجبال الحجرية والسهول الكثيرة. بعد ستة أميال وخلال الطريق بين (قاسم آباد) و(أسبهكه) تقابلنا مع قافلة من الحمير تحمل الحبوب والقمح من (بمبور) وكان بصحبة تلك القافلة رجل أنيق يمتطي جاموساً. بعد ستة أميال من (أسبهكه) رأينا حزاماً من الأشجار التي قطعنا منها حطب الوقود. كان عرض حزام الأشجار حوالي ميلين بمحاذاة نهر غير عميق كان يتدفق من الغرب إلى نصفه، فعبرناه حتى وجدنا أنفسنا في قناة للرّي فأيقنا أن مياه هذه القناة سترشدنا إلى (قاسيم آباد). وكان هناك على طول ضفة النهر من الجهة الشمالية أكواخاً صغيرة من القش بُنيت من عيدان الأرز وتبدو في حالة جميلة ونظيفة، أما الأشجار بجانبها فقد قُطعت فبدت ضعيفة. ما زلنا سائرين إلى الشمال الشرقي حتى بلغنا أرضاً واسعة صالحة للزراعة والتي بعد شهرين ستزرع بالأرز. بمرورنا هذا المكان اقتربنا من قلعة (بمبور)، وبعد ذلك سرنا في مكان منحدر أوصلنا إلى فناء المحكمة فأفرغنا الحمولة حتى الظهيرة تحت شجرة الكونار، وقد شعرنا بالفرح عند سماعنا لغة طهران الفارسية بعد اللغة البلوشية الغير جيدة والتي ستكون الشيء الذي سوف لا أنساه.

كان «الخان» نائماً عندما وصلت ولكن «الماجور» قد أدخلني غرفة كبيرة من فناء واسع، تحيط بها المساكن، المطبخ، ومخزن الغلة التي تدرس بها الغلة وبجانبها برميل الماء. كان جانب من الغرفة مفروش بالسجاد وقد التقيت ببعض المسؤولين الذين تعجبوا من لغتي الفارسية عندما فقدت غليوني وطلبت منهم غليوناً بلغتهم. كان الجنود يرتدون ثياباً منظمة ونظيفة وقد حيّرهم زيارتي أخذت خصوصيتي واستحممت لبستُ بدلة ملكية تتكون من بزة بيضاء، سروالاً، قميصاً نظيفاً، وطربوشاً وحزاءً

واسعاً، وكان «الخان» يمشي بعد أن رافقني الحرس إلى مسكن بموكب كبير. وعندما بلغنا هذا المكان كانت هناك ثلاث حدائق مجاورة للقلعة. إنه بدون شك كنت مسؤولاً ولكنه غير مصرّح لي أن أدخل إلى القلعة أو أرى البنادق. على كل حال إنني قد تعلمت من قائد الموكب الذي رافقني من مكان إقامتي حتى خيمة الخان الكثير من الأشياء. ولم يكن ثابتاً لي أن الجبل الذي بُنيت عليه القلعة هو أجوف، حيث أن هناك احتمالات عن حفر بممرات سرية تحت سطح الأرض. لقد دعى الخان خمسة أو أربعة من الأشخاص المحترمين لتناول الغداء، على كل حال فقد كانت هذه الليلة ليلة جميلة. وكان الخان قبل العشاء يحاول أن يعرف ما إذا كان لديّ بيرة أو براندي، وقد أدركت بأن ماء الشعير يعني البيرة. وكان تأكيدي له بأنني في البلاد التي تدين بالإسلام لا أستعمل الخمر أبداً، فقدّم لي زجاجة تحتوي على شراب كحولي التي صنعها هو بنفسه من التمر وحفظها للمرضى. وفي «بنوج» كنت قد سمعت كثيراً عن فرقة «بمبور» الموسيقية العسكرية، ولكن هنا لم أسمع أي شيء عنها، ولا حتى عن البوق الذي ذكر عنه الجنرال «غولد سميث».

«بمبور» بلدة كبيرة فيها قلعة مبنية بناءاً جيداً من الطين تتوج قمة الجبل، وهي على بعد ثلاثة أميال شمال النهر، وعلى طول حافة النهر توجد حوالي مائتان من عشب سيقان نبات الأرز وهي الشيء المهم في المنطقة، وإلى جهة الجنوب من هنا معسكر الجنود، الذين كانوا يسكنون في الخيام وبين جزء من عيدان نبات الأرز. إنهم يعملون في الحقل كعمال باليومية، وكذلك كان أكثر الجنود من الفرس. والحقيقة التي كانت ظاهرة هي أنّ مجموعة من الجنود الترك كانوا متواجدين في المكان الذي خيّمنا فيه. أيضاً كان هنا مائتان من رجال المدفعية وتسعة مدافع ومائة جندي من المشاة. وكانوا يعملون بالمياومة في الحقول للزراعة خلال النهار ـ وهذا ما

يقوم به الجنود الفرس هنا ـ وهذا ما كان يذكره الأتراك في المكان الذي كنت في فترة سابقة به بكل إزدراء عن هذا الأمر. ولكن في حقيقة الأمر أن هؤلاء (الجنود الأترك) كانوا يلجأون للسرقة لأنه لم يكن تُدفع لهم المعاشات.

وقد كان هناك في هذا المكان حوالي مائتان من رجال المدفعية وتسع مدافع ومائة من الجنود المشاة. وكان الجيش مجهزاً بالبنادق. أما سائقي الجمال فكانوا سابقاً يكرهون (القاجار)[٩] ولكن فجأة تحول كرههم إلى انبهار كبير. إنني أرى أن مهمة حاكم (الخان) جمع الضريبة الخاصة به وكذلك تهدئة مشاكل البلوش، وقد نظّم على أن تكون الزراعة بجانب قلعته، وأعطى الحبوب إلى المزارعين الصغار. ومهما يكن الموسم يحدّد الفائدة منه. كان المزارع يحتّج بأنه يزرع البذور ولكنها لا تنمو بينما قد ذكر (الخان) رأيه بوضوح أن الفلاّح قد خبأ القمح. حسب خبرتي الزراعية في هذه البلدة بأن الرجال الذين سيبذرون الأرض، إذا لم يُراقبوا فإنهم يخفون كمية كبيرة منها في الحفر. كذلك اشتكى رجال سلاح المدفعية حيث أنهم قد وجدوا أنه من المستحيل أن يجدوا علفاً لخيلهم، وأن (الخان) كالعادة مع الآخرين قد اشتكى عن تأخرهم في الدفع، وقد قرأ رسالة من «الأمير هوتي» يقول فيها إن (الخان) قد جمع (٧٠٠) تومان وسيرسلها قريباً. وكنت هنا قد لاحظت أن شجر النبق هو أفضل ما رأيت حتى الآن.

كان هناك أيضاً طاحونة عجيبة للقمح في الفناء الذي به سكني، إنها تحتوي على قرص طوله إثنى عشر قدماً يرتكز على قاعدة طولها ثلاثة أقدام في إحدى الجوانب. كان الرجل الموكل بها يقف بجانب الطاحونة

(٩) أي جنود الحكومة القاجارية.

يرفع المدقة الثقيلة إلى الهواء وعندما يقفز من عليها تنزل إلى أسفل بقوة حفرة على الأرض. بعدها يوضع القمح الذي دُقَ أولاً بالطاحونة لتقوم بعض النساء البلوش بدقه ثانية ونقله.

بعد أن عبرنا النهر ووجدت غليوني بواسطة امرأة من القرى، وقفنا لبضع دقائق ربما أرتدي جلد حيوان الطوبين الذي كان (جلال) يحمله على يديه. وإنه حسب المتبع كل قد قام بغسله عندما وصلنا إلى «بمبور» وخبأته وخبأهم في حفرة مظلمة في الحائط وكانت مبتلّة.

إن هذه الواقعة قد أغضبتني كثيراً. فهذا الأسلوب قد بيّن غباء ذلك الرجل العجوز. نحن الآن نعبر قنوات كثيرة. بعض الجمال تقفز وتستمر في القفز إلا إذا رُبطت أقدامها ووضع العقال في الخلف على ذيلها. سمعتُ بعد ذلك صوتاً مرتجفاً يصيح «صاحب، صاحب» هذه الجمال لابد من ربط أقدانها»، عندما التفت حولي وجدت رجلاً مسناً يرقد خلف ظهر الجمال ويجز الصوف من على أجسامها من وسط السرج حتى الذيل. كان ليلاً كئيباً مع ريح باردة تهب أحياناً، وقد مررنا على أشجار القطن ووصلنا إلى «كالات قاسم آباد». لقد لاحظت أن اللغة الفارسية هنا عامة أكثر من اللغة البلوشية، ولا أحد هنا يحاول أن ينطق العربية الصحيحة مثل ما في «كالات».

يبدو المكان شتوي ومعزول وسكانه القليلون تبدو عليهم الكآبة، ومن شدة البرد يرتدون ملابس خشنة بدون أكمام. كان الرئيس عبد من عبيد محافظ «بمبور». على كل حال نجح (جلال) في إخفاء الرجل المرافق لنا الذي أرسله معنا الخان. بدأت الريحُ تعصف من الشمال مباشرة من جبال (باشحان) المغطاة بالثلوج بالرغم من النار المشتعلة للتدفئة والكوخ الذي نمنا به تلك الليلة. ثم سمعنا صوت كسر صندوق صغير وأصدقاءنا لم يسمحوا لنا بأخذ أي حليب لنشربه، ولكننا قد اكتشفنا في الصباح أن بيتنا المريح هذا قد أفرغ من المرضى لتوه. عندما أردنا أن نبدأ أوضحت

للرجل المسؤول «بأنني أتمنى أن لا أكون قد أزعجت أي شخص بدخولي لهذا الكوخ. لا أبداً قال «إنهم قد ماتوا جميعاً» وقلت «الصندوق الصغير» نعم قال «لقد أرسله الله».

كان الجو بارداً للغاية تلك الليلة وإذا كنا الآن في لندن إنه بدون شك ذلك الشيء الأبيض الذي بدأ يظهر هو الثلج. لقد شققنا طريقنا وعبرنا الصحراء إلى (قاسم آباد) حيث كان غدير المياه مُغطى بطبقة من الثلج ولم يعد الجو طبيعياً.

لقد قيل لنا بأنه يوجد الكثير من الجمال هنا، ولكننا لم نرى أي شيء، كذلك لم أرى أي جمال ترعى وتأكل العشب. غالباً معظم الأشياء تُحمّل بواسطة البقر، وأطفال صغار، وقد شاهدنا طفلاً صغيراً على ظهر بقرة ترعى في أعلى الجبل. وهو يبكي بشدة. وقد تركها صاحبها بعض الوقت لإنهاء بعض الأعمال على الجبل.

كان (لجلال) لقاء مع (الخان) الذي حثه على زيادة التناسل في عائلته، فقد ذكر عن تجربة دوائية، ومن خلال الحديث عن عظمة (الخان) وذكاءه العجيب، وأصبح مهتماً لأن يرسل له. وصل الرجل العجوز فحيّاه وهو يبتسم برفع يديه إلى رأسه وقال «خوش آماديد خان» (أهلاً وسهلاً بك)، رجع (الخان) إلى الخلف وتلعثم وقال «وأنت أيضاً أهلاً وسهلاً بك»، وقد قدّم له الخدم الشاي والغليون. إن هذه المجاملة (لجلال) كانت مفهومة جيداً وهي في الحقيقة تعني أن يكف (جلال) كلامه عن (بمبور)، ومبرزاً «حسين خان» الذي تبلغ عدد خيوله (٩,٠٠٠) خيل. في الحقيقة إن نوع الأحاديث التي دارت بيني وبين (الخان) كانت على نحو «أنا قلت له» «وهو قال لي». في اليوم التالي وهو أول محرم صمّمت على أن أرحل في المساء حيث أنني ليس لديَّ رغبة في أن أحضر الاحتفال الديني في العشرة أيام الأولى من هذا الشهر.

كان سائقوا الجمال في اليوم التالي سعداء للسفر مبكراً، وقد قاموا بشراء سجاد، وأحذية، وجميع الأشياء اللازمة التجارة، وقد وجدوا أن الأحذية هي الشيء الوحيد الذي يمكن العثور عليه. لقد قررنا أيضاً أن نذبح شاة لدى وصولنا، ولكن الماشية هنا غالية الثمن فقررنا أن نؤجل الأضحية. في صباح يوم ٢٨ سرت مسافة من القلعة لرسمها وكان بصحبتي «جلال». وفي طريق عودتي إلى (بيد) كان «الخان» مشغولاً بالنظر إلى محفظة الأوراق الخاصة بي، يبحث عن خرائط للأرض. وبعد وداع ودي اتجهنا إلى الغرب وجلسنا بين حزام الأشجار في (كاسيماباد). إن مرشدنا «دومو» رفض أن يأخذ البقشيش بينما خان العجوز المتكلم عندما منحوه دولاراً قال إنه قليل. لقد أعطاني «الخان» رجلاً مرافقاً يُدعى «وفاد» ليرافقنا في الرحلة إلى الشيوخ ولإمدادي بأي شيء أحتاجه حتى الثانية بعد الظهر. في الساعة الرابعة بعد أن سرنا مسرعين بالجمال، وكانت الجمال هائجة في ذلك الوقت وصلنا إلى (لوشان جاها) وهو ليس إلا مكان في الصحراء به بئر ماء وبعض الأشجار التي لا تنمو ووجدنا هناك بعض (اللاشاريين) مخيمون بجمالهم. ولكننا وجدنا صعوبة في بداية الأمر؛ لأننا كنا نقيم في الأكواخ الخاصة بهم، حيث أن قوانين الضيافة تتطلب منهم أن يذبحوا لنا شاه . على أية حال إننا قد قبلنا منهم كيساً من الجلد يوضع به الحليب، وقمنا بشراء شاه بدولار. إن (اللاشاريين) قد أخذوا معهم الشاة وذهبوا بها بعيداً ليأكلوها مع عوائلهم بالإضافة إلى أنهم قد أكلوا معنا بقدر طاقتهم، بعد أن انتهينا من الطعام قاموا بإشعال النار، وقد ذبح الشاة بسرعة بجانب الخيمة بغير الدعاء المعتاد عند الذبح. ثم بدأ الرجال في سلخ الشاة بالطريقة العادية ولكنهم كانوا متشوقين لأكل اللحم، وذلك قد انعكس على عدم تجهيز جلد الشاة لأخذه معهم، فقد مزقوه قطعاً صغيرة. وما أن ظهر اللحم أخذوا يتدافقون على النار لشوي هذا اللحم، وهكذا انشغلت أسنانهم بأكل اللحم المشوي أما الأحشاء فقد أُعطيت (للاشاريين) وقد

التفوا حول النار ليأخذ كل منهم حصته من اللحم الغير مطهي وبعضهم يقرض العظم بعنف بقوة محمومة وفظيعة.

وبعد مدة أخذ اثنان منهم يأكلان كل ما تبقى منا بعد أن فرغنا من طعامنا. أما نصيبي من الكبد فقد قمتُ بشيه مع قطعة من دهن الذيل. وكان «جلال» تقريباً بدون أسنان، ولكن الشيء الذي كتبته مسبقاً بخصوص تمثيل «كولي» الممتاز، والفكرة الغير واضحة عن المخطط، التي قررتُها من الغول «عبد الله» و«بارجا». لقد وقع «عبد الله» للمرة الثانية من على ظهر جمله مما أعاق ذهابه إلى البئر لجلب الماء على بعد ميل من هنا. حقاً إنه كان خائفاً هذه المرة وإنه قد قرر أن يكتم شعوره في هذا العشاء الفخم.

إن (اللاشار) قوم نحيلون ولكنهم أقوياء كل منهم كان يرتدي «خنجر» من جانب واحد من حزامه ومجموعة أدوات من الجانب الآخر.

عندما سألنا مَنْ رئيس (اللاشاريين) أجابوا بأن هناك عدة رؤساء ولكن الأفضل هو «الأمير هوتي» حاكم (بيف)[١٠] مسافة يومين نحو الجنوب الشرقي. لقد قالوا أنهم دائماً يصلون إلى (شابهار) على الساحل أحد الرجال باع لي بدلة ثمنها ستة كران كان لتوه قد أكملها. نسيجها من الصنف الرديء الخشن وبدون أزرار على الأكمام وشكلها غير مناسب. هؤلاء الرجال قد أوقفوا بعض الجمال التي يمكنها أن تأكل أي نوع من العلف، ولديهم أيضاً حمير صغيرة، وأغنام ومواشي. إنهم دائماً يأخذون هذه الحيوانات معهم ربما يجدوا قش يابس ويحملون معهم القطع الصغيرة من القماش ويثبتونها على العصى ويستعملونها كخيم. في صباح اليوم

(١٠) بيف: في لاشار، وهي قاعدة للاشاريين ومشهورة تاريخياً في أشعار الأمير «جمعة بن دغار» عند غزوه لها في القرن السابع عشر.

التالي كان غطائي مثلجاً والزرع كان متجمداً ولا يذوب عنه الثلج طيلة اليوم.

كان المتبقي من شاة الأمس، الرأس والأرجل فقط، وحتى الأحشاء لم تُرمى. قبل أن نترك الخيمة بقليل رأينا قطيعان من المواشي، والماعز حوالي ستمائة، وقد مروا من أمامنا بحثاً عن الطعام. إنني قد ذكرتُ هنا أن السكان عندما يقومون بشراء المواشي أساساً ينظرون إلى قوة الشاة بالنسبة للعلف الذي معهم. إذ شاهد الشاري قطعان من المواشي تأكل في مكان به قليل من العشب فإنه سيلاحظ بأن هذه الحشائش قليلة. وآخرون يطعمون مواشيهم في الفضاء وهم في تشوق لأن يروا في الرقعة المكشوفة عشب للمواشي.

الآن قد تُفاجأ أن قافلة (اللاشاريين) قد بدّلوا مكان إقامتهم. فقد كانت القافلة تتكون من حمير ورجال ونساء كثيرات، ولكنهم منتشرون على خط حوالي خمسة أميال. أول من قابلناهم اثنين من النساء يرتديان ملابس رجال بالية من البفتة أمامهم حماراً وحيداً لا يقوى على المشي بسبب الرملة التي على ظهره. وبعد ذلك حماراً آخر محمّلاً بخشب الخيام وأواني الطبخ وبعض من الرجال وهكذا حتى بلغنا آخر القافلة.

إن الثعالب في هذا المكان كثيرة وقد رأينا ما لا يقل عن ثمانية. بعد ذلك مررنا على (ماري) المكان الذي جمع فيه «كولي» كمية من التمر وسار سريعاً حتى (ماسكوتان) وهنا كان «كولي» مسروراً مع مجموعة دولاراته. لقد خيمنا على بعد خمسة أميال من (بنوج) وكان الرجال ساخطون للغاية بسبب الخمس أميال الباقية، ولكنه من الواضح أنه ستكون هناك عاصفة ثلجية ربما أحتاج إلى طعامهم الخفيف لم يخففوا غضبهم كالعادة كانوا ينذروني بأنني لن أسوق الجمال غداً إلى (بنوج) وهذا يعني أنه عليَّ أن أسير المسافة المتبقية أربعة أو ثلاثة أميال إلى

(بنوج) المكان الذي يمكن أن أجد فيه جمالاً قوية.

عندما نهضنا من النوم في اليوم التالي كنا مكسوون بالثلج، ونجلس تحت أشجار (البير)، الآن هناك سرب من طيور (الكولاكس) الصغيرة، وكان تغريد البلبل جميلاً. وقد تخيلت صورة صف من طيور صغيرة تعشش مع بعضها في غصن مكسو بالثلج، وكانت هذه الطيور لا تستطيع النهوض بسبب البرد القارس. وتغريد هذه الطيور كان عبارة عن زغردة طويلة تبدأ من أعلى النوتة إلى أسفلها وكل نوتة تنقسم إلى ثلاثة أقسام كما تخيلتها. بعد ساعات من التغريد تبدأ في اصطياد طعامها.

إن «عبد الله» و«بارجي» ما زالا متجمدين ولكن أمام النار كانت هناك كومة ثانية تحترق بلا دخان في الرماد. إنني قد عرفت من خبرتي أنها رأس الضأن التي بدت وكأنها قطعت الآن من الشاة وإنها مدفونة في رماد النار والرماد مدفون في الرمل. كان الطعام يُعد في الليل ولكنه في النهاية لذيذ الطعم، يظهر أن أحداً قد نادى على جلال وأبدى ملاحظاته الشائنة عن قذارة البلدة.

لم نتمكن من السير حتى تتوقف العاصفة الثلجية، حسب البوصلة، فالثلج سيستمر لمدة ثلاثة أيام وربما تموت الجمال. لقد خففت ملابسي وبدأنا في السير حوالي الساعة التاسعة والنصف وكانت الريح الشمالية قد أذابت الثلج وأصبح البرد غير محتمل وأصابعي المكشوفة قد تجمدت تماماً.

بعد أربعة أميال مررنا بقافلة تستظل تحت شجر (البيش) أو (القش)، وقد قرر رجالي فوراً أن نتوقف لكن أنا و«جلال» وأنا تابعنا سيرنا فوجدوا أنفسهم خلفنا، أما سائقوا الجمال فقد لحقوا بنا. وللمرة الثانية توقف رجالي وهذه المرة قلت بأنني سأتركهم وأذهب، وحيث أنهم رفضوا أن

يعطوني جملاً، قررت أن أمشي. ومرة أخرى ذهب معي «عبد الله» وكان يضحك وهو غاضب يقول أنهم سيأتون وراءنا. وقد كان سرجي هذه المرة عليه طبقة سميكة من الثلج لأنني قد اخترقت أخدوداً طويلاً من الثلج المجمد.

بعد ثلاثة أميال أخرى نزل «بارجة» من خلف «عبد الله» تحت شجر (البيش) كان كومة من الأغطية، فقد قام «عبد الله» بسلوكه البطولي بأن ترك أخاه ولحق بي. حقاً إنها عاصفة ثلجية عنيفة ولإعطاء فكرة عن البرودة فقد شعرت بأن فخذي الأيمن قد تجمّع عليه الثلج وتجمّد وقد تقشر الجلد من عليه، كان ذلك خلال الأيام الثلاثة التالية.

بعد ساعة أخرى توجهنا إلى الجنوب وكان الجوّ أفضل من السابق. وبعد حوالي ٢ ميل من (بنوج) توقفت الريح وأشرقت الشمس فتوقفنا وأشعلنا النار، وكان معنا بارجة ومزجنا معه ثم أكلنا بعض اللحم والتمر. وقد تابعنا سيرنا تقريباً حوالي ميل واحد بطول الطريق. بعدها كانت هناك أرض واسعة وبيت مبني من الطوب الأبيض فتبين بأنه مسجد. بكل دقة ألقيت نظرة على المنطقة فوجدت دوائر مخططة، وحسب توقعاتي كانت تلك الدوائر قد رسمها المُلاّ بمناسبة شهر محرم، وقد قالوا بأنه فعلاً كذلك، لم يكونوا مهتمين بالأمر وإنني قد ذكرت سابقاً أن الدين في هذه المنطقة محدّد «بالمُلاّ» والشباب في المدينة.

لقد كان «شاكر خان» غائباً في (جيه) وقد أرسل رجاله عشاءً طيباً ولكن كمية بسيطة. وقد كان الرقاق المصنوع من الأرز هو من أطيب الطعام. إنني قد بدأت ثانية علاوة على البرد الذي مررنا به أن نصادفنا صعوبات أخرى، لذلك فقد نهضت في اليوم التالي قبل ساعتين من شروق الشمس وأخبرت «جلال» بأن يوقد النار. وكان في الخارج حاجزاً بالعرض ليعلّق عليه قرب الماء للمنازل المختلفة وكانت صلبة مثل

الحجارة مع قطعة جلد بطول ٢ قدم لتُعلق عليها.

على كل حال إنَّ الرجال الآن مطيعين، وكان «بارجة» خجولاً وقد قلت لـ «عبد الله» ربما يترك الغطاء الأحمر الذي عليه كهدية.

كان الرجال قد بدأوا المسير في شروق الشمس، وقد تركتهم قبل نصف ساعة لأخذ خارطة الطريق، وسرت تحت غابات من شجر النخيل وتعجبت أن أرى المستنقع وسط عيون للماء لا تعد والتي تنبع من الجبل إلى النهر.

إن في هذا الفصل البارد يتصاعد البخار دائماً حول مدخل الطريق. والثلاث أو الأربع أميال الأولى كانت ظلماء وباردة وقد عرضنا بين الجبال. إن الممّر الذي نحن به الآن كان كما مررنا به من قبل ولكنه قد فقد الكثير من جماله المتوحشة، فالجبال كانت يابسة، ونفس الألوان اللامعة كانت هناك. ثم سرنا بسرعة، وفي حوالي الساعة الرابعة عصراً خيّمنا، وذهب صلاح الآن لتحضير الطعام والطبّاخ البرتغالي كان يراقبه محاولة منه ليقوم بعمل شيء من الطعام.

جميع الرجال فرحين مبتهجين بي، وبنجاحي في الرحلة خلال التسعة أيام، إن «عبد الله» المسكين كان يقبِّل يداي وهو يقول: «شارين أتاكي شارين أتاجي» «إنك أثبت ذلك لوحدك وهذا جيّد».

إن الوقت يمر ثقيلاً معهم وكل واحد قال إن «صاحب» مجنون، وسائقي الجمال لم ينكرو هذا القول، وهكذا إنها وعود، ووعد تم الاتفاق عليه تحت الصعوبات، الآن كل شيء في الخيمة منظم، ونظيف.

إن الإجراءات الأولى هي أن أخلع ملابسي وأضعها للفحص مع ملابس الرجال، جميع الرجال والجمال كانوا على أحسن حال ماعدا «عبد الله» المسكين، حيث أن درجة حرارته كانت مرتفعة وقد أعطيناه عشرة جرعات

من مادة الكيناء. أما «عبد الله الآخر» و«بارجة» فقد كانوا عطوفين. بعد ذلك ذهبت إلى سريري لأنام وقد نجحنا في تلك الرحلة ونتائجها، وأشعر أنني قد عدت إلى بيتي أخيراً. قبل أن أنام ذكرت في مذكرتي الطباخ و«جوزي»، أو «جوجي» ـ كما ينطقها البلوش ـ الذي كان يأبى أن يتعلم لغة البلوش وكان قصير القامة ممتلئ الجسم قصير التنفس وكان منظره وهو قادم من رحلة طويلة يُرثى له. فقد كان كقديس أو ولي من أولياء الله، لقد سمعته يتكلم مع سائقي الجمال بالهندوستاني ويشرح لهم عن «سانت فرانسيس» الذي يمشي تحت الأرض وهو يسخط، ومن المتوقع أن يصعد إلى أعلى ليسأل لماذا هو الآن لا يقوم بعمله.

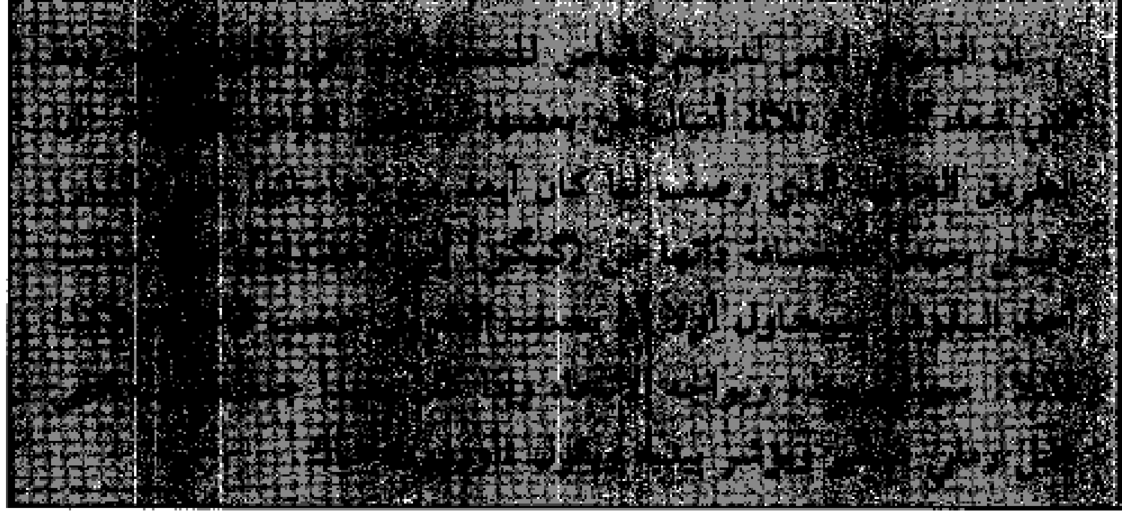
وكان أيضاً يشرح لهم أي اعتذار قد قدم إلى قداسته، كاعتذار عن حالة الفسق والهمجية من البشر المحيطين به، بدون شك إن كل هذا لم يكن مفهوماً لديهم.

الليلة وبينما كنت أحاول أن أنام سمعت صوته خارجاً وهو يتكلم بالهندوستاني ويلاطف شخصاً لا أعرفه يتوسل بقوة: «تعال إلى هنا ولنذهب إلى البيت كأصدقاء» «كيف لك أن تتصرف هكذا، ألا تعرف أنها بلد بربرية مليئة بالحيوانات المتوحشة. كيف لك أن تتركني هكذا وتعلم أنني أريد أن أنام.

إنني قد استغربت لسماع هذا الحديث ولكنني أعلم أنه لا يوجد أحد في المخيّم يتكلم أو يفهم اللغة الهندوستانية غيري أنا، فكان عندي حب الاستطلاع ونظرت من باب الخيمة لأرى ما يجرى خارجاً. كان «جوزي» يضع الطيور في قفص صغير يمكن نقله وكان دائماً يحب القنص، وكنت أقول بأن «جوزي» قوي، المهم أنه قد أمسك بها جميعاً ما عدا الديك لأنه كان يطارده وقد صعد لأعلى الخيمة وحاول أن يلاطف الديك لينزل من أعلى الخيمة وكان كلامه غير فعّال وأخذ يزجره بعصاه القصيرة.

الجزء الرابع






مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

في صباح اليوم التالي كان يجب أن أقوم بعمل تفتيشي دقيق. . «غلام شاه» و«جلال» كانا على قائمة الاتهام، ومع كوننا أصدقاء ـ ولكن يجب الحفاظ على النظام، كما يقول السيد «باكنيت»[1].

إستولى على «غلام شاه» هوّس لأنه قد اقترض من جميع سائقي الجمال نقوداً وقام بشراء بنادق، سيوف، ودروع، وقد أمرته إذا لم يتخلص من هذه الأشياء فإنه سيحرم من مرافقتنا، أما جلال العجوز فقد قمت بتأنيبه عمل غير مقبول لأنه استخدم إسمي في طرق غير صحيحة، وقمت بتنحيته إلى رتبة أقل للتعامل مع (الجمّالين) ويأتي يالشاي والسكر.

كان الجو بارداً ولكنه لم يكن كأول الطريق، وقد بدأنا الاتجاه إلى (جاسك) في اليوم التالي. كان على «جانكَي» أن يحضر حطباً وماء للمعسكر وقد أُمر أيضاً بأن يحضر جميع الجمال. لقد سمعنا الكثير عن

(١) (باكتنيت) ـ أو (باجنيت) ـ يبدو أنه أحد مسؤلي السيد فلوير في مركز التلغراف في «جاسك» أو أحد ضباطه العسكريين السابقين.

قافلة الفرس الغجر الذين قد طُردوا مؤخراً من (بنت) حيث أنهم كانوا يسرقون وقد ذهبوا إلى (جاسك). إن قوافل الغجر هذه قد عُرفت في المنطقة بالبراعة في الخداع، وكانوا دائماً ميسوري الحال، وليس بفترة بعيدة قام مأمور السند من (كراتشي) بإرسال حوالي أربعمائة متشرّد منهم وصلوا إلى (جاسك).

إن «الأمير حاجي» كان ما يزال في (گيه) ولكن وزيره (كريم شاه) قد أمر من قبله لامدادنا باحتياجاتنا. فقد طلبنا مرشداً لطريق (غابريغ) إلى البحر وخمسين (مّناً) من أرز (بنت).

إن أرز (بنت) كان في الأعوام الماضية له نكهة القمح وكان أفضل عندما كان يستورد من الهند ويخلط معه الحامض ليحفظه من التسوّس. وكان الأرز جاهزاً في تلك الليلة وأيضاً كل شيء. ولكن المرشدين لم يأتوا ولكنهم قد أكدوا أنهم سيكونوا في المعسكر قبل شروق الشمس في اليوم التالي.

على كل حال كان علينا أن نترك أحداً هنا.

إن «غلام» شاه المسكين قد أتى إلى الخيمة في هذه الليلة وقال بصوتٍ مضطرب إنه متأسف؛ لتركي له يرحل عنا، وشرح الأمر كالتالي: حينما كنتُ في (بمبور) كان مخيمنا كئيباً، وكان «صالح» يقرأ القصص الفارسية ولم يقصِّر في روايتها في الوقت الذي كانت فيه معرفته باللغة الفارسية قليلة كما تبين عند قدوم الـ«مهدي».

إن هذا الـ«مهدي» كان شخصاً صغير السن ومرحاً ومغنّياً كبيراً ويلعب على المزمار. بالإضافة إلى أنه سعيد الحظ وكان لامعاً، كما يقولون في (بومباي) «النصَّاب الأوروبي».

وقد كان غشاشاً مهذباً، ليس فقط استعار ملابس «غلام شاه» ولكنه

أقنعه بشراء ما سبق ذكره، والذي استلم عنه عمولة. على كل حال كنت عندما أحدّد الأمر الذي ذكرته سابقاً صبّر ذلك مهدي أولاً ثم بعد ذلك أخذ «غلام شاه» في يده وأقسم بأنه سيزوجه شقيقته.

في صباح اليوم التالي نهضنا مبكرين، ولكننا تأخرنا حيث أنه بدون شك يجب تنظيم الأشياء؛ لأن المشكلة المذكورة قد استمرت حتى الساعة العاشرة. وقبل أن نبدأ رحلتنا عزج المرشدون إلى أعلى وكان هناك «مهدي» و«غلام شاه». إن الوزير «كريم شاه» المسؤول قد تأخر، على كل حال رجالي كانوا جيدين وكان ليس لديهم مانع من أخذ المرشدين معنا، إننا فعلاً قد تأخرنا ولكنني قد قررت أن أتجه إلى (Pasgah) لذلك أعطيت جمالي لـ«عبد الله» الذي كان لا يزال مريضاً وسرت نحو القافلة بعصا طويلة بعد أن حملناه بخفة سرنا مسرعين لأعلى حوالي ثلاثة أميال في الساعة.

بعد أن عبرنا (زانجوتان) أخذنا طريقاً أكثر إلى الشرق، ووصلنا إلى بلدة (جاري داراب) إن الصديق الغدّار لغلام شاه قد تركه ليأتي ببعض التمويل للرحلة من الأكواخ المجاورة ولكننا لم نره.

وقد كان يرتدي في ذلك الوقت جاكيتاً وقميصاً وسروالاً ويحمل بندقية وسيف.

وأصبح «غلام شاه» محرجاً بسبب هذا الأمر، وطوال المرحلتين في رحلتنا كان خجولاً ويرفض كل أكل يُقدم له ولا يقترب حتى من جمله المفضل «جوجي».

بعد يومين عفيت عنهم جميعاً، فأُعيدا «جلال» و«غلام شاه» إلى عملهما. فتابعنا طريقنا السابق إلى بلدة (بازجا) وللآن لم تظهر الأنهار. ووجدنا أنفسنا نسافر على أرض لا بأس بها ولا يوجد بها شيء جديد.

ورحلنا إلى معسكرنا القديم قبل ساعة من غروب الشمس وأمرت الرجال بتثبيت الخيمة لأنهم تعاركوا على ما يتعلق بحمولتنا.

في اليوم التالي وقبل غروب الشمس حاول «رمضان» أحد المرافقين الغير متمكنيين معنا أن يضع بعض الصعوبات على طريق رحلتنا التي هي من بين جبال غير معروفة بدون مرشد، ولكن من استفساراتي واستخدامي للبوصلة تأكدت أنه من الممكن أن أجد طريق (غابريغ)؛ لذلك واصلنا سيرنا بصحبة «جلال» وحماره العزيز. بعد سيرنا حوالي (٢) ميل من الجبال وجدنا ثلاث طرق. أخذنا الطريق الأيمن واتجهنا (٢) ميل نحو الغرب. بعد ذلك عبرنا (جيديش) وقد تأكدنا أننا على الطريق الصحيح حيث أننا وجدنا أثراً للقافلة التي كانت هنا في الليلة السابقة.

عندما أتكلم عن الطريق، يجب عليَّ أن أفهم المعنى في أنه ليست ممرات وعربات نقل ولكن عبور العقبات مثل الهاوية، والسير لمرور الجمال المحمّلة. ثم تابعنا نهر (جيديش) ووصلنا إلى خيمتان وكان هناك قطيع من الماشية والغنم التي وصلت الآن من (سذيج)، أما السكان هنا فقد تعجَّبوا من أن يروا رجلاً أبيض يتكلم البلوشية، لقد قالوا لنا إننا في الطريق الصحيح، وعلى بعد ثلاثة أميال يوجد طريقان، الطريق الأيسر يتجه إلى (سذيج) والطريق الأيمن يتجه إلى (غابريغ).

حسب إشارات رأسه ويديه يمكنك أن تقدِّر المسافة. إن رجلاً من ساكني بيوت السعف قد رافقنا إلى الطريق الصحيح إلى (سذيج) من ممر شديد الانحدار وقد فكرت أن أنتظر حتى أرى الأمتعة.

إن الطريق إلى الشمال أطول ولكن الأمتعة خلفنا، وقد حللنا هذه المخاطرة بجمع الرجال ليدفعوا الجمال ولكن ثلاثة من الجمال نقلت

الحمولة التي عليهم فتأخرنا لمدة نصف ساعة. ونحن الآن في أرض مرتفعة. وقد أدركنا المسافة إلى (بندي ديشكاري).

حوالي خمسة عشر ميلاً من بداية سيرنا تقع (جامكي) على بعد خمسة أميال غرباً. هنا طريق يقطع طريقنا إلى (سارتاربي). الآن قد لحقنا بالقافلة التي تعسكر في المكان الذي مررنا به هذا الصباح. كان هناك سبع عربات محمّلة عشرة أو اثنى عشر كيساً من التمر في كل واحد منها، يصحبهم ثلاثة أو أربعة حمير يحملون كيسين.

كان الرجال يسيرون على أقدامهم وكانوا سائرين ثلاثة أيام من (بنت) إلى (سذيج) ولكنهم كانوا يقومون ببيع سلة من البلح عندما يصادفون جمع من الناس في أي مكان ويأخذون بدلاً عنه الملح، السمك اللذيذ والملابس الزرقاء، وكانوا بغاية اللطف.

عندما تركنا (شاريكي) باتجاه اليسار وشاهدنا صديقنا العجوز (شيهران إيكوه) سرنا ستة أميال، عبر (نهر سوريني) وسرنا نحو ٢ ميل حتى وصلنا (سذيج) كان المكان بديع للتخييم ولكن سرنا ساعة أخرى وقررنا أن نخيّم هنا. كان قاع النهر الرملي به نبات «الكورتي» بكثرة. أعلى الساحل الصخري حوالي سبعون قدم إلى الشمال الشرقي وكانت المياه حلوة. إن البلوش المقيمين في تلك المنطقة قد ذكروا أن أحلى المياه هي التي وجدوها هنا، كذلك يوجد في نفس المنطقة بطاطا حلوة. وصديقنا الذي شاهدناه بالأمس قد مرّ من هنا عندما خيَّمنا في المكان، في هذا الطريق ضحكنا كثيراً على «جلال». بعد ذلك لم أتمكن من النوم ولم أسمح لأي شخص أن ينام حتى بجانب خيمتي. هذه الليلة كانت باردة وكان «جلال» بجانب الخيمة ولم يكن هناك لمدة نصف ساعة قبل أن يجبرني أن أطرده خارجاً بسبب شخيره. لقد حمل فراشه وخرج. وجلس مع بعض الرجال حول النار بجانب الخيمة. متوقعاً أن يجد مكاناً للنوم أفضل ولقد قالوا له

«لا يوجد إله إلا الله الواحد» هل تعرف أنكم قوم عاديّون ولا تعلمون هذا الرجل «صاحب» له هالة قدسية.

ثم أكمل «جلال» قائلاً: «وصدقوني - إذا لم يكن مع هذا الرجل «صاحب» كلباً فإن الملائكة ستكون بمقدورها رؤيته فقط لا غير، وإذا لم يأكل لحم الخنزير؟ يأكل الخنزير؟ قال «جلال» ومن أنت حتى تقول يأكل «صاحب» لحم الخنزير؟ هل أنا لا أرى أي شيء يأكله؟

وتمنى جميع الرجال قائلين «لا لا هو لا يأكل لحم الخنزير»، وكانت هذه الأيام هي أيام صيام، وفي الحقيقة فإنني لم آكل لحم الخنزير ولو أكلت لحم الخنزير فإنهم لا يستطيعون تناول الطعام ويبقى القدر غير نظيف، قال جلال هل تعلم لماذا لا يسمح صاحب لأي شخص أن ينام في خيمته؟

لماذا؟

لماذا؟ قال «جلال» بسبب أكل لحم الخنزير سابقاً فإنه يقضي كل الليل في الصلاة وإنه بلا شك لا يريد أحداً أن يزعجه. إنه كان صادقاً تماماً، وإنني قد شاهدته من قبل يومين يؤشر على كتاب للصلاة.

إن نهر (سذيج) الذي نخيّم بقربه الآن هو أكبر من السابق عندما كان يصب في البحر. من الجداول المختلفة في الجبال التي كانت ثلاثة أو أربعة منها تصب في ممرين للجبال والبحر، وقلة كمية المياه والباقي منها كان يضيع في الرمال. إن نهر (سذيج) ينبع من خلف (باندي نيلاج) والذي يشكل ممر (شمسان)[٢] مما يؤدي إلى سلوك الطريق للمناطق

(٢) ممر (شمسان): معروف للقوافل العابرة بالمنطقة وكان يُستخدم من قبل رجال القبائل في مهاجمة حملات القاجاريين عند عبورهم ممر (شمسان) في ملاحقاتهم لهم.



الداخلية؛ لتجنب المرتفعات الخمس أو الأربع إلى الساحل الصخري المنحدر في جانب أو آخر، ولمراعاة الإنحناء الكبير الغير عادي، لتجنب ذلك بدأنا سيرنا إلى أسفل الوادي عند النهر. أحياناً كنا نمر على طريق حصوي قاسي وأحياناً أخرى نمر أسفل الوادي على نهر ضحل. إن قاع النهر كان يختلف من حيث العمق، وكان عرضه حوالي ميل ونصف، أما الآن فيجري بكل إنسيابية مكوناً أركاناً تسمى (كجه) وكل ركن له اسم ولكن رجالنا لا يعرفون تلك الأسماء. إن هذا المكان يصلح ليخيِّم فيه أي فرد يكون طعامه وزاده معه[٣].

(٣) يُلاحظ هنا دقة الرحالة «فلوير» في ملاحظاته العسكرية المهمة التي تبين المسار للطرق المختلفة وأماكن المياه العذبة وهنا يتكلم عن المبيت للجيش والأفراد إذ كانوا يحملون زادهم وطعامهم معهم.

ومن الآن وبعد هذه المقدمة فإني أرفق مذكراتي كالتالي:

في الخامس من فبراير وبعد خروجنا من المعسكر بخمسة أميال من (سذيج) كان الطريق غرباً ممتد بطول ٢ ميل. طريق حصوي وقد تركنا (شيران) خلفنا وهبطنا من المضيق إلى الوادي الذي كان من أعلى الضفة يظهر بشكل جميل من الخضرة والأشجار. عبرنا جنوب الضفة وتابعنا سيرنا لمدة ثلاثة أميال أخرى، خلال هذه المسافة عبرنا أربعة طرق خطيرة، عدا الجانب الأيمن.

طبقة صخر تنحدر من الجهة الشرقية لضفة النهر إلى منتصف المجرى وتنتهي بصخر وعر من بضعة أقدام من الماء. إنها المرة الخامسة التي نعبر فيها النهر الذي يجري من الجبال إلى الساحل. وجبال عالية على الجانبين، بعد مرورنا للمرة السادسة في طريق ضيق.

بين العبور السابع والثامن عبرنا مساحة بعرض نصف ميل جميلة للغاية وبها حشائش طويلة وأشجار كثيرة. بعد ذلك عبرنا مرتفعاً ضيقاً على الضفة الشمالية. ولم يكن هناك أثراً لأي عربة منذ وقت مغادرتنا المعسكر، مسافة بسيطة التقينا بشيكاري أوقناص اسمه «شيه مريد» وكان معه جملان محملان بـ«القش» متجهة إلى (سذيج) وبعد (٢) ميل إلى الجنوب ثانية كان أمامنا ظهر جبل «سوراك» عبرنا النهر ثانية وجبنا حوالي أربعمائة قدم إلى أعلى ضفة النهر من الغرب. لقد أكّد لنا «شيه مريد» بأنه ليس هناك طرقاً مستقيماً ولابد أن يوجد طريق ومن الممكن أن نسير فيه، وعندما اتجهنا إلى الشمال الغربي كانت (سوراك) خلفنا حيث تنتهي من الجهة الغربية ببلدة (غابريغ) والجهة الشرقية ببلدة (سذيج).

لقد دخلنا وادي (سذيج) مرة ثانية وتوقفنا قبل ساعة من غروب

الشمس، بينما كنا في انتظار وصول أمتعتنا اقترب منا رجل بلباس أنيق ومعه عبد وجمل. وقد أخبرانا بأن هذا الطريق سينقسم قريباً إلى طريقين غداً ويجب علينا أن نسير في الطريق على الجهة اليمنى إلى (غابريغ)، إنهم كانا في طريقهما إلى (بنت) وكانا خادمين للأمير «حاجي».

عندما أتى الليل كنا هنا أنا و«صالح» و«جلال» وحماره والجمال. وقد أشعلنا النار حيث كان الجو بارداً في تلك الليلة، وقد تأسفنا لأنه لم يكن هناك طعام معنا، ثم سمعنا صوتاً في الظلام، فمشى جلال في اتجاه الصوت وأخذ يصيح ولكن صدى الصوت كان بين الجبال. وقد تحيَّرنا ولم نعلم من أين أتى ذلك الصوت، وأخيراً وصل الرجلين الاثنين وحيواناتهم، فقد ضلوا طريقنا عندما قطعناها عبر منحنى من ستة أميال، ولكنهم تبعوا النهر حتى رأوا النار التي أشعلناها، وقد جلسنا في مكان سبقه إلينا بعض الفُرس الذين تم طردهم من (بنت). لقد قمنا بتوزيع التمر والأرز، وقد رفع الجميع أيديهم للتحية عند الأكل عدا «تاجو» الخبير في ركوب الجمال كان هادئاً.

إنني أود أن يأخذ الرجال قسطاً من الراحة، وكذلك الجمال ولكننا قررنا أن نتابع السير، وفي الصباح الباكر من اليوم السادس حمّلنا الجمال وعبرنا النهر للمرة الثانية عشر، واتجهنا إلى الطريق الغربي وإلى الجنوب الشرقي لنهاية جبال (جوراني)، وبعد أن عبرنا للمرة الثالثة عشر اتجهنا إلى الطريق الغربي بين عيون الماء التي بها الحشائش الكثيرة وهنا قد لحق بنا «شيه مريد» والحمّالين اللذين يحملان «القش»، بعد ذلك صعدنا إلى المضيق على الضفة اليمنى من أعلى ذلك المكان فشاهدنا منظراً عظيماً للنهر الأزرق، والحشائش وحوله الجبال الجميلة، ومررنا على أرض مردومة منذ زمن بعيد. وقد انقسمنا حينها عن أصدقائنا الذين أخذوا طريق (سذيج) إلى الجهة اليمنى، ودخلوا إلى طريق منحدر ووصلوا إلى منطقة

حصوية عند ممرات الأغنام، وفوراً اندفع الرجال ليسألوا عن الطريق ولكن الساكن الوحيد كان امرأة عجوز بدون أسنان، ولم تقل أية كلمة. جميع من معنا تابعوا السير وعملوا بالرأي بأن أي شخص لا يفهمونه يجب أن يصمتوا. إن الاتجاه الذي أشارت إليه المرأة العجوز كان على جبال صعبة المسير، ولكننا أخذنا الطريق الجنوبي الغربي فرأينا النهر الذي لاحظنا بأنه سيكون على طول طريقنا.

التقينا هنا بولد صغير وقد أغاظني كالمرأة العجوز التي التقينا بها، إنه من السكان البلوش وقد أزعجنا في هذه الرحلة؛ لأن من عادة البلوش أن يستهلوا أية ملاحظة أو الردّ بتكشيرة كبيرة، سألت هذا الطفل «أنت بلوشي، أليس كذلك؟ وكان هذا يعني نوعاً من التحية، وإنني أعتقد أنه ليس هناك كلمة صحيحة بالإنجليزية بهذا المعنى، وهي تعني أيضاً «جميل»، أو «أنت رجل مدرك أليس كذلك؟ عندما التقينا بـ (الاشاريين) في المرة الأولى في (لوكان جاه) أخذوا يعنفون عبد الله» بشدة رداً على سؤاله عن الطريق دون مقدمات عن السؤال عن قبيلتهم وأصلهم. إنها شهادة واحدة عن الشعور القوي لوطنية البلوش[٤] والتي كانت واضحة في تعاملاتهم.

حسب هذه المعلومات خضنا النهر وأعتقد أن اسمه كان «هيماني». وبعد تأخيرنا لبعض الوقت بسبب الوحل والجمال واصلنا السير.

ربما يلزم أن أسجل هنا أن قافلة الجمال تمشي لمسافة مائة ميل على

---

(٤) هذا صحيح، وحتى هذا اليوم عندما يلتقي أبناء قبائل البلوش يرحبون ببعضهم ويسألون عن أحوال قبائلهم ثم يبادرون بالأسئلة الأخرى ويعتبرون من الجهل أو قلة التهذيب أن تبادر بالأسئلة دون الطريقة المتعارف عليها. وكذلك فإن طال جلوسهم فإنهم يعتبرون عدم المعرفة بالنسب وأنساب القبائل من الجهل في الأصول والعادات.

خط مستقيم، تعطي رؤية جميلة للطريق. بالممارسة أيضاً ممكن أن يُعرف إذا كان الجمل محملاً أم لا. بعد ربع ميل بطول الضفة جبنا إلى جهة الطريق نحو الجنوب الغربي، وفي محاولة مني لمعرفة الطريق عبرت واحة صغيرة وجميلة فيها غابات من شجر النخيل، تظهر الأشجار جميعها كأنها ماتت منذ سنين، غالباً ما يكون ذلك بفعل تغيير مجرى النهر الذي كان قديماً يسبقها.

هناك في (مكران) مساحات كبيرة من الأشجار قد دُمرت بنفس الطريقة وهذا دائماً نراه عندما يقطع النهر الطريق خلال الرمال الناعمة ويشق مجراً جديداً كل سنة. إن قاع النهر هنا حصوي تماماً كنهر «هيماني» ولكن يوجد جبلان كبيران واحداً على كل جانب، وقد حددنا الطريق الذي اخترناه بعد أن سرنا حوالي أربعة أميال بين مساحات عالية وعبرنا انحداراً عريضاً على الجانب الأيمن. إن هذا الانحدار الوعر كان مُغطى بحجارة وحصى رملي وكانت به آثاراً لأقدام رجال وجمال وقد شققنا طريقنا بدون أي أثر للطريق لمدة ثلاثة أميال وقد وجدنا حفرتان مليئتان بالمياه فتوقفنا للعشاء.

لقد رأينا الآن أننا نقترب من حدود الجبال ونمشي على مسطح منبسط مالح ووصلنا إلى مكان مفتوح خلف (جبال هون) توجد هنا بيوت سعف النخيل وقطعان المواشي، وبعد أن مشينا كل هذه المسافة كانت لي الرغبة الشديدة بأن نخيّم هنا. على كل إنه باقي ساعة على مغيب الشمس وقد خيّمنا تحت بعض الأشجار.

مسيرتنا اليوم كانت من شروق الشمس حتى مغيبها، وقد كانت رحلة شاقة والرجال قد تعبوا لدرجة أن الصندل الذي يصنعه البلوش من سعف النخيل قد إهترأ، والجمال أيضاً تعبت وكذلك الحمير.

كانت هناك قرية[٥] صغيرة وملامح السكان هنا تختلف عن أية أُناس شاهدناهم من قبل، كانت أعينهم كبيرة لامعة وبشرتهم زيتونية اللون ونظيفي المظهر. وقد حضر رئيسهم إلينا وطلب بشدة النرجيلة، وعندما ذبحنا الشاة، جميع الرجال ألّحوا علينا أن نعطيهم بقايا الذبيحة وأحشائها. وكانوا يريدون شراء المعطف الخاص بي. وكان عليَّ أن أخرجهم من المخيم.

وقد أقاموا في هذا المكان حديثاً وكانوا من قبل يقيمون في (غابريغ) ولكن كان الأمير «عبد النبي» يتقاضى منهم الخراج وكانوا يظنون بأنهم سيكونوا في مأمن في المستقبل.

طريقنا الآن مستقيم على ساحل شديد الانحراف نحو الغرب. لقد ظهر الطريق أمامنا على ساحل رملي، وعند اجتيازه كانت أقدام الجمال متكيّفة معه، وكان بيننا وبين (جاسك) فقط نهران هما (غابريغ) و(جكين). في صباح اليوم التالي كنا في غاية الفرح. أنا و«صالح» اتجهنا إلى الأمام وقد رحلنا إلى النهر كما توقعنا وكان «صالح» يدفع الجمال بعنف قبل أن يرسل أولا شخصاً ليستكشف عمق القاع.

يجري النهر قاطعاً الرمال وله مظهر مختلف عن المجرى نفسه، بينما كانت الرياح تعصف بين الجبال الصخرية. وبدلاً عن الماء النظيف إننا نمشي الآن في ماء غير صاف ومساحة واسعة موحلة بينما لا يمكن أن ترى شيئاً، كان قاع النهر حوالي ثلاثمائة ياردة وفي هذا الفصل يبلغ وادي

(٥) قد تكون هذه القرية ـ إن لم أخطأ ـ هي (هون) التي ذكرها الرحالة البرتغالي «تكسييرا» في كتابه عن ملوك هرمز وأنها في الأصل (عمون) تصغير (عُمان) وتسكنها العديد من قبائلهم في هذه المنطقة. راجع Texirra, Pedro.، والقرية الأخرى Haymen «هيمن» وتعني حيل اليمن أو أهل اليمن تأسياً بأصول قبائلها التي استقرت في هذه المنطقة.

(غابريغ) حوالي مائة ياردة عرضاً. وصفة هذا النهر له ضفة أو طرف جانبي رملي بارتفاع اثنين إلى ثلاثة أقدام، وهذا الساحل به كتل من الرمال التي تندفع مسرعة إذا ما لمسها الماء.

الضفّة الأخرى بها انحدار رملي كذلك وهناك جزر رملية وهي مغطاة كليةً بوحل زلق كان مهلكاً للجِمال. بحيث تنزلق في بعض الأوقات أرجلها وتُشج. إن أول عملية عند وصولنا إلى ضفاف النهر أن نتوقف ونرسل اثنين من الرجال ليقطعا النهر وليكتشفا مدى عمق القاع. لقد وضعا ملابسهما على رؤوسهما وأخذا يمشيان بالعصى وهم يتمايلان فربما تعلق أرجلهما بالوحل في المكان الرملي الناعم الزلق. باقي الرجال يقفون على الضفة ويتمازحون حتى أن صدى هذا المزاح كان يحدث صوتاً، وفي بعض الأوقات يصل مستوى الماء والوحل إلى وسط أجسادهما إلا في المجرى العميق فإنهم يطفون إلى أعلى عند ضرب الماء بأيديهما. أحياناً تكون هناك أماكن سيئة نجد فيها علامات من نبات «الطرفاء»، وأحياناً أماكن مستوية وقد يقطع الرجال مسافات من السير، ويسيرون أسفل الممر هكذا عكس ما ذكره «د. نوتون» في كتابه (نصائح للسفر) والذي قال فيها: «إن خوض النهر أحياناً يكون سهلاً مرتين وأحياناً أخرى يصعب خوضه»، وفي بعض الأحيان يكون الجمل غير محمَّل فيقطع النهر مرات ومرات عديدة، وإذا كان الجمل محمَّلاً حملاً ثقيلاً لا يقدر على عبور النهر.

عندما يكون الطريق جاهزاً يمشي الجمل المحمَّل أولاً مع اثنان أو ثلاثة من الرجال على جانب ليسندون الجمل، واثنان خلفه بعصاهم الكبيرة لحثّه على المشي ليبذل قصارى جهده قبل أن يغوص في الوحل.

مع عدد من الرجال تصبح عملية اجتياز النهر سهلة، ولكنها كانت تختلف معي و«صالح» بغير رجال آخرين معنا. على كل حال إننا حاولنا مع الجمَال السير لنعبر النهر ولكنها كانت خائفة تريد الرجوع إلى الشاطئ

وقد أوقفناها في جزيرة موحلة في منتصف المجرى وبدأنا في شدها.

إن النصف الآخر كان عميقاً وليس أمامنا سوى ساحل موحل رملي يرتفع حوالي ثلاثة أقدام. إننا مضطرون للسير، وكنا نتراقص بفعل الأرض الموحلة الزلقة المهلكة. أخيراً كان الرجال يزمجرون وهم خائفون مما أربكهم وقد غطسوا ثانية ووجدوا أنفسهم غير قادرين على ضمّ أرجلهم فالأرض كانت زلقة، وقد برك الجمل على ركبتيه وكان «صالح» خلفي يحدث صوتاً كأنه كان يغوص في الوحل والمياه تغمر الأشياء التي معنا. وقد أعدت أشيائي بواسطة العصاة الغليظة التي أستعملها لضرب الجمل، وأخذ «صالح» يدور حولي وأنا في الوحل. إننا الآن مبتلين و«صالح» يمسك بلجام الجمال، إلى أن أقتطع عصاة أخرى جديدة وهو الآن يدفعها إلى الأمام وأنا أضربها من الخلف لحثها على وقمنا بعبور النهر (نهر وادي غابريغ).

نحن وكل ما نحمله من فرش النوم والبطاطين في حالة سيئة ولن نتمكن من سياقة الجمال لمدة العشرة أميال المتبقية للمعسكر التي نحن الآن قد قطعنا نصفها بين (غابريغ) و(جغين) وقد خيّمنا وتناولنا طعام الغداء، بعد ذلك غفونا لمدة نصف ساعة وكان القمر متألقاً ولامعاً بعد ذلك اتجهنا إلى (جاسك).

عموماً إننا الآن قد قطعنا الجزء الأكبر من الرحلة على غير ما كنّا متوقعين، وعندما بدأنا السير توارى القمر خلف الغيوم، فصعوبة ركوب الجمل على الطريق الوعرة من سطح الجبال الرملية في ليلة مظلمة يحتاج إلى خبرة، والأمور التي كانت من الممكن التحكم فيها أصبحت الآن ليس لدي القدرة على اختيارها، وهكذا حسب ما كنت أنا و«صالح» نسوق الجمال حتى على الأرض المستوية وفي أثناء النهار ونفكر في أننا ربما نقع بسهولة في المجرى أو نقفز. لكننا اليوم نبذل قصارى جهدنا لنشق الظلمة.

وفجأة كان هناك شيئاً أمامنا على بعد خطوات، اصطدام قوي وإرتجاج مع دوران سريع يفتت العظام، ووجدنا أمام جمالنا جبلاً رملياً ضخماً ومرعباً، كان علينا أن ننحني بشدة ونقبض على السُرج حيث أن الجمل دائماً يقف على رجليه الخلفيتين ليرتقي المكان المرتفع إذا كان هناك حملاً ثقيلاً. على أية حال الرجوع إلى الخلف أو التقدم سيكون صعباً، لقد اندفعنا بحرارة إلى أسفل وكان عزاؤنا أن نلتقي بأصدقائنا في (جاسك).



«حصن جاسك»

وفجأة، بغير توقع وجدنا أنفسنا بين الأشجار التي كانت تحيط بضفة نهر (جغين)، فالأمر أصبح خطيراً حيث أن هذا النهر به بعض الأماكن بحوالي أربعون قدماً صخرياً ووعراً وأقدام الجمال لا تنغرز في تلك الأماكن. وهنا قررنا أن نتوقف لبعض الوقت وكان القمر منيراً وقد أدركنا أننا نتوقف الآن في مكان كانت فيه قبل لحظات قافلة.

لقد توقعنا مشاكل أخرى مع الجمال، ولكن نبات الطرفاء قد هدّأ من روعها، صالح يمشي أولاً لعمل مناورة عسكرية ليستكشف المنطقة. لقد اتجهنا إلى الضفة المقابلة فوجدنا بها عدداً كبيراً من طائر البحر «المالك الحزين»، بلونه الأبيض وهو يقف على المياه الضحلة.

إن بلدة (جغين) هي منطقة للصيد والقنص وقد توقفنا الآن، وعلينا أن نؤدي العمل على أجزاء متفرقة حيث أن في النهر حفر خطيرة متفرقة.

لقد تقدمنا على أرضٍ مالحة منبسطة فيها غابات صغيرة وعبرنا (بكدار) حيث جلسنا واسترحنا في حدود ١٠ دقائق تحت شجرة «الكنار»، وأيضاً على الجبال الرملية حتى رأينا غابات شجر النخيل لبلدة (شهرنه) حيث توقفنا لمدة عشر دقائق لنتعشي قليلاً حيث كان هناك الكثير من التوت المليء بالعصير. بعد ذلك اتخذنا الطريق إلى البحر وقد جُبنا الرأس البحري لـ(حشدان). وفي الثالثة مساءً رأينا (جاسك) وبعدها بساعة ونصف كنا نتصافح مع الرجل الأبيض وكانوا يباركون لنا على سلامة العودة.

لقد عاد الرجال والجمال إلى بلادهم خلال الأربعة أو الثلاثة أيام التالية وكانت أحزمتهم التي يلفونها حول الخصر قد امتلأت بالمال.

الجزء الخامس





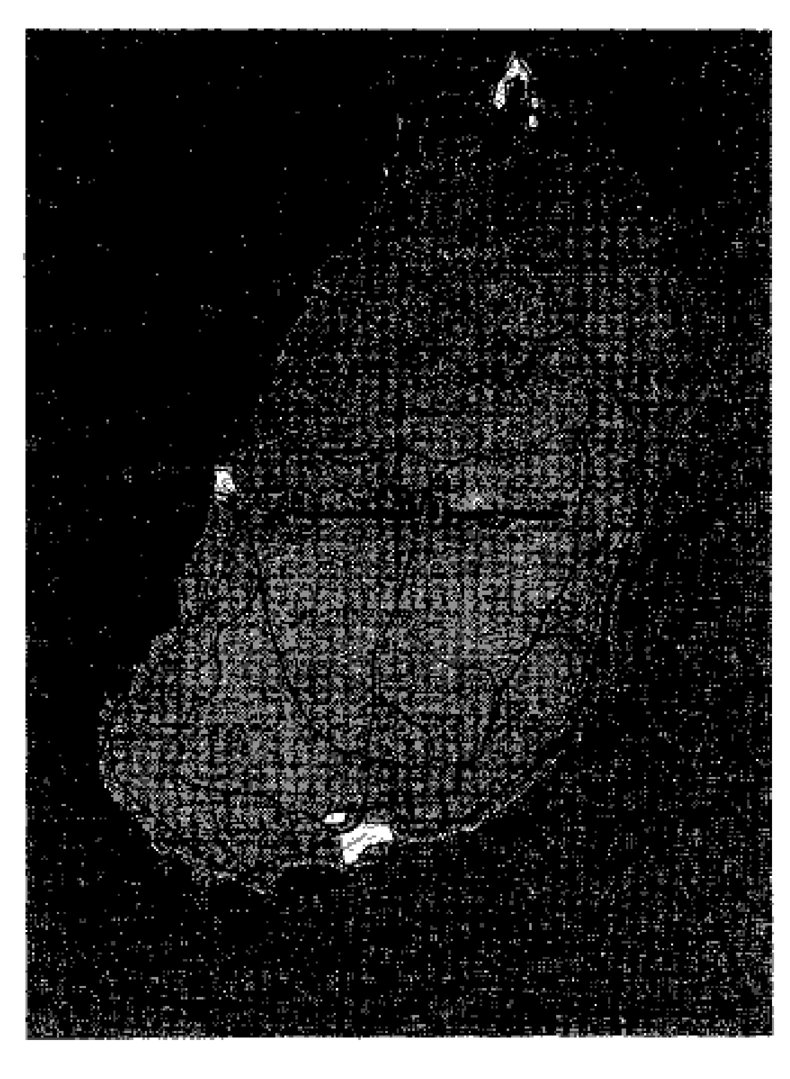

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بقيتُ في (جاسك) بعض الوقت أجهز لأعمالي الرسمية، عن حفر الآبار وزراعة الأشجار، وشجر النخيل هنا قاحل مجدب، وتوجد رمال كثيرة في مكان اقامتنا ولكن بعد ذلك بدأنا في الترتيبات لرحلة أخرى أطول والتي تتضمن قراءة في علم النبات، والجولوجيا، ودراسة علم الحشرات، والاكتشافات الفلكية والأرصاد الجوية إلى آخره، لقد حصلت على تحويلي إلى (هنجام)[1] وهي جزيرة صحراوية صغيرة في الخليج.

على أن أشكر المسئولين في السفينة الحربية الملكية والتى إسمها (عرب) لأنهم ساعدوني لأجل أخذ العينات والتوقف لجمعها، وقد أعطوني الكتب المطلوبة، وقد طلبت منهم آلة ملاحية (وهي آلة لقياس ارتفاع الشمس وتحديد مكان السفن) وقد حجزت آلتي التي عندما وصلت لي من أوروبا كنت قد تمكنت من معرفتها وأصبحت بارعاً في استعمالها.

---

(١) جزيرة هنجام: جزيرة في مدخل الخليج (انظر الخريطة) .. كانت تُحكم بواسطة مملكة (هرمز) العربية ثم حكمتها القبائل العربية وأصبحت لقبائل (بني ياس) الرئاسة والحكومة بها ومن حكامها «آل مكتوم» وهم فرع من حكام إمارة دبي الحاليين.



إن «صالح» المطوّع العربي قد تبعنا لوضع خطة الرحلة و«جلال» كان معنا كمتعهد الطعام. وقد كانت جزيرة (هنجام) قاحلة ومجدبة وعلينا أن نبحث عن شاة أو أي طائر، إمّا دجاجة أو ديك وممكن أن نجد هذا في الجزيرة القريبة منها وهي (قشم).

إن «جوجي» الطبّاخ البرتغالي قد حضر وهو يشكو ويتذمّر كيف له أن يذهب إلى مكان ليس به سمن أو دهن، وكذلك «غلام شاه» وامرأتان عجوزتان تطحنان الذرة وغيرهم بدءا في إكمال القصة.

في جزيرة (هنجام) ليس هناك أي شيء لنفعله ولكنها جزيرة حية. وهي حوالي خمسة أميال في ثلاثة أميال فيها جبال رثة والتي نراها للوهلة الأولى قاحلة ولكنها تمتليء بالنباتات في شهري مارس وأبريل لمئات الأصناف من الزرع ومنها أحدها التي دخلت مصنف النباتات الزراعية.

في الماضي كان لهذه الجزيرة تاريخ مختلف وكان فيها آلاف الأكواخ البالية المصنوعة من الحجارة تخص السكان الأولين الذين ليس لهم أثر

اليوم. لقد صقلت خزانات الماء الكبيرة في الخارج من حجر الكلس القوية وكُسيت بالأسمنت[٢]، إن المناطق في التجاويف بين الجبال قد تجمعّت فيها التربة منذ نحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ سنة كانت الأمطار أكثر من الآن وكان السكان لا يستطيعون جمع التمر والفول وحليب الماعز، لذلك لم يتخلوا عن طعامهم المكوّن من السمك المجفف. في الجهة الشمالية على نهاية الجزيرة توجد بقايا بلدة فيها مسجدان فاخران.

إن دمار هذه البلدة تأتي من تاريخها المتناقل؛ فالمباني وواجهاتها دلالة على أنها كانت مستوطنة فارسية ولكنها دُمرت بواسطة حملة (نهب) من العرب[٣].

على الشمال في نهاية الجزيرة توجد قرية صغيرة لصيادي السمك تحوي على مائتي عائلة في بني ياس من إمارة (دبي)[٤] وهي بجانب (الشارقة) ومعهم رجال جيدون بكل ما تعنيه الكلمة. لقد قمنا بجمع عينات من كل حشرة تقريباً في الجزيرة تصل إلى عدد ١٤٠، بالأولاد المحليين المرافقين معي أصبحوا خبيرين في جمع الحشرات وبهذا وفروا عليَّ الجهد.

أما الكهوف الضخمة فبدت عجيبة الشكل، وكان هناك واحداً أيضاً في وسط الجزيرة، وإذا ما دخلت من الجانب الشرقي فإنك ترى أنه ينقسم إلى

(٢) هذه خزانات الماء كانت منتشرة في وقت قريب في نفس المنطقة وفي المناطق القريبة منها مثل (كمزار) و(الفيلم) و(خصب) في رأس مسندم بسلطنة عُمان.

(٣) هذا غير صحيح ـ هنجام كانت منطقة عربية أكما يذكر المؤلف نفسه لاحقاً عن حكامها ـ ولكن تأثير العمارة القائمة بها في بعض جوانبها فارسية ـ وفترة الحملات العربية عليها قد تكون في فترة وصول النفوذ الصفوي إليها أو فترة حكم «نادر شاه» الذي حاول بناء قوة بحرية فارسية ولكنها فشلت بعد اصطدامها بالقوة البحرية العربية بها.

(٤) ومن حكام (هنجام) المعروفين كان «أحمد بن عبد الله بن جمعة آل مكتوم الياسي» وانتهى الحكم العربي أيضاً مع بدايات ظهور «رضا شاه بهلوي» في الخليج.

نصفين وأمامك حائطاً من الحصى الرملي مغطى بكلس أصفر اللون.

وإذا ما تسلقت إلى الجانب المفتوح فإنك تجد كومة من الحديد وهذا حطام معدني وحجارة كبيرة خضراء لامعة، وأخرى صفراء. إن المعدن ثقيل جداً وقد كان يستعمله غطاسي اللؤلؤ. وفي الأسفل نجد الكهف الواسع تحت الجبل ولا أحد يشعر أنه ربما يكون أحد الكهوف الجميلة التي تُستعمل لليالي العربية. على بعد ٢٠٠ قدم يوجد كهف آخر جميل ليس فقط فيه الصخور المتكونة من الملح، ولكن السقف والحائط مُغطى بملحِ جميل الشكل كأنه الثلج.

إن مسؤولين في إحدى السفن قد رافقاني إلى أسفل هذا الكهف وأثناء رجوعهما كانا يتحدثان بصوتٍ عالٍ عن جمال ذلك الكهف، ورجلان آخران قد كانا متحمسين، معهما فوانيسهما ليقوما بدخول مفاجئ إلى الكهف، على كل كان لديهما فكرة خاطئة عن حجم الكهف وكانا سيختنقان بمحاولة اطلاق الضوء الأزرق فيه، بعكس ما في قرية صيادي اللؤلؤ فيوجد فقط ثلاثة آبار في الجزيرة عميقة جداً ونادراً ما كانت تحتوي على أكثر من دلو من الماء الغير عذب.

وعلى الساحل في الجهة الغربية الجنوبية كان هناك شيئاً أكثر أهمية للاستطلاع. إنه ماء ذو نكهة قوية تشبه رائحة القطران، في مكان ذو فوهة ضيقة للغاية، وعندما تتعود عيناك على الظلام وتحدّق النظر على عمق ١٢٠ قدماً في القاع سوف تندهش حيث أنك ستجد في المكان الكثير من طير اليمام. إنني قد اكتشفت هذا البئر قبل أن أرحل من البلدة، إنه تقريباً متصل بمنحدر البحر بحوالي ٢ ياردة وفيه شرخ لفتحة كبيرة حيث أن اليمام يجد له مدخلاً من خلالها.

قبل أن نترك بلدة (هنجام) علينا أن نذكر هذه الظاهرة الغريبة والتي

تُدعى «تحجر أشجار النخيل» في بعض الشواطئ التي فيها تربة مالحة متكلّسة وفيها أعمدة من الطين الثقيل القوي، إنني لم أصدق بأن تلك الأعمدة هي أشجار حقيقية متحجرة، وقد اقتلعت شجرة واحدة أرسلتها إلى الوكيل السياسي في مسقط، وبقينا في الظلام طوال تلك الليلة، إن الجو الحار في (هنجام) كان مخيفاً وكان لدي ما لا يقل عن خمسة أفرشة للنوم في أماكن مختلفة في الجزيرة تعدّل لأي جوّ محتمل فيها، وربما الأكثر استعمالاً هو



الذي بجانب البحر والآخر الذي على حافة الساحل الصخري، وقد كان عملاً متعباً كنت أحاول بعده أن أنام ولكن كانت الرطوبة ثقيلة والجو مسمّم برائحة الطحلب البحري الذي يتعفن في الأمواج البطيئة الحركة.

على كل، إنني أتذكر في أغسطس ١٨٧٦م بعد أن استلمت «الكونوميتر» وهي ساعة دقيقة جداً تُستعمل لتحديد خط الطول وقد أرسلت

من لندن في نفس الوقت الذي استلمت فيه تعليمات بالمغادرة إلى (بوشهر) بأنني قد تعجبت لأن هذه الجزيرة قد بيعت، فقمنا بتحميل الأشياء على الجمال بعد أن أرسل جلال إلى جزيرة (قشم) لإحضار الجمال.

إن أهالي (هنجام) لهم طريقة غريبة لعبور المضيق مع الجمال فيأخذون اثنين بسرعة ويجبرونها على الركوع أرضاً بجانب بعضهما ويقومون بربط أرجلها معاً ويضعون القارب على الساحل ويدفعونهما بشدة ويربطونها بالقارب من الخارج ويبدأون في الإبحار. وهكذا تسافر الجمال لساعات وهي دائماً ما تتعرض للغرق في الماء بسبب ثقل الأمواج.

إن سطح جزيرة (قشم) يتكون من سهول مالحة تقسمها أخاديد من حجر الكلس. وهي الآن أشبه ما تكون قد ظهرت لتوّها من البحر، ولا يستطيع المسافر أن يعبرها في شهر أغسطس بدون خيمة، في هذا الوقت من السنة أيضاً يذهب السكان بين غابات النخيل في (ميناب) ليقيمون هناك في الأرض الأصلية.

في الليلة العشرين كنت قد عبرت المضيق، وبعد سير حوالي ثلاثة أو أربعة أميال في الظلام الدامس وعلى طريق وعر عثرت على مخيمنا على ربوة صغيرة بجانب قرية (ديريستان) وقد لاحظت بأن الكثير من سائقي الجمال العابسين لدينا أدوا إلى تعرضنا البعوض والثعالب.

في صباح اليوم التالي أرسلت القافلة في الساعة السادسة وبدأت في السير ولكني تقريباً قد ضللتُ الطريق. ولكن بعد جهد من السير وصلت إلى غابة جميلة من أشجار النخيل وكانت ملك (شيخ حاجي أحمد)، وقد رحّب بي كثيراً وأعطاني حصيرة تحت شجرة «الكافور» فغططت في النوم. كان هناك بئر وحوض لا يبعد أكثر من عشرون قدماً من هنا وعند الظهيرة كنت أرى الطيور والحيوانات والوحوش تحوم وهي عطشى. إنه لأمر

غريب وأنت تراقبها فكل نوع من هذه الحيوانات يأتي وكأنه يتكلم في الوقت المحدد له. أولاً حلقة الحمام، بعد ذلك البلابل وأخيراً الديوك. وكم هو مضحك عندما ترى كل نوع يروح ويجيء في حركة مستعجلة وهو منهمك على ما يبدو. بسرعة كان هناك رجالاً مسنين يلفون في محاولة للفّ عمامتهم على وسطهم وبدأوا واحداً واحداً ينزلون إلى الماء على أسلوب الكتاب المقدس. وعندما ظهرت البقرة سارت على نفس طريقة الرجال ولم يستطيعون التحكم في الأمر بدون نزاع.

كان هناك رجلاً مسناً بقي بعد رفاقه ولم يكن شيئاً ظاهراً من الماء غير رأسه المحلوق تماماً. ربما كان غارقاً في التفكير أو نصف نائم، بعد لحظات ظهر ثور كان يقود قطيعاً من الماشية، تقدّم من البحيرة بهدوء تام ووضع فمه في الماء ليشرب وفجأة رأى ثمرة جوز الهند في الماء فصاح ووضع فمه وأنفه وغطس بشدة، تلك الصيحة قد جعلت الرجل العجوز يهرب غطساً تحت الماء، ثم بدأ يظهر في الجانب الآخر من البحيرة وهو يسعل وبدأ يبصق على الثور ويسبّه بلغة مفزعة قائلاً: «اوه» ربما سيمزقك الذئب إلى قطع وكنت أرقب ذلك وأنا أقهقه. والآن ظهر رجل فارسي طويل القامة وهو يرتدي قميصاً نظيفاً وكان يحمل صينية كبيرة من النحاس بها الإفطار الخاص بي، وهو طبقاً من الكاري كالمعتاد، ودجاجة مطبوخة بإتقان وزبد وقشدة اللبن، وتمر طازج وسكر، وزبيب، وقطع من الرقاق يستعمل كطبق للأكل. عندما فرغوا جميعهم من أعمالهم كان الخادم جالساً على الأرض فصرفوه خارجاً بأسلوب مهذب حيث لا أشعر به، حينها كنت جائعاً بشدة. وربما كان وجهي يعبّر عن النوم بسبب الفوضى التي قمت بها وقت الطعام، وكان الرجل يؤكد لي بهيبة بأنني لم آكل بما فيه الكفاية حتى بالقدر الذي يحتاجه طفل لغذائه.

لقد انتهى الإفطار وكنت اتمدد تحت الشجرة وأنا أكتب هذه المذكرات

على قبعتي، حيث قد نسيت دفتر المذكرات، بعض الأوقات كنت أتكاسل في اشعال الغليون بعد أن أنفخه نفختان وأنا أراقب النمل يحمل نواة التمر التي رميتها، وكنت مسروراً عندما استيقظت على صوت ثرثرة ومزاح وضحك بصوت عال وعندما التفتُ وجدت فتيات يقفن حول البئر وحوض الماء وعلى ما يبدو أنهن يريدن الاستحمام. وكان هناك جدال حادّ بينهن وكنت أتابعهن بتمعن وذكاء وقد أخذت فكرة عن معنى حديثهن، لقد قطعت عليهن الحديث بأن أكدت لهن أنني سوف أنتقل إلى شجرة أخرى عندما أجد سترتي، وقد شكرنني وهن يضحكن بسرور على تلك المغامرة. حملت بندقيتي وأخذت أمشي ببطء تحت ظل الأشجار في الحديقة حيث وجدت صاحب الدعوة وكان قد استيقظ من نومه لتوه، وأخذنا نتناقش عن المحاصيل والضرائب، وأشياء أخرى، وكان القمح في نبتته الأولى ملوثاً، وكان التبغ نادراً ما يستعمل. خلال فصل الشتاء، تصبح الحدائق جرداء وجميع السكان يذهبون إلى المدن أو القرى المبنية من الطوب. إن مضيفي شديد الذكاء وقد أعطاني معلومات كثيرة.

تناولنا غداءنا في الخامسة وكانت الشمس ساخنة قليلاً، وعليّ أن أسير ١٢ ميلاً، فسرت مع أحد الرجال ليدلّني على الطريق الصحيح إلى (سوزه).

خرجنا من الحدائق وسرنا تحت الشمس الحارقة، إن بلدة (قشم) في أغسطس تكون قاحلة. وقد عبرنا الأخدود الكلسي مرة ثانية وهذا الذي عبرته الصباح بالخطأ عن طريق غريب. بعد ذلك قطعنا أميالاً ونحن نتسلق الصخور ونسير في السهول. إن رحلة كهذه التي نحن فيها الآن مستحيلة، لولا وجود خزانات المياه المغطاه بالقبب.

إن المرة الأولى التي رأيت فيها هذه الخزانات لا تُنسى فقد بدأنا السير مبكرين جداً في المساء، وبعد حوالي ساعة فقد مرشدي الطريق وكان دمي

يغلي وعقلي كاد ينفجر. لقد أُمرت أن أتوقف كل مائة ياردة للحماية من ضربة الشمس هذا قد عرفته من خبراتي بالسفر. أخيراً وجدتُ الماء فهجمت إلى حوض الماء العميق بأيادي ترتجف أخذت وعاء الماء المصنوع من الطين الذي يُسحب به الماء. وهل يصدّق أن الحبل كان قديماً وبال حيث أن هذا قد أدى إلى وقوع الوعاء إلى الأرض وكسره. كم من الأيدي قد هزت هذا الوعاء، فشرب الماء هذا يشبه تدفق الماء في قرية يابسة في مكان ما بجانبي. كانت الجرعة الأولى أفضل، وبعد ثالث جرعة ماء جلست وأنا شبه أبكي وأنا مسرور، وقد قمت بربط الحبل، وبكل شجاعة ملأت الوعاء كاملاً. كل ذلك لا يمكن أن يُنسى، لأنني إذا كنت قد سقطت في هذا المكان فهذا يعني أن الذئب وابن آوى لن يعرفا مكاني لمدة ثلاثة أيام على الأقل.

لقد كان الظلام حالكاً عندما وصلت قرية الصيادين في (سوزه) ووجدت معسكرنا هناك، فقدّم لي «غلام شاه» كوباً من الشاي. ولكن سائقي الجمال قد امتنعوا تماماً عن إحضار الحطب أو الماء، وكان لابد من حل عاجل بعد أن قمت بسؤال الرجال أنفسهم وقمت فصلهم بدون أي أجر. فذهبوا وهم يهددون ويتوعدون. وأمرهم المسؤول عنهم ليأتوا إلى (سوزه) ليأخذونه وعائلته إلى مكان إقامتهم، وقد تعهدوا أيضاً لأخذي إلى (قشم) وليكونوا تحت تصرف مسؤولهم في اليوم التالي.

وفي اليوم التالي كنت أجلس تحت ظل شجرة تين قاحلة وهذا كان هو الظل الوحيد في المنطقة، فقد كانت القرية مهجورة من جميع السكان، حيث ذهبوا إلى الحصاد في (ميناب) وقد كان رجالي يتعجبون عن الاستفسارات بخصوص الجمال. ولكني علمت بوجود رجل كبير السن تُرك في القرية فطلبته وبعد مناقشات وعدني بالجمال بعد ٣ ساعات.

وفي حوالي الساعة ١٠ مساءً قررتُ أن أقوم بتحرياتي الخاصة.

وأخذت مصباحين بدأت بالمشي بين المنازل وقفز ثعبان أثناء مرورنا حتى وصلت إلى منزل مسؤول البلدة. ولم أدع له مجالاً فذهب بنا إلى حوش داخلي حيث وجدنا جمالنا الثلاثة التي وُعدنا بها.

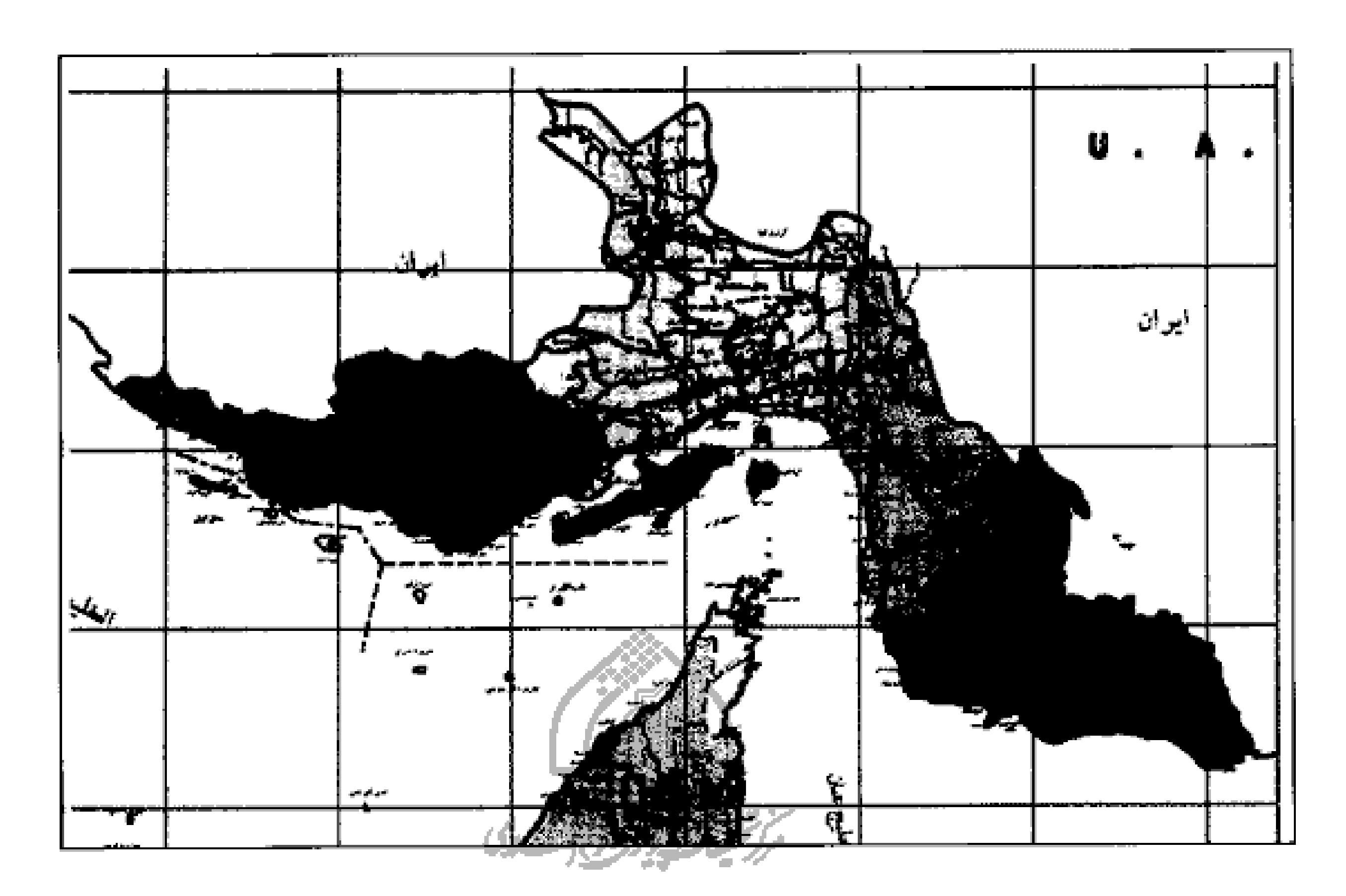
وتبين أن العجوز قد تأخر في جلبها لنا حتى يحصل على أجرة إضافية. ولكنه وجد رجلاً أجن منه حيث أمرت أن يتم وضع الأمتعة على جمالنا وبسرعة، وبدأنا بالتحرك في الساعة ١٠:٤٥ مساء، ولم نتوقف حتى وصلنا إلى (قشم) في صباح اليوم الثاني الساعة ٨:٣٠ صباحاً. ولم يكن الشيخ الذي أعطانا الجمال مرتاحاً حيث لاحظت عليه أنه طرد حماره الذي يركبه من الحوش.

كان الطريق مخيفاً مع الظلام الدامس وكان لدينا مصباحاً في العربة وآخر في الخلف وكنت في النصف مع عصاة بيدي، وكان لابد لنا من التحرك.

واقترح الرجال أن تتم رحلتنا على ثلاثة مراحل إلى (قشم) ولكن لم نتوقف خلال الرحلة كلها.

وبعد حوالي ١٨ ميلاً أحد الرجال الثلاثة المرافقين لنا مع الجمال الثلاثة وقف يبكي على الطريق. وبعدها بقليل سقط الآخر معلناً أنه لا يستطيع الاستمرار لأنه على وشك الموت ولم يستطع حتى الرد على أحد الجمال.

إن رجال (قشم) هؤلاء يمشون مثل النساء العجائز - أما البلوش الذين معي والذين كانوا في (سوزه) بلا عمل جاد - كان لابد لهم أن يتأقلموا مع هذه الظروف الجديدة وكانوا سعداء؛ لأن هذه الظروف تغيرت. وكان قد بقي معي رجل واحد فسقط من الثلاثة واضطررت أن أتحمل ووضعته على ظهر حماري الذي لم أركبه قط. إن هذه الرحلة بينت معدن هؤلاء الرجال



وشخصياتهم. وقد يسافر الشخص لمسافة طويلة مع البلوش قبل أن يرى أحدهم يترك صديقه متعباً باكياً.

قبل الفجر واجهتنا مشكلة جديدة وذلك في وسط ظلام داكن لأننا قد وصلنا البحر وبدأنا بالمشي على ساحل طيني مستوى ومزحلق وزادت أثر سلبي على الجمال المحمولة وزاد الأمر سوءاً أن المنطقة كانت تمر بها خيران نحيفة وعميقة.

كان منظراً مزعجاً وكل هذه الأمور الصغيرة المزعجة نسيناها لأننا اقتربنا من الوصول لأجل عبور القناة إلى (قشم). وبدأ الرجال في دفع الجمال التي كانت تمشي وتدخل في عمق المياه المظلمة لدرجة أن أحسست أن الجمال بدأت تخرج من البحر عائدة للشاطئ، ولم ينفعنا المصباحين بتاتاً.

ولم أتمكن من معرفة حال المد والجزر، ورغم ذلك وضعت ساعتي

في القبعة وثبت سلاحي في سرجه وبدأت مستعداً لأي طارئ. وبعد عشرة دقائق كنا قد عبرنا المكان حيث خفّ العمق وتبينا الشاطئ الرملي مرة أخرى. وقمنا بعدها بدفع الجمال إلى منطقة أخرى وحوالي شروق الشمس في الفجر وجدنا طريقنا في قرية مهجورة وبعدها بثلاثة أميال. وبعد ميلين عبرنا تلة عالية على يميننا وصلنا تحت شجرة السنط ـ كنا في قشم.

أما الآن فقد كنت أحاول أن أسمع من أين يصدر صوت الأمواج ويبدوا أنه هدير مياه حولنا، وقد كنت مسروراً إن لم يكن هذا القلق قد حدث أيضاً للرجال الذين معي، فالتفكير قد أتعب عقلي، لأنني لا أرى إشارة أو دليلاً على الطريق الذي نسلكه. إن ما أفكر فيه الآن هو أن أضع الساعتين اللتين معي في عمامتي، وبندقيتي في السرج لربما قد يحدث أي تغيير. على كل حال، إننا كنا مشغولين لمعرفة مدى ترددنا في ذلك الوقت، ولكن بعد مرور عشرة دقائق أصبحت المياه ضحلة وبلغنا الرمال ثانية. وأصبح أمامنا مرحلة أخرى من الطريق، ولكن دم الرجال كان يغلي وكانوا يسوقون الجمال وكأنهم أصحابهم، لم يكن أهالي (قشم) موجودون. وفي صباح اليوم التالي بعد مشقة من السير بين قرى مهجورة وعلى بعد ثلاثة أميال وصلنا إلى البحر ومررنا تحت ساحل صخري على الجانب الأيمن، وبعد سير ٢ ميل جلسنا تحت شجرة «السنط» في (قشم) وكان السوق في قرية (قشم) فقير ولكنه نظيف، وكان هناك منزل جميل «للشيخ صقر» الحاكم. والنوع الوحيد من الفواكه المتوفرة في البلدة هو ثمر اللوز، وكان يُطلق عليه اسم «جورومزانجي» الذي تؤكل قشرته المليئة بالماء وترمى النواة. كان لونه أحمر وطعمه كطعم الكمثرى. أما المانجو والبطيخ كانا يزرعان في واحة صغيرة وهي تشكل الجزء الذي فيه يعيش سكان الجزيرة. والقمح كما ذكرت سابقاً يكون صغيراً. أما أوراق الشجر واسمه «مدرت» يُعمل منه بودرة ويُستعمل لعلاج الحمى.

لقد بقينا في (قشم) لمدة يومين ولم نحصل على قارب، هنا البحر هادئ ويُقال أنه من الصعب أن ترسو القوارب على شاطئ بندر عباس نسبة للأمواج الكثيرة التي ترتطم بالشاطئ. عادة كنت أقضي صباحي هائماً في السوق والدردشة مع كابتن المركب التي سُحبت إلى الرمال لعمل التصليحات بها.

إن هذا القارب كان يعاني من نقص الماء في رحلة من يومين إلى (بوشهر) ولقد حضروا فيها إلى (هنجام) لطلب أو سرقة الماء من حوض المياه الخاص بنا. كان الجو هادئاً، عندما أتى بعض الرجال من الجزيرة لتفريغ السفينة على أن يدفعوا ثلث البضائع. بعد ذلك حضر الشيخ«عبد» من جزيرة صيد اللؤلؤ ومنع تفريغ الحمولة إلا إذا وافق قائد السفينة على دفع نصف البضائع. وفيما كان الموضوع يُناقش وكادت السفينة تتحول إلى أنقاض لولا تدخل الشيخ «صقر» ومنع تفريغ السفينة إلا بعد أن يستلم ثلثي البضائع.

وهكذا أصبحت هذه السفينة تابعة للملكية البريطانية، وقائد السفينة كان رجلاً عربياً يستحق التقدير مع لحيته البيضاء، وقد أرسلت برقية بذلك إلى المسؤول السياسي في (بوشهر). بعد ذلك كان لدينا بحث قضائي عظيم وهو عبارة عن استشارته عن القائد، وكان المترجم بين القائد و«الشيخ صقر» و«الشيخ عبد».

كذلك كان عليّ ترجمة ما كتبه القائد على البضائع التي كانت مسجلة هنا وهناك وفي كل مكان على مئات القطع الصغيرة من الورق القذر. ما هذا العمل؟ كان لديه مئات من الكتل الخشبية. كل واحدة تختلف عن الأخرى في الحجم، بالمقياس، والخامة والنوع، وهناك أيضاً ٦٨٠ قفصاً من التمر الهندي، والفلفل، والبنجر، وثمر الكوكا وكل قفص له مرسل ومرسال، كذلك تختلف أوزان هذه الأقفاص عن أية أقفاص أخرى. وكان

البحر مغطى بثمر الكوكا، عموماً كان أمامنا ساعات من العمل الشاق.

وحيث أن هذا الموضوع حتماً سيعرض أمام الشيخ «صقر» وعليَّ أن أقلد بقوة وجدية قائد السفينة في سلوكه، وربما يتخيل إليَّ أنه لا يهتم ليريني حسن ضيافته عند مجيئي، وقد بقيتُ تحت شجرتي كل الوقت حيث أنني لا أريد أن أقبل ضيافة من أي شخص مرؤوس أقل مستوى. على كل إنه لا يوجد أفضل من النوم في ظل شجرة التين القاحلة في (سوزه) حيث أن الظل قليل حتى إنه عندما انتصف النهار أخذ أحد الرجال يلكزني حتى هبطت الشمس.

إن الشيخ «صقر» نائم (هو ليس في البيت) وعندما طلبت من قصره الذي بدى بمظهر غريب كان هناك سلماً من حديد والزهر الأصفر اللون يضم بيتان مبنيان من الطين. في المساء كنت مع صديقي والقائد نجلس في المجلس في مربع مغطى بالسجاد. بجانب الشاطئ حيث كان يجلس أيضاً «الشيخ صقر» وكان لي أن أؤيد الحديث بثلاث لغات في الحال.

كان الحديث عن صيد اللؤلؤ والملح الذي يأخذونه إلى مسقط، وبدلاً عنه يجلبون الحرير، والثمن المرجّح لذلك أو ذاك كان الرجل يدفعه لذلك أو ذاك الاحتكار.

إن أربعة من التجار قد استنفذوا أموالهم في صناعة السفن، سفن البغلة أو البوم . لقد أرسل الشيخ «صقر» أمراً بأن الضريبة العادية هي ٣٠٠ قران أو ١٢٥ جنيهاً يجب أن تُدفع قبل أخذ إذن العمل، بعد مساومات لمدة أسبوع بواسطة القوم في المجلس وافق التجار على ذلك. ولكن لم تأخذ المساومة الوقت الكافي ليعبّروا للشيخ «صقر» بما فيه الكفاية عن فقرهم، لذلك فقد أصبحت الضريبة مبلغ ٤,٠٠٠ قران، ثم ارتفع المبلغ ليصل إلى ١٠,٠٠٠قران.

في مساء اليوم التالي وجدت قارباً بواسطة قائد السفينة، ولكن استطاع «الشيخ صقر» أن يقنع ثلاثة من رجالي بعدم الرحيل في الدقائق الأخيرة. وكان الجو معتدلاً وكنا أقوياء بما فيه الكفاية لمواجهة الإبحار الطويل، لذلك قررتُ أن نبدأ. وقد أرسلت كلمة إلى الشيخ «صقر» أخبرته بأنني سأسافر الآن للقيام بعمل لصالح الحكومة البريطانية، وهكذا سأتحمل المسؤولية لأي حادثة أتعرض لها. وبالجهد وصلنا إلى جزيرة (هرمز) وحيث أن الجو معتدل تابعنا حتى وصلنا في المساء إلى بندر عباس. إن الأمواج كانت عالية وكان رسو السفينة غير ممكن ولكن السفينة التي أنتظرها إلى (بوشهر) ستصل غداً.

وبالرغم من الصعوبات التي وجدناها وبالرغم من أن الجميع كانوا مرضى إلا أننا قد تمكنا من الرسو بجانب ثلاث سفن كانت كانت أيضاً تنتظر السفينة القادمة.

لقد كانت ليلة مضطربة. فقد سحبنا الهلب وأبحرنا بين الأمواج بحراً بعد بحر وقد ابتّل جميع الطعام معنا وملابسنا أيضاً، وفجأة سمعنا صوتاً في الظلام وفي الدقيقة التالية اصطدمنا بسفينة أخرى ولكننا بعد ذلك تفاديناها ولكن كيف، لا ادري؟ ومرة أخرى وجدنا أنفسنا نندفع إلى خارج البحر. وبالرغم من نقص طاقم السفينة إلا أنه كان هناك شجاعة ونشاط ونحن الآن بجانب الثلاث سفن مرة ثانية، وقد كنا في انتظار السفينة التجارية التي تقلّنا إلى البلد التي نقصدها.

كان الوقت حوالي الساعة العاشرة. في الحال رفعت مراكب الشحن خطاطيفها وبدأت بالإبحار. أما بالنسبة لنا وبسبب وجود تلف في مركبنا فلم نتمكن من الإبحار، سمعنا صوت خشخشة جهاز الإرسال للسفينة البخارية ولكننا لن نتمكن من اللحاق بها. إن مسؤول الرسائل البريدية قد مرّ من أمامنا ومعه البريد، وقد قمنا جميعاً لمخاطبته. ولكننا لم ننجح. في

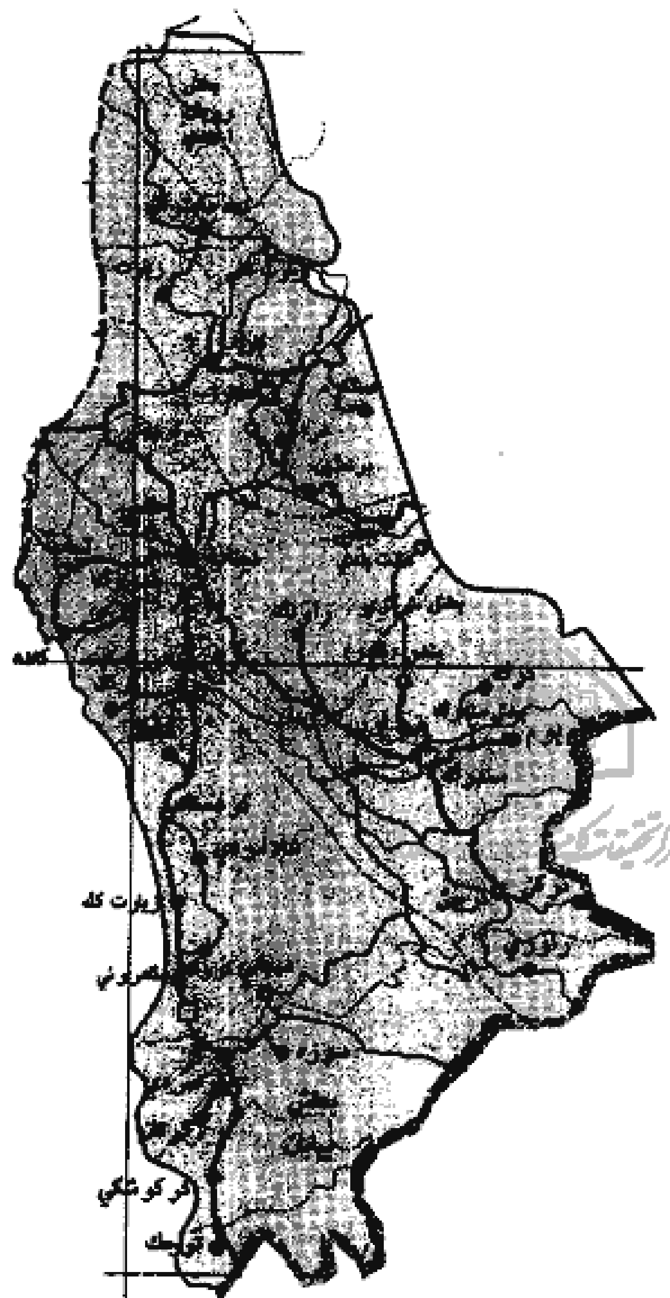
عودته كان أقرب إلى مركبنا من المرة الأولى وقد حاولنا مرة أخرى أن نحييّه ولكننا أيضاً لم ننجح، فرفعت قبعتي على قلاع المركب ولكنه قد تركنا خلفه وذهب.

في الساعة الثانية عشر والنصف وحسب ما أعلم جلس هؤلاء الأشخاص على السفينة البخارية لتناول غداءً فاخراً على مائدة نظيفة باستعمال أطباق وأكواب نظيفة أيضاً، ولأننا نحن في غاية الإرهاق والجوع لم نتمكن من الإبحار ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة.

لقد جلسنا لتصليح العطل، ورفع «غلام شاه» رأسه قليلاً وهو يقول «هذه هي طريقة التمتع» برحلة ممتعة في المساء بدأنا الإبحار إلى ساحل (سورو) وهنا قد تأخرنا حوالي ثلاثة أميال عن الشاطئ، نصف المسافة قد خضناها في الماء والنصف الآخر سباحة وباقي المسافة كانت طين وماء، منطقة غير واضحة. وكان عدد طيورها كبيراً جداً وفي البداية كانت تبدو وكأننا الساكن الوحيد لتلك المنطقة. إنها منطقة منبسطة رملية بها غابات من شجر النخيل، سرنا وحيدين فيها وكانت ملابسنا وأحذيتنا مبتلة بالعرق والطين وملح البحر وفجأة رأينا عشة بجانبها رجل مسن منهمك في تقسيم كومة من التمر إلى ثلاثة أقسام لبيعها في السوق.

لقد علمنا أننا قد وصلنا إلى منطقة أخرى تبعد حوالي ثلاثة أميال عن بلدة (سورو) فكانت قرية صغيرة بها أغنى التجّار من (بندر عباس) وكان عدد هؤلاء التجار تسعة تجار، بعد أن أكلنا كمية من التمر وشربنا الماء البارد، وبعد أن حصلنا على الجمال بدأنا سيرنا نحو بندر عباس، وحوالي منتصف الليل قوبلنا مقابلة فخمة من السادة «جرى باول» بالميناء.

كانت (بندر عباس) توصف دائماً، وإليك وصفاً كاملاً عنها، فكما هو جار في البلاد الشرقية كقاعدة مسّلم بها بأن فيها كل شيء بال، رث،



قذر، ورائحة كريهة. فالمظهر العام للبلدة هو مجموعة غير منتظمة من المنازل المستطيلة الشكل مبنية من الطين والتي صارت ربعها مجرد بقايا خراب. إن مبنى الوكالة الهولندية هو الآن بيت الحاكم يبهر العين، وتحتوي البلدة على ستة أو سبعة أبراج هوائية أنشأها أغنياء البلدة. كان كل بيت له شيء أشبه بالمدخنة أو للتهوية وبغيرها لا يحتمل المكوث في أي بيت. المناخ حار وغير صحي، خلف المدينة صحراء رملية وبحر مالح، وجبل ضخم اسمه (جبل جينو).

إن الشيء المهم في (بندر عباس) هو الميناء على عكس «ميناب» والتي بها وادٍ كبير وحدائق غناء، فيها مياه وحلة ولكن لا علاقة لها بالوادي. وتقع ميناب على بعد حوالي أربعة وخمسون ميلاً خلال صحراء شديدة الحرارة من (بندر عباس) وهذا سبب انسحاب التجار من (بندر عباس).

وكان «ميرزا عبد الله» وهو ممثل الحاكم من (بندر عباس) في

(ميناب)، وبعد أن مكثت ثلاثة أيام في البندر قمتُ مع مضيفي بأخذ الجمال في الساعة العاشرة مساءً في أحد الليالي، وفي الساعة السابعة مساء اليوم التالي كنا بين أشجار النخيل ثلاثة أو أربعة أميال أسفل حصن (ميناب)، وفي صباح اليوم التالي ظهر لنا المنزل الصيفي لـ«ميرزا عبد الله» كبناء ضخم وحديقة جميلة فيها أشجار الرمّان والحنّاء وكرمة العنب، وشجر القطن، والليمون، والبرتقال، وأشجار اللّوز، وفيما كان الإفطار يُجهز كنا نغتسل في النهر، وهذا قد أنعشنا. نحن الآن تحت سلسلة من الجبال المنخفضة، ينحدر النهر على صخور منحدرة وعرة، يقطعه مجرى من ناحية الشرق بعمق مائة قدم. على سطح هذه الجبال وفي مكان ما هناك كان هناك معسكر ومباني كبيرة وقلعة، وبها (أي ميناب) سوق ـ ويُقام سوقها الكبير كل يوم خميس.

وعند تسلقنا كنا نتسلق الأبراج العالية للقلعة تحت إرشاد الرجل البلوشي المسؤول الحارس هناك، ومن أعلى ذلك المكان شاهدنا منظراً مثيراً وغريباً ـ جيوش البلوش.

وعندما أتكلم عن البلوش فإنني دائماً أعني بلوش (مكران). فأصول هؤلاء مختلفة تماماً وأرفع شأناً من رجال بلوشستان الشرقية. وقد كان منظرهم وهم يتدفقون كالسيل في مجرى النهر ويندفعون على الضفة أشبه بجيوش النمل. وكان حوالي مائتي شخص طويلي القامة يمشون كمجموعات في نهايته تتبعهم مجموعة من الدواب. ويحملون أغراضهم على ظهرهم، وسيوفهم تتدلى من على أكتافهم جهة اليسار، وكان كل منهم يحمل أيضاً على الأقل مسدساً واحداً وخنجرا معلقا في خصرهم. من بين هؤلاء الرجال كان يوجد خمسون آخرون يمتطون الجمال. وهؤلاء يعتبرون جهاز الاستخبارات لأنه يمكنهم أن يقطعوا حوالي تسعين ميلاً (أي



حوالي ١٤٠ كيلو متراً) في اليوم إذا لزم الأمر. وكانت هناك مواكب من الفرسان وتسعة أو عشرة خيول يحملون الحُكام والأمراء. وفوجئت وأنا أرى من خلال المنظار الرجل طويل القامة بانحناءة، ذا عمامة كبيرة بيضاء، وأشيب الشعر والمحنّك القديم والذي يُدعى «عبد النبي» وهو حاكم مقاطعة (جاسك) التي تقع على بعد حوالي ١٢٠ ميلاً على الساحل. وعرفت لاحقاً أنه استغل عدم وجود حاكم في (بندر عباس) لأجل أن يكون حاكماً لمقاطعة جاسك والتي هي موضع نزاع بينه والأمير «يوسف»، وبالطبع اصطحب معه كل رجل استطاع الإتيان به لأجل توضيح أهميته لـ «ميرزا».

لقد علمت من الموقع العالي الذي أنا فيه أن مياه النهر تجري بين قناة تحت القلعة لتروي حديقة أخرى جميلة خلفه، لقد قضينا ذلك اليوم الحار تحت ظل شجر الليمون والبرتقال. وقد أمكنني من تقدير ما هو موجود

ويمكن تصديره بأكثر من ١,٥٠٠ طن من التمر سنوياً. وفي هذا الفصل بالذات تجد على مدخل النهر العديد من قوارب الأهالي راسية هناك.

الحنّة أيضاً هي من المحاصيل المهمة، وكمية جيدة منها ترسل إلى بومباي بالبحر، ولكن يرسل كمية أكثر من هذه الحنّة إلى (كرمان) و(يزد) وتعتبر (بندر عباس) هي الميناء الفعلي لبلدتي (كرمان) و(يزد) وفي (أصفهان) يُرسل الجزء الأكبر من البضائع الإنجليزية عبر (بغداد) و(كرمانشاه). وأية قافلة محمّلة تصل «يزد» خلال سبعة وعشرون يوماً أما إلى (كرمان) فتصل خلال أربعة وعشرون يوماً. في المساء عدنا ثانية وقُدّم لنا العشاء في العاشرة ليلاً مع «ميرزا» وكان حولنا أواني نحاسية مليئة بالزهور زكية الرائحة وشجرتان من الياسمين حولنا.

باستفسارنا عن وضع الجمال لم نجد راعيها رغم بحثنا عنه دونما نجاح، لقد كان لـ«الميرزا» يواسينا بأخلاقه غير أنه قام بنفسه بأخذ جمالنا ليضمها إلى قافلته المحملة بالتمر التي كان سيرسلها إلى بندر عباس.

وفي خلال ساعة جاء الـ «ميرزا» مصطحباً بعض الحمير وأكدّ لنا بأنها تخص الحكومة الفارسية. ثم أضاف: «إنه يجب عليَّ أن أجد المؤن على الطريق».

كانت الساعة الحادية عشر والنصف والظلام حالك عندما بدأنا السير، وبعد أن قطعنا حوالي ستة أميال اقترح علينا سائقوا الحمير بأن نحصل على حمير أخرى نشطة بدلاً عن هذه. ولكني عموماً قد أعطيتهم أوامري بأنه يلزم علينا أن ألا نترك هذه الحمير قبل أن نجد حميراً أخرى تنوب عنها. لحدّ علمي الآن نحن في مكان ما وسط الصحراء. فتابعنا سيرنا بجهد في الظلام، وأنني لا أشك بأننا كنا نصف نائمين حوالي نصف ساعة عندما تنبهت على صوت يقول «لا أستطيع أن أسير» «يجب عليك

أنت» «إن حميري عرجاء» «إنها أوامر الحكومة» «إن لي حمار واحد فقط وهو يحمل القمح منذ ثلاثة أسابيع»، وعمره سنتان فقط وهو على وشك الموت». لم يكن ذلك الحوار مزاحاً ولكنني قد وعدت بأن أوصل حميرنا للاستعاضة عنها بأخرى. ثم قررنا أن نكمل الأربعة حمير الجديدة باقي الرحلة وهي حوالي ثمانية وأربعون ميلاً في الصحراء الميؤوس منها مع أتعس حمير في العالم. وعندما وضعنا أرجلنا لنَهم بالركوب أخذ الواحد تلو الآخر يهوي على الأرض حتى قبل أن أضع جسدي عليه برغم حمولته المعتدلة.

وما كان علينا إلا أن نقبل الوضع حتى يتسنى لنا أن نجد سفينة ولا ننتظر. ولكن هناك صعوبة أخرى ظهرت لنا عندما علمنا بأن سائقي الحمير الثلاثة، واحد طاعن في الكبر والآخران صغيران، فثلاثتهم يجهلون الطريق. لذا قررت أن أجعلها رغبتهم في إرشادنا للطريق وجعلهم يبدأون بالسير مجازفة على الطريق المظلم ويسوقون الحمير أمامي. وإنني لم أكن بعيداً عندما سمعتُ الكبير فيهم قد أرسل يطلب والده الذي أخذ بدوره يشتم ويسبّ ووجد أن عليه أن يوافق على السير هكذا.

لا داعي لوصف سيرنا في هذه الرحلة الآن فأي شخص ممكن أن يتصور كيفية السير في الظلام على تلال من الرمال المتحركة، ويكفي أن نقول بأنه طلع علينا الفجر ونحن نتعجب بدون أمل، ونمشي بغير هدى عندما أخذنا طريقاً من زاوية قائمة بحوالي ٤٥ درجة. حين بدأ ضوء الصباح يظهر معالم الأرض وقد بدت من بعيد غابات شجر النخيل في الأفق وأمامنا على مدى بصرنا غباراً رملياً. وفي الخامسة مساءاً وصلنا لغابة شجر التمر في (كالانجونج) حيث تناول الجميع غدائهم المكوّن من الكاري والأرز والشاي.

في الطريق وجدت أن سائقي الحمير البائسين لديهم إحساساً بأن هذه

الحمير للحكومة الفارسية وأنني ضعيف لدرجة أنه لا يمكنني دفع مصاريف هذه الرحلة والدواب.

وفوراً بعد أن اكتشفت ما يفكرون به أكدت لهم بأنه لا يمكن لأي شخص أن يعمل «للفرنج» بدون أجر، وفوراً قدمت لهم أجراً مضاعفاً ونحن في هذه المنطقة. كان لفعلي هذا أثراً كبيراً فيهم. وفي الساعة السادسة بدأنا السير ثانية. ولكننا لاحظنا في حوالي الساعة العاشرة بأننا قد ضللنا الطريق، ولم يكن هناك أي أثر لمسلك ما، وعلينا أن نجلس وننتظر في هذا المكان.

في فجر اليوم التالي تقريباً غادرنا المكان حتى وصلنا (بندر عباس) في الحادية عشر وبهذا قد أنهينا واحدة من أطول الرحلات سيراً على الأقدام حتى الآن، وكان المتبقي منها بعد ٥١ ميلاً. أما سائق الحمار الصغير الذي لا يتعدى عمره الحادية عشر ومعه اثنان آخران قد استعدا للعودة ثانية وقد أعطيتهم أجراً أكثر من الاجر المضاعف لهم ليقوموا بشراء وجبة شهية. ولكنهم سوف لا ينفقون أكثر من اللازم بشرائهم قليلاً من التمر.

في صباح اليوم التالي كنت أبحر في الخليج على سفينة بخارية من الدرجة الأولى إنجليزية الصنع. وكانت بلدة (لنجه)[٥] أول مكان نتوقف فيه، فبدت بيوتها متراصة وشجر النخيل موازية للشاطئ بطول ٢ ميل، وخلفها جبال (بستانه) الضخمة، وقد كانت مغطاة بسحب بيضاء ككتل من الصوف. وقد علمت بأن البلدة هي تحت حكم الشيخ «مذكور» وهو رجل شرس عنيف ومولع بالخصام. وابنه الآن هو المسيطر عليها، كما أن حكومة الفرس في (بندر عبّاس) تشعر الآن أن طريقته قد عرفت بالإخضاع

(٥) لنجه: مدينة كانت مركزاً لحكم القواسم في إيران الحالية ــ وهم فرع لأسرة القواسم في رأس الخيمة والشارقة.

في تنظيمه لمسألة الضريبة في هذه المنطقة.

إنني أعتقد بأنه لا يوجد أي مسافر أوروبي قد اجتاز المنطقة من (بوشهر) حتى (لنجه). وقد ذكر السكان بأنها قاحلة بدون ماء، ودائماً يسرح فيها اللصوص الشرسون من قبيلة «بهلون» الذين هم من أصل عربي ويقتلون حتى الدراويش. معلومات السكان ذات قيمة للذين هم في أغلب الظن يعلمون ذلك أكثر مني، وحسب خبرتي أن هذه المعلومات نادراً ما يعوّل عليها ولكن سوف يكون لدينا الكثير عن ذلك الموضوع فيما بعد.

إن أصحاب السفن التجارية هنا قد أقنعوا «ملا حسين» ليعمل كمأمور بالبريد قبل سنتين، فوظيفته كوكيل تجعل من الضرورة له أن يأتي إلى كل سفينة، لذلك فإن البريد الخاص بصاحبة الجلالة (أي ملكة بريطانيا أو البريد البريطاني) بدلاً من أن يرسل بالقارب بواسطة المسؤول البريطاني، فإنه يسلم إلى مكتب «الملا حسين».

إن جميع الذين يتوقعون رسائل لهم كانوا متواجدين هنا هم مسئولين للبحث عنها. حيث يقول لهم مسؤول البريد وهو يؤشر عليها: «إنها هناك ـ عليك أن تجدها» ويغطس في حقيبة الرسائل ويقول وهو يصيح «يوجد هنا رسالة إلى «خاجا عبد الله» وعليه أن يدفع ثمانية آنات[٦]. إذا دفع الثمانية آنس سيستلم «خاجا» رسالته، ولكن إذا تجرأ وقال بأن الرسالة عليها الطوابع الكافية، أو إذا ساوم على المبلغ فإنها ستمزّق بسرعة وتُلقى جانباً. يحدث هذا وهو يقف في مكتبه وهو يعلن بسذاجة أن هذا هو أفضل نوع من الدخل لمكتب البريد حيث أنه يتقاضى لقاء ذلك مبلغاً ضئيلاً كمكافأة وهو خمسون روبية شهرياً.

(٦) آنه وجمعها آنات: عملة هندية و«مائة آنة» تساوي روبية هندية واحدة، وكانت تُستخدم في منطقة الخليج والإمارات حتى نهاية الستينات.

عند مغادرتنا لبلدة (لنجه) توجهنا إلى (البحرين) وهي أهم مكان لصيد اللؤلؤ. في (البحرين) منازل قليلة واسعة، تجد بينها بيت واحد في حالة جيدة، هذا البيت هو بيت الوكيل الإنجليزي ولكن يسكنه الآن مسؤول البريد الفارسي ووكيل السفن.

في المساء ذهبنا لنرى ذلك الرجل، وقد أخذنا طريقنا بين فنائين بارتفاع عشرون قدماً من صدف اللؤلؤ. وصعدنا إلى الغرفة العلوية. فوجدنا ونحن متعجّبين جداً بأن السطح مغطى بالجنود الأتراك في أوضاع مختلفة وتبين بأنهم حراس الضرائب التي أرسلت من حاكم (القطيف) لأخذها بالسفينة إلى (البصرة). بعدها قمنا بتأجير بعض الحمير الكبيرة من (البحرين) حيث بدأنا كخيّالة مرحين خلال الليل في الجو البارد وتحت القمر اللامع. وما قد حدث معنا من ضوء الشمس اللامع إلى ضوء القمر البارد قد ساعدنا فعلاً كإضاءة لمسيرتنا.

ذهبنا بطريقة لائقة لمقابلة السيد/ بي المسؤول الأول وشكله كالبّحار، أما «السيد/ أف» كان طول سرج حماره لا يزيد عن ستة بوصات لذلك رفض ركوبه وكان عنده يقين بأن حزام السرج يمسك فقط ببعض الأجزاء من ثيابه. ولكن الأمر على كل حال، لم يكن تحت سيطرته، وما حدث معه هو بأن السلاسل والحديد والأربطة التي تمثل لجام الحمار قد خرجت من فم الحمار عندما كان يحاول دفعه، وكان هذا واضحاً وهو يمشي بثبات بجانب الحمار ويضع يده على ظهره الذي كان يكفي من «السيد/ بي» الذي كانت سرعته تعتمد حتى الآن على تجاهله للمناقشات المناسبة لعدم فهم حماره.

وبعد دقيقة كنا جميعاً نطير مسرعين على طول السهل فقط لنجد بركة ماء. فجأة ظهرت عين ماء قوية من بين أحجار الكلس وكانت مكاناً جميلاً للاستحمام. عندما وصلنا إليها كانت مليئة بالنساء والرجال والأطفال الذين

يقضون معظم هذه الليالي الجميلة في الماء كفرس النهر. أولاً لم يكن لهم الرغبة لافساح المكان لنا ولكن بعد ذلك استطعنا أن نأخذ حماماً جميلاً للغاية.

في اليوم التالي كنا نبحر إلى (بوشهر)، ونحن في طريقنا عبرنا بين حوالي ثلاثمائة مركب لصيد اللؤلؤ. كل سفينة لها مرساة «هلب» وفيها حوالي اثنى عشر مجدافاً مثبتاً في النصف على حافة المركب من الجانبين. وكل مجداف فيه حبل يتدلّى من آخره، وبهذه الحبال يمسك الغطاسون عادة. وعندما مررنا بجانبهم كنا نرى أحياناً العشرة غطاسين محلوقي الرأس، سُمر البشرة وهم يعلون ويهبطون في الماء في طرف الحبال المعلقة. فيغطس الأول وبعده الثاني وهكذا، ويبدأون في الظهور ثانية وهم يرفعون أكياس اللؤلؤ إلى اعلى بأيديهم ويستعدون للغطس مرة أخرى، لقد راقبت الغطاسين والوقت الذي يستغرقونه في الغطس، فوجدت أن ما قاله السيد «إيمانويل» من مدة الغطاس في الماء مُبالغ فيها. لأنني لم أرى شخصاً يتمكن من الغطس تحت الماء لأكثر من دقيقة واحدة وإن ظل إلى خمسة وأربعون ثانية، فعلاً إنه لغطاس ماهر. وهؤلاء يعملون بجهد كبير ويتقاضون قليلاً من الأجر.

إن بلدة (بوشهر) أو أبوالمدن ـ هي أكبر المدن على الخليج، ولكن القذارة في البلدة كانت تفوق مساحتها أكثر من أي مدينة أخرى، فالطرق كانت تُستعمل كبالوعات. والمدينة تبدو وكأنها منطقة حديثة ويُقال بأنها شبه جزيرة خرجت أو ظهرت من البحر. وللأرمن هنا وجود قوي وتجارتهم قوية وتجارها الأغنياء لهم منازل تبعد حوالي ستة أميال عن المدينة، وخلال المجاعة من المحتمل أنه قد تم فتح طرق فيها حوالي اثنين أو ثلاث لهذه المسافة ليتمكنوا من السفر للتجارة. كما أن بلدة (بوشهر) هي ميناء لـ(شيراز) و(أصفهان) وكانت ترسل كميات من الأفيون

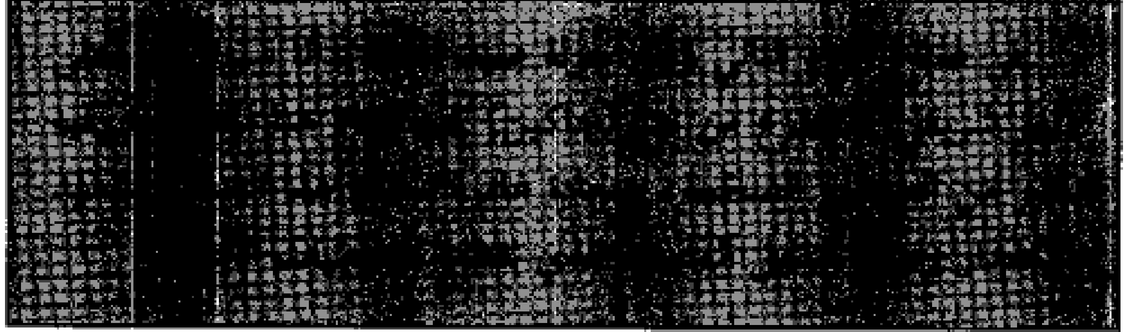
أو شجر الخشخاش إلى الصين، وكان السكر يستوردونه من بتافيا (جاكرتا في أندونيسيا) والتي ينطقها السكان المحليون (باتوا).

هنا قد استلمت باقي أجهزتي وسترة ثقيلة وغطاء من انجلترا، بعد ذلك غادرت من (بوشهر) إلى (جاسك) للإنضمام إلى محطتي في (مكران) وكنت طوال الطريق إلى هناك أقوم بقياس المسافات بالنظر بعد ذلك واستعملت «السدسية» وهي آلة تُستعمل لقياس ارتفاع الشمس وتحديد مكان السفن» بعد ذلك وصلنا إلى بلدة (جاسك) لتجديد صداقاتي مع العديد من أصدقائي القدامى.



الجزء السادس






مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

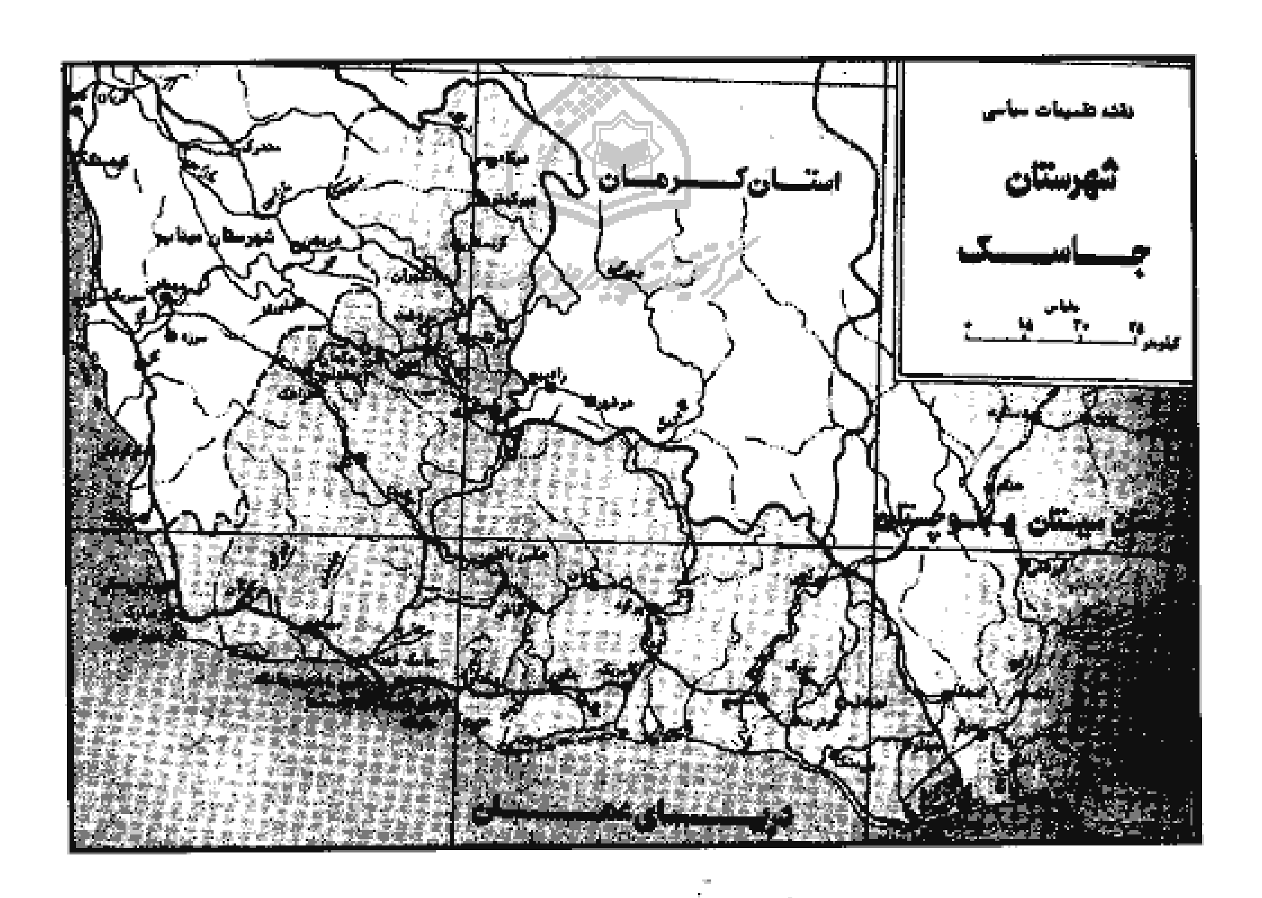
خلال وقتٍ قصير كانت جميع أجهزتي جاهزة للسفر، وفي يوم ٢٩/ ١٠/ ١٨٧٦، غادرت (جاسك) إلى (گيگن)[1] بعشرة جمال واستأجرتها باتفاقية للذهاب إلى بلدة (أنغهوران) عاصمة (باشكارد). في البداية توقفنا وخيّمنا بجانب (گيگن) في مكان جميل يقع بين شجر السنط. وهو نبات مزدهر يُدعى فيموزا. وكان هناك منحدر (گيگن) الضخم.

بقينا في هذا المكان يومين، شاهدنا فيه احتفالاً غريباً للبلوش، فقد قاموا بذبح شاة كقربان لبداية موسم الزرع وفاء ـ كنذرٍ لله ـ ولكني لم أتمكن من معرفة مصدر هذه العقيدة. بعد ذلك سرنا حول المنحدر وخيّمنا تحت بعض الأشجار في وادي بجانب نهر (گيگن) ولقد قضينا هنا معظم الوقت في العمل حيث أننا كنا نقوم بقياس وتقدير المسافات حسب خبراتنا. بعد ذلك قمنا بشراء جمال للسفر، وبعد المناقشات والاستفسارات

---

(١) گيگن: بلدة قريبة من (جاسك) تسكنها قبائل الشيهاني و معظم وزراء أمراء آل دغار منها وأشهرهم الوزير «مهابة» و الذي عاصر الأمير (عبد النبي بن محمد) و كان من كبار وزرائه حتى وفاته عام ١٨٩٥ .

قررّت بأنه من الأفضل أن أقوم باختيار ستة جمال لي خير من تأجيرها. وعليه كنت أساوم لامتلاكها. كان لنا جميعاً سمعة طيبة لقيامنا برحلات موفقة لم يسبق لها مثيل. هذا لأننا كنا ننهي رحلاتنا وأنا محب ومخلص لجمالي. والتي أختارها كانت نماذج رائعة من نوعها، وقد كانت متوفرة بسلالات مختلفة أكثر من الجياد. شكلها يثير الإعجاب، فهي ضخمة الجثة وأرجلها الأمامية كبيرة الحجم ذات شعر لامع بني اللون، أول هذه الجمال في القافلة كان «جامايتي» جمل كبير في السن ولكن له المقدرة على السير والتحمل.



بعد ذلك جاء «مهري» الجميل وعمره ثلاث سنوات ونصف وأصغر جمل في المجموعة، ذكي بانتباهه دائماً لتفقده خيمتي مساء ولشمّه أكياس التمر. بعدها يأتي «جاسكي» الكبير الذي يحمل علب الطعام الثقيلة، فكان

يتأرجح بخُطى واسعة تقريباً حوالي قدم واحد لكل خطوة، عيبه الوحيد كان في كسر ناب من فمه، إلا أنه ما زال ذو قوة ومقدرة على التحمل والصبر. أما بالنسبة للثلاث جمال الأخرى لم تكن هناك نقطة معينة عنها، ولكن جميعها كانت تؤدي عملها على نحو رائع.

إن رجال فريقنا الصغير جديرون بالوصف فأولهم «إبراهيم محمد» هو حارس الخط التلغرافي للحكومة، وقد مُنح أجازة ليصاحبني في تلك الرحلة. لقد كان رجلاً أنيقاً طويل القامة، ولقد تعاون مع الرجال وخدمني، ولكن للأسف هذا الشخص أو الرفيق لم يرجع أبداً إلى بلده لأنه قد توفي بعيداً ودُفن في أرض غريبة، وكان عليَّ أن أراه قبل أن يموت حتى أتأكد من أنه لم يعد يتذكر أي من معاملتي القاسية معه عندما كان يغيظني في تأخيره، وعدم إطاعته لي، ولمرضه ولأحداث أخرى أثناء الرحلة. ولكن يمكنني أن أصفه بصورة أوضح - «جاجو» وهذا اسمه، رجلاً عريض الأكتاف ضخم القدمين، ساذج ولكن دمث الأخلاق ولديه استعداداً للمزاح والضحك من كل قلبه. عموماً، هكذا كان قدرنا سيئاً. فقد كان لي «جاجو»، برغم شراسته المرحة عوناً لي ضد الرجال الذين لم يعرفوا عن الطريق شيئاً، وكان بلغته العربية المكسورة يداعبنا لينال قطعة من اللحم أو قليل من الكاري، كما أنه كان فخوراً بإرشادي خلال الرحلة لأنه كان قد سافر معنا من قبل وأصبح يعرف الطريق وأوضاعنا تماماً أكثر من أي شخص آخر.

يأتي بعد ذلك «إبراهيم خميس»[٢] و«داد الرحيم»، فقد كانا من عائلة

(٢) هو «إبراهيم خميس السويدي» والسودان أصولهم في أغلبيتهم من الشارقة في بلدة (الخان) وهاجروا إلى مكران في بدايات القرن التاسع عشر، وهم أنساب للأمير بركت حيث تزوج «كلثم السويدي»، وبني عمومتهم هم «أبناء جرش السويدي» في الخان بالشارقة، =

طيبة ورفيعة المقام مثل عائلة «جيمادار إبراهيم». في الحقيقة إن «جيمادار إبراهيم» أقنعهما بأن يصبحا أصدقائه، وقد قامت بينهما المشاكل نظراً لصغر سنهما، وقد توفي المسكين «داد الرحيم» أيضاً ودُفن قريباً من «إبراهيم محمد».

بعد ذلك يأتي «عبد الله دادوك» هو الرجل الثاني، كان فضولياً له أنف كالمنجل منعكف وله عينان سودوان تتلألآن ولحية سوداء مجعدة. كان مثابراً في عمله ولكن له لسان سليط.

ثم يأتي «حسن»، كان رجلاً طويل القامة قوياً ومن عائلة بسيطة جداً، أسلوبه خشن وغير مهذّب، لكنه كان من أفضل سائقي الجمال، وله ميزة في صوته الغريب الغير عادي، ولا يزال يحمل اسماً كنت قد سميته به «حسن كراوازي» أو «حسن صوت الحمار».

أما «قاسم» فهو رجلٌ كبيرٌ في السن وكأنه جسمٌ مقطعٌ من قطعة خشب لأن يداه وساقاه بنفس الحجم وحتى الطول. وكان غريباً في قوله: «إني اعتقد بأمانة بأننا قد قطعنا مسافة ٢٥٤ ميلاً في خمسة أيام».

و«علي شاه» الفضولي كان قصير القامة رفيعاً متيناً على شكل الكرة، ولا يتمتع بأية ذرة من عزة النفس أو دماثة الأخلاق من أي نوع. كان نبيهاً جداً عند حراسته للطريق ولكن لسانه لا يكف عن الكلام والضحك والغناء، وحتى الكذب من الصباح حتى المساء.

و«غلام شاه» بوجهه البني اللون الذي بدا في هذه اللحظة مكشراً في وجهي وينظر إليّ وأنا أكتب هذا عنه. له رأس قوي، متعاون، ويبلغ من

* وكان «علي السويدي» و«إبراهيم السويدي» من الرجال المقربين للأمير «بركت» والمرافقين الخواص له بعد أن تزوج شقيقتهم، وسلالتهم متوزعة اليوم بين مكران ودولة الإمارات.

العمر أربعة عشر إلى ستة عشر سنة، وهو من عائلة بلوشية جيدة، قضى طفولته في التجوال على البلاد التي في (رودبار) و(بامبور). لقد اكتسب بعض أفكاره من تجواله هذا، لأنه قد صحبني في رحلة دامت حوالي سبعة شهور، وكنا قد عبرنا جبال الثلج الشامخة في (كردستان) خلال فصل الشتاء. في ذلك الوقت كان يقوم بإعداد جميع وجبات الطعام لي ويفرّغ ويعلب وينظم جميع معداتي كل يوم، وكان مسؤولاً عن «الكرونوميتر» خلال غيابي عن الخيمة. خلال أعماله هذه لم يكسر أيّ شيء كما أنه لم يترك أو ينسى أي شيء خلفه، وكان صارماً، لا يكل من الجهد ولا يخاف.

هؤلاء جميعاً كانوا الموظفين الدائمين في رحلتنا، لقد اكتسبت خبرة في هذه المنطقة، وإذا كان عليّ أن أكرر هذه الرحلة فلن اغيُر أي رجل من الذين ذكرتهم. إن صديقي «جلال» من (بامبور) قد قرّر في الدقيقة الأخيرة ألا يأتي معنا. فالصراع بين إخلاصه لي ورغبته في مشاركتي رحلة كهذه كان في كفة وزوجته وابنه في الكفة الأخرى، وعندما بدأنا رحلتنا بدونه أصبح كالمجنون يضرب الذين نصحوه بعدم السفر بعنف حتى ابنه المدلل.

وفي ١٤ نوفمبر تخلصت من مؤونتي وأرسلت جملين محمّلين ثم ودعت جميع مرضاي ومنهم طفلة كنت قد قمت بعلاج عينيها واستعادت عافيتها وهي ابنة أحد القناصين فقد كانت عيناها متعبتان للغاية وقد استعملت لها نترات الفضة أربعة مرات في اليوم، لكنها في البداية لم تعطي أية نتيجة، ولكني أخبرتها أنه عندما تبدأ بالشعور بحرقة في عينيها فهذا يدل على أنها ستشفى. وفي اليوم الرابع طرأ تحسن على عينيها وفوراً قمت بوضع نقط من المحلول في عينيها وبدأت تصيح «مارو أسوجي» «مارو أسوجي» ويعني ذلك بأنها تحرقها، وبدأت تضع يديها حول عنقي وهي شبه غائبة عن الوعي ومتهاوية على الأرض، ولكن بعد حين هي

ووالدتها أخذتا يشكرانني كثيراً عند شعورها بالتحسن بعد ذلك، كلّفت مساعدي الطبي «غلام شاه» لتكملة علاجها. ثم قمت اليوم كذلك بشراء الجمل الأخير من العم «إبراهيم»، وكان حوارنا المميّز كما يلي لإنهاء عملية الشراء.

البائع: «هل قبلت أن تأخذ هذا الجمل الآن بخمسةٍ وثلاثون قرشاً»؟

(٨ جنيهات)

المشتري: «لقد قبلت»

البائع: «وإنني أقسم بالله أن هذا الجمل ليس به أي عيب وإنه حيوان قوي

وبهذا فإنني لم أخفي عنك أي شيء.

ثم تابع قوله: «إنه ليس أعمى ولا أعرج . . الخ».

«ويمكنك من وضع سبعون رجلاً على ظهره». بعدها صافحني الرجل وانصرفت.

عندما أردت أن أرسل مبلغاً من المال إلى (جاسك) أشار إليَّ «إبراهيم» بأن هناك رجلاً سيذهب الآن وسيأخذ النقود معه. ثم ذهب خارجاً ليلحق به، اختفى بين الشجيرات الصغيرة. بعد ذلك عاد هذا الشخص وأرسل النقود على الوجه المطلوب، وعندما لمّحت لـ «إبراهيم» بسري بأنني أشك في أمانته، فجاءني جوابه بنبرة صوت شديدة «إنه بلوشي»، وهذا ما جعلني أشعر بالخجل لقولي هذا، استناداً لأنني أعلم بأن إحدى قبائل البلوش هنا تقوم بسلب ونهب بعضها إذا وجدوا الفرصة سانحة لذلك.

لم نلاقي صعوبة في وجود مرشد لنا، لقد زودنا «جمال» بأحد رفاقه الأمينين، ويُدعى «جازو» وهو شخص غريب الأطوار متقلب، يأخذ الأمور

بشكل هادئ ويبدو ظريفاً في الأوقات الصعبة. عند المساء كل شيء كان منظماً، فتوجهت إلى النوم وأنا مقتنع تماماً بأحاسيسي المفرحة.

صباح اليوم الثاني لا يمكن أن يُنسى، حيث نهضت من النوم ووضعت قبعتي على رأسي وحملت بندقيتي. وبرغم أني لست خبيراً بالأحاسيس السارة، إلا أن ذلك الجو البارد والأشجار المغطاة بالندى، وخيوط العناكب الناعمة اللامعة أكثر من عقد اللؤلؤ في كل مكان، وطائر الحجل مبتهج وإحساسي بالاستقلالية التامة مع العزلة التامة عندما كنت أشاهد سقف خيمتي مع شعوري بأنني المالك لأمري وكنت أرى صف جمالي منساقة لتشرب، ومفكراً بأنني سأمر ببلاد أخرى جديدة خلال أشهر قادمة، بلاد لم يزرها أي شخص أبيض من قبل، كل ذلك جعلني لا أستطيع أن أصف سعادتي في صباح ذلك اليوم، إنها سعادة يشعر بها المكتشفون فقط.

بتاريخ الخامس من الشهر عند المساء عاد «إبراهيم» من (جاسك)، فقد أرسل ببعض الرسائل وأحضر معه بعضاً من الرسائل الإنجليزية ومعطفاً من صديقي «بي»، عودته كانت بمثابة إشارة لنا توجب علينا الرحيل. وفي خلال نصف ساعة أنزلنا الخيمة وبدأنا اتجاهنا إلى طريق وعر وأمامنا الجبال، وبوجود النهر هناك، يعني ذلك أننا سنمر بصعوبات وربما يتوجب علينا القفز فوق أكثر من هوة، أثناء سيرنا اليوم تنبّهنا إلى ممر وعر، ولا يمكن السير من خلاله بسبب الجو الذي كان ممطراً قبل أسبوع. برغم عدم وجود علامات للمطر بالإضافة لذلك فإننا قد تلقينا عدة تعليمات بالتوقف. جميع الممرات في (مكران) على طرق رئيسية. باتجاهنا إلى أعلى كان الطريق متعرجاً من الجانبين ترتفع فيه صخور شديدة الانحدار بأشكال غريبة، وقد وجدنا أنفسنا في المساء أننا ما زلنا نجاهد وشعرنا بأننا نودّ أن نغيّر مكان مخيمنا. أما الآن هناك غيوم كثيرة وصدى صوت قادم من

المنحدر «هاكال كون (استمرار)» أوه، يا إخوان، صرخ «جازو» من بعيد وهو يندفع إلى الأمام ويكرر «هاكال كون»، إذ لم نتقدم عبر «تانجي دول» أولاً ـ ولم يكمل لأن البديل للطريق مرعب له وكان اضطرابه واضحاً من نبرة صوته.

الآن أصبحت السماء قاتمة، فتوقفنا وبدأت قطرات المطر تهطل حتى أن الماء قد غمر أقدامنا لأن مجرى السيل كان كبيراً ويحتوي على حفر مائية بعمق قدم. ثم عمّ الظلام علينا بسرعة وكانت الساعة قد تجاوزت الخامسة ولم يكن هناك سوى باردة أمل بوجود مجرى صغير من الماء الذي سنعتمد عليه ليقودنا إلى الطريق. في ذلك الوقت كان الرعد عنيفاً وعلى ضوء البرق مرتين شاهدنا بروزاً عنيفاً لصخرة مرتفعة تحيطنا من الجهتين وكان الرجال والجمال مبتلون يجاهدون في سيرهم بسرعة النمل.

فجأة سمعنا صوتاً أمامنا ينادي «مين مين»، وفي لحظة حضرت على التوّ فوجدت جملي وقد غاص في حفرة من الطين المتحرك. وكان علينا أن نسرع. فوراً جميع الرجال تركوا جمالهم وأخذوا في سحب الجمل بقوة، «بسرعة يا أولادي» . . صاح «إبراهيم»، وقد بدأ الرجال يفسحون مجالاً للجمل بشده إلى الأمام وإلى الخلف، يساعدون بعضهم البعض حتى وضعوه على الطريق الصحيح. ومع صياحنا لانقاذ الجمل قد نسينا العاصفة التي كانت بازدياد شديد حتى أننا لم ندرك بعد (تانجي دول) المخيفة. والآن قبل أن نلاحظ ذلك وصلنا إلى المدخل الذي لا يتجاوز عرضه خمسة عشر قدماً والحيطان كانت من الحصى الرملي الناعم. وقبل أن ينفذ صبرنا دفعنا الجمال بدون تفكير لننتهي من هذا الممر.

وحسب معلومات مؤكدة من «جازو» بأنه في أية لحظة قد تصادفنا سيول من المياه التي قد تفقدنا الرجال والجمال. أخيراً وصلنا إلى (دول) ذاتها. وكان الخطر في الممر واضحاً، فقاع الجدول هنا هو مجرد شق

على سطح الصخور القوية، وعليه فإن الماء قد أحدث تجويفاً عبارة عن نفق بعرض خمسة عشر قدماً. (إن كلمة «دول» تعني وعاء)، فوقها مباشرة على الجهة اليمنى يزداد الجدول ليكوّن شلالاً صامتاً من المياه، ولكن بعد مرورنا بخمسة عشر دقيقة تدفق الشلال أمامنا أطناناً من المياه.

كان قاع الجدول في (تانج) لبضع مئات من الياردات للأسفل، ناعماً وخالياً من الحجارة البالية، وهذا يبيّن قوة اندفاع المياه؛ لذلك غطسنا في مجرى (الدول) لدقائق قليلة التي بدأ فيها كل من في القافلة يضحكون ويصيحون ويتكلمون دليلاً على شعورهم بالارتياح. الآن نحن بمنآى عن الخطر لسرعة انفتاح التيار المائي فوراً، وقد ظهرت على جوانبه ضفافاً مسطّحة التي عليها يمكننا أن نجد ملاذاً لنا. وبدأ أكثرنا يشكو الله لنجاتنا متجهاً للبحث عن مكان مناسب لنخيّم فيه. عموماً، ظهر لنا بأن «جازو» لديه ركناً معيناً يتوفر فيه حطب الوقود وعلف الجمال.

لقد عزم «جازو» أن يكون اليوم الأول له كمرشد، يوماً ناجحاً بتواجده في لهذا المكان، ولكن المطر كان شديداً، والرعد والبرق اشتد أكثر فصرخ الرجال «هوران هوران»(*) إنه المطر ـ إنه المطر . . وفي حوالي الساعة السابعة وعشر دقائق كنا نجلس على ركن عال من الصخور تطل على واد ضيق يمر به مجرى ماء هائج، وبعد فترة وجيزة كنّا جميعاً في المأوى الصخري. وكان الرعد والبرق لا يزالان مستمران والريح تهب الآن من جهة، وأيضاً تعصف من جهة أخرى محدثة صوتاً لم أسمع مثله من قبل.

بينما كنا ما زلنا نراقب الأمطار، زاد هطوله بغزارة أكثر، مما أرعب

(*) نفس هذه الكلمة «هوران» يستعملها هؤلاء الناس عند السيل الجارف الذي يحدثه المطر الشديد.

الرجال في بادئ الأمر، بعد ذلك ساد المرح والكثير من المزاح أثناء نصبنا الخيمة، وبعد نصف ساعة توقف المطر، فأشعلنا النار وغططنا في نوم عميق بالرغم من أننا كنّا لا نزال متوترين من السيول التي غمرت المكان حولنا.

في اليوم السادس لم ننزع مخيمنا بعد الظهر لأنني كنت أود رسم (تانج) وأن أعرف ارتفاع دائرة نصف النهار. في الصباح كنت أتسلى مع «علي شاه» الذي عيّن نفسه خادماً للطاولة ورتب كل شيء بحذر من أوراق وبوصلات الخ .. ولم يدع مزاحه أبداً، حتى أنه في بعض الأحيان كان يقف عند باب الخيمة وفي يده طبق من الشوربة ليقدمه إليَّ ولكنه في نفس الوقت نفسه يجد الفرصة ليكمل مزاحه مع سائقي الجمال.

وبينما كنا نتناول الإفطار صباحاً مرت بنا قافلة من ثلاثة «بشكارديين» مع عشرة حمير صغيرة ولكن نشيطة، وقد سألونا بشغف كيف قضينا الليلة الماضية وقد رافقتهم حتى (دول) ولاحظت أن الممر ما زال وعراً للجمال، ولكن الحمير الصغيرة كانت نشيطة فتسلقت ودارت حول عدد من الأغادير التي ترغم الجمال على اقتحامها والغوص فيها. وفي طريقنا أيضاً وجدنا بطّة وحيدة قام بصيدها أحد الرفقاء وفجأة وبشكل غير عادي أصبحت الجداول مرتفعة وقد كانت تجري بين التلال التي ظهرت كصخور قاحلة.

بعد الظهر بدأنا سيرنا إلى (ماريخ) نفس الطريق الممطر الذي سلكناه، وهنا أيضاً واجهتنا العاصفة القوية، وبالرغم من أننا كنا خارج مجرى الجدول إلا أنه كان علينا أن نقوم بحفر قناة حول الخيمة. وبعدها خلال عشرون دقيقة كان مكان الطبخ قد أصبح جدولاً يغلي بالوحل. والخور أكثر اتساعاً كل دقيقة أو ثلاث دقائق إلى أن أصبح عرضه ثلاثة أقدام. وكان حجر البرد يطقطق حولنا وطول كل منها حوالي بوصة وفيها نواة

سوداء اللون، لذلك قمت بجمع بعض منه لعمل بحث علمي عليه.

في الساعة الخامسة مساء أشرقت الشمس مرة أخرى، وأنا جالس مستمتعاً بأمسية جميلة بجانب النار المشتعلة فرحاً لتوفير علف الجمال بكمية جيدة وكافية.

طيلة ذلك الطقس الجميل تعودت أن أتناول عشائي قريباً من نار دافئة بجانب راكبي الجمال لأستمتع بمزاحهم وقصصهم الجميلة، فالبلوش هم أفضل أشخاص في العالم من حيث موافقتهم على الرحلات والسفر. فهم في وقت الشدائد يعملون بأمانة ونشاط كالجن. ودائماً في المخيّم يبدون معي مسرورين وأحاديثهم واضحة أكثر من أي شخص جلست معه أو سمعت عنه. فهم أيضاً عنصر طيّب ولهم قدرة قوية على المرح مع طبيعتهم المحبّبة.

في صباح اليوم التالي السابع من الشهر بدأ ستة من الرجال في رفع الخيمة التي كانت ثقيلة ورطبة بفعل المطر ووضعها على ظهر الجمال. وقد أصبح واضحاً لنا عندما نبدأ مسيرتنا تبدأ معها المتاعب. لقد ظهر أمامنا سقوط المياه منحدرة من الصخور العالية مشكلة بركة كبيرة من الصخور القوية بطبقة طينية على كل الجوانب.

وهنا علينا أن نقوم بقطع أشجار نبات الطرفاء لعمل معبر للجمال، وفي حوالي الساعة الحادية عشر خرجنا من الجبال، وبدا لنا أننا أخيراً قد وصلنا إلى القرية. أمامنا هنا سهلاً منبسطاً «مالحاً» تقطعه ممرات مائية عميقة، وتقع خلفنا سلسلة من الجبال القاحلة حمراء اللون.

كان «غلام شاه» مع الجمل «ماهري» خلف القافلة، ولكنه بفعل طبيعة الجو كان في الخلف مختفياً عن النظر. هنا ظهر لنا طيفاً غير عادياً. أشخاصاً بملابس رثة يضعون شيئاً ما ملفوفاً على رؤوسهم لا يمكن أن

نتصور مدى الدهشة عندما رأى رجالي هؤلاء الأشخاص الطويلي القامة ذو الأنوف المعكوفة واللحى السوداء الخشنة. إنهم لم يروا أو يسمعوا عن شخص مثلي إفرنجي. فهؤلاء قوم مسلحون حتى أسنانهم بالسيف، والترس، والبندقية، والسكين والدرع الحديدي. كما أنهم يظهرون بزيهم الرئيسي الذي يتكون من لباس خفيف وزهيد ملفوف حول الوسط وصندل أخضر اللون وطاقية للرأس. حقاً إني أعتقد لو أنهم رأوني قبل أن أراهم. لكانوا قاموا بقتلي ليس لأي حقد بل فقط ليروا ما هو جنسي. المهم أنني لدى كتابة مذكراتي عنهم اقتربوا مني فقمت بكتابة ملاحظات طيبة عن قائدهم.

وبالرغم من أن الرجال لا يعتقدون بالخرافات حيث كانت نظراتهم الثابتة على الجهاز الغير معروف تشير بل تثبت لي مدى حيرتهم. ولكنهم كانوا على وشك أن يمضوا في طريقهم. هذا ما لم أرغب به لأنني كنت متشوقاً أن أسألهم عن أي شيء بالنسبة للطريق، وأماكن التخييم إلى آخره.

وعندما بدأت الحديث معهم باللغة البلوشية، اقتربوا مني وهم يتذمرون وقد وضعوا بنادقهم أمامي وبدأوا في الأسئلة «من أنت»؟ «وماذا تكون»؟ «من أين أتيت»؟، «لماذا تتحدث بالبلوشية»؟ «نحن بلوش»، «أين جملك»؟ «وإلى أين أنت ذاهب»؟ . . . الخ.

لقد انتظرت لحظة بهدوء تام حتى أكملوا حديثهم، ثم جاوبتهم بصوت منخفض «السلام عليكم»، وفي الحال أظهروا احترامهم وتهذيبهم، لاحترامي الشديد الذي دفعهم للسلوك الطيب. أيضاً كان بإمكاني من أن أتظاهر بالأدب لمصلحتي في ذلك ـ لذا أكملت رداً على تحيتهم:

«السلام عليكم»

«أهلاً وسهلاً»

«نتمنى لكم السلامة»

«كيف حالكم»؟

«كيف أهل البيت»؟

«إنهم طيبون بإذن الله»

«ما هي الأخبار»

«ليس عندي أخبار»

«أنا بخير، عساكم بخير كذلك»

ثم بدأنا التحية مرة أخرى حيث أنه من غير اللائق أن نتوقف أولاً عن تكملة القاء التحية حتى تبدأ القافلة بالسير، وعندما بدأت الجمال تسير واحداً يلو الآخر سمعت اثنين من هؤلاء الرفقاء يتحدثان وقال أحدهما: حسناً إنني قد عشت حوالي ٣٠٠٠ سنة، وقد سافرت لمعظم بلاد بلوشستان، ولكنني لم أرى بحياتي رجلاً يملك كل تلك المقومات. وعموماً، لم تكن هذه الصدمة الوحيدة له، لأنني في اللحظة التي أخذت فيها دفتر مذكراتي لأدّون فيه ملاحظتي لصديق لي في (جاسك) لأخبره عن نجاح رحلتي حتى الآن، كانت عيناه تحدّقان في الدفتر والورق التي لم يرى مثلها في حياته، وبدأ يقلبها بين أصابعه بشكل طريف للغاية. ويقول وهو مندهشاً، أوه . . أو إنها رقيقة جداً، «وكيف إنها بيضاء كالحليب والله» وقد مسح عليها بعصاه حيث تركت علامة سوداء على الورق. ثم أخذ القلم وهو يتعجب ويقول لصديقه «انظر إنه شيئ عجيب كيف يكتب ويعلم إن له قلباً أسوداً.

وبعد أن بدأت القافلة في التقدم الآن أكثر، ركبت الجمل «ماهري» الذي جثم بالقرب مني مع «غلام شاه» وقدته فوراً للمقدمة، حينها لم أكن

أعرف أن للجمل «ماهري» سرجان، حيث جلس في السرج الأمامي غلام شاه وهو يحمل التلسكوب والترموميتر، والمنظار المكبّر وغذائي أو عشائي من الطعام، وكان «غلام شاه» باقياً بجانبي ونحن نتأرجح معاً على الجمل، وقد سبقنا القافلة بحوالي ساعة تقريباً، أي ٦ أميال، إلى أن وصلنا إلى كهف، فجلسنا تحت ظله لتناول الغذاء. وكان المطر الذي لا مفر منه قد أدركنا هنا. عموماً، واصلنا سيرنا وفي حوالي الساعة الثالثة خيمنا على ضفة (خور شريفي) تتمتع منطقة شريفي هنا بواد مليء بالأشجار الجيدة، وهنا وجدت الجمال علفها الجيّد من شجر «الكافور» والذي تأكل مثله منذ مغادرتنا بلدة (كَيكَن).

في هذا المساء وبواسطة «جهاز الترمومتر» وجدنا أنفسنا بعد كل الجهود بين الصخور والجبال ولاحظنا بأننا قد ارتفعنا فقط ٦٠٠ قدم. ثم شاهدنا عدة ممرات جبلية، وماشية الجبال، وحيوانات أخرى جيدة تستحق الصيد. وبكل بساطة أقنعت «جازو» للبقاء هنا للتمتع بهذه الرياضة، كما أنه يمكننا من أن نجفف الخيمة، حيث أن الجمال وسائقوها قد قاموا برحلة طويلة ومن الأفضل لهم أن يأخذوا قسطاً من الراحة.

اليوم التالي كان لنا صباحاً جميلاً، فقمت بسرعة بتبديل ملابسي وأخذت بندقيتي الصغيرة وخرجت من الخيمة وجلست أمام النار لأشاهد تجهيز طعام الإفطار، وقد كان ذلك أجمل صباح في حياتي. فكل شيء يشعرني بجمال الطبيعة. رائحة الحطب وهو يحترق في الجو البارد النقي، وصوت نقرات طائر الخشب الكبير الوحيد في البلد يتسلل من بين الأشجار القريبة. كل ذلك كان رائعاً بتفاصيله الدقيقة التي تركت آثارها الجميلة في ذاكرتي.

لقد كان مخيَّمنا بصورة رائعة الوصف فهناك على ضفاف (خور الشريفي) الذي سيقودنا لمرحلتين أخيرتين من رحلتنا، وكانت الخيمة

منصوبة على عشب الربيع الأخضر وخلفنا كانت سلسلة من التلال البنفسيجية والحمراء تُدعى (اوشدانداري). وعلى بعد بضعة أقدام حول بقايا النار، تمدّد الرجال وهم ما يزالون يلتقون بستراتهم الضخمة التي تسمى «بالبالاكس» أو «هيري هيريس» لقد رفضوا أن يعترفوا بالاسم الفارسي لملابسهم وهم يقولون «لا لا، نحن البلوش نسميّها البالش».

بسرعة قام «غلام شاه» بتجهيز البيض والشاي و«جازو» كان جالساً لتحضير التمر والخبز. بعد أن فرغنا من الطعام بدأنا سيرنا عند شروق الشمس الذي غطى التلال وقد انتشر نورها الساطع الدافئ على كل شيء.

بعد ذلك وصلنا إلى منحدر في وادي ضيق في تلال (اوشداناداري) حيث وجدنا هنا آثاراً لصيد كثير. فجأة وجدت صديقي قد أصبح دليلاً مسكيناً ثقيل الحركة يجر رجليه محدثاً صوتاً وكأنه شخصان يمشيان، إضافة لذلك فقد ظهر عليه الإعياء من برد شديد. وفي هذه اللحظة التي بدا فيها كل شيء ساكناً كان صديقي يهتز بسبب السعال الذي أصابه فجأة وارتعد له جسمه. وعندما ذكرت بأن مرضه هذا سيصيبه بما يشبه العمى المؤقت فسيكون من الواضح عندئذٍ أنه لن يظل الدليل، والمساعد النشيط. ولكن من غير الممكن أن أغضب من صديقي القديم بالرغم من أننا قد أخفنا بصوتنا قطيعان من ماشية التلال، إلا أنني تمتعت بالتسلق المنعش وبجمع بعض النباتات لإضافتها لمجموعتي.

هذه المنطقة لا يسكنها أحد سوى أننا تقابلنا فقط مع خمسة رجال طوال رحلتنا منذ بدأناها من الساحل، حتى أننا كذلك منذ يومين لم نصادف أحداً في طريقنا.

في صباح اليوم التالي وبعد جولة صيد فاشلة بدأنا سيرنا إلى أعلى (نهر شريفي) المتفرع من نهر (جغين) كان القاع هنا محصوراً وفيه كثير من

الصخور الضخمة، بسعادة غامرة تسلقنا هذا الصخر الشديد الإنحدار وعبرنا السهل المنبسط الذي تقطعه المنحنيات الكثيرة. هنا بدأنا نواجه أسراباً غير عادية من الجراد المهاجر، ولكثافة هذه الحشرات التي كانت تطير في السماء كادت تحجب الشمس عن الأرض كالغيم، وكانت جميعها من النوع الأحمر الثمين الذي يصلح للأكل.

بالرغم من أن الرجال الذين كانوا في المخيم يزدرون أكل الجراد إلا أنني قد شاهدت «عبد الله» يقوم بعصر المادة الصفراء من الجراد ويأكلها بتلذذ. ويبدو أن جميع الرجال يعتبرون الجراد من أفخر الأطعمة لتقديمه على الطاولة أكثر من أنه مدمر لجميع الزرع ويلتهم بسرعة أي نوع من النباتات التي تغطي المناطق وكذلك الشجيرات في مجرى المياه. أيضاً بترحاله المتواصل في هذا الفصل من السنة يأكل الجراد عشب الربيع الأخضر بما فيه الكفاية ولكن عندما يحل الصيف ويحترق الزرع من الحرارة أعتقد بأنهم سيموتون جوعاً. إنني أذكر شيئاً مهماً قد حصل في بلدة (هنجام)، لقد كان الجراد يأكل الجراد الميت ليعيش ولكن عندما يدخل شهر يونيو سوف لا يكون هنا أي جراد في المنطقة.

كان هناك أيضاً سرباً من طيور الطهبوج وهي من فصيلة الدجاج وكذلك طائر الحجل. وقد قضيت وقتاً طويلاً في اصطياد طير الطهبوج. وفي الساعة الثانية وخمسة وثلاثون دقيقة مساء وصلنا ثانية إلى نهر (شريفي) الذي يبلغ عرض قاعه حوالي ميلاً واحداً. أما مجموعة الضفاف المتكونة من الطين والوحل يبلغ ارتفاع الواحدة منها حوالي ستون قدماً. بدا لنا القاع مغطى بالنباتات البحرية ذات الطعم الحلو. ولكن جمال الساحل لا تبالي بالأكل من تلك السموم، لأنها تتغذى على حشائش البامباس، من ضمن النباتات أيضاً كان نبات «سبارتا» وهو نبات ذات أوراق ناعمة وهي أكل مفضّل لدى الجمال وكان متوفراً بكثرة. أما نبات «التراث» الذي يعتبر

الطعام الصحي للجمال وبغيره لا يمكنها الحصول على قوتها، فقد حاولنا جهدنا لنعثر عليه ولكن لم يوجد منه شيئاً.

بعد حوالي ثلاثة أميال من دخولنا للنهر، وصلنا إلى غابة صغيرة من أشجار التمر وكان هناك كوخاً وحيداً بالقرب من هذه الغابة، فنصبنا خيمتنا فيها وحينها لاحظنا صاحب هذا البستان مشغولاً في إشعال حطب بعض النباتات التي لربما دخانه يدفع الجراد ليطير بعيداً عن هذا المكان الذي كانت فيه مساحة مزروعة بالقمح. كان راعي هذا البستان لأول وهلة خائفاً من قافلتنا، ولكنه تعاطف معنا بعد ذلك وباع لنا بعض البيض وحليب بثمن باهظ. وفي هذا المكان أيضاً قمنا بذبح آخر شاه من الثلاثة التي جلبناها معنا من (جيكن) وكان لابد من ذبحها لانقاذ حياتها؛ وذلك لأنها أصبحت وحيدة في القافلة بعد أن قمنا بذبح رفيقتها، وبعد أن عاندت في سيرها لشعورها بوحشة تامة، رُبطت مع الجمل من عنقها، ولكن أدى شدها له باستمرار إلى قطع الحبل من طرفه.

خلال سيرنا تنبهتُ للمناقشة التي دارت بين «إبراهيم» واثنين من رفقاء الرحلة الصغار. فحديثهما كان عن الأمطار التي سقطت بغزارة وكيف أنهما بإمكانهما أن يكونا بوضع جيّد عند قيامهما باتفاقيات عمالية. بعد سقوط الأمطار هذه السنة بكثرة عن السنين السابقة، فزراعة القمح الواسعة في (مكران) تستلزم شيئان: عددٌ من العمال مع كمية الأمطار هذه لتحويلها للزرع. وبعد أن بدأ هذان الرجلان رحلة شاقة وطويلة لبلاد عدائية وأخرى غير معروفة، وبعد أن أصبحا على مقربة من بلدهما، سنحت لهما الفرصة الآن للعيش في رفاهية بدلاً من متابعتهم القيام برحلات أخرى خطيرة.

بدأ هذا الموضوع يدور في رأسي بدقة ولبعض الوقت قبل أن أتخذ أي قرار فيه. إن شيئاً واحداً لم أتمكن من معرفته من ذلك الحديث الجاف الذي كان مبرراً ظاهراً للغضب الظاهر في أعينهم. للمرة الثانية لمّح لي

«إبراهيم» بحديثه عن مضاعفة أجرهم لحل أي نزاع ولكنني لم أصدقهما فتحدثت مع إبراهيم بعنف (حيث أنه ليس من الممكن أن يفرض عليه شيئاً من هذا القبيل)، وقلت له بأني لا أصدق هذا القول لأنني أعرف الكثير عن البلوش منذ سنين عديدة فهم لا يقومون بفعل شيء يدل على عدم رجولتهم، فهم إذا وعدوا وأعطوا كلمة يلتزمون بها، وليس من الممكن أبداً أن يصحبوا رجلاً منذ البداية ثم يتخلو عنه بعد ذلك وهو في أول الطريق.

(لربما كان علي شاه قد رفض نوعاً من الاحتقار ولذلك يفعلون هذا الشيء).

إن ما مرّ من أحداث طوال الوقت كان مجرد رغبة، بعد ذلك سارت الأمور بجميع المراحل بشكل سليم.

في صباح اليوم التالي بدأنا السير وكان علينا أن نمشي حوالي تسع ساعات متواصلة. وخلال الساعتان والنصف الأخيرة كنا نأخذ طريقنا إلى أعلى وأسفل بين الصخور والممرات المائية في الظلام الشديد وفي اتجاه غير مؤكد بأنه صحيح أم لا.

على كل يجب علينا أن لا نسبق الأحداث في رحلة زاخرة بالحوادث المفاجئة التي قادتنا في الحقيقة للترحال عبر حدود بلاد رائعة (باشاكارد).

ونحن في هذه البلاد الآن «حسب معلومات السكان» سنجد أشياء مذهلة. أكثر ما في هذه البلدة كان غير سالكاً، وكان هناك شيئاً ما عبارة عن جسم ضخم كالشيطان يدعى .. «هيرس» بجسم هائل كالرجال الضخمة. بعد ذلك أيضاً كان هناك قلاعاً ضخمة البناء قد بناها «رستم» نفسه في عصر قديم، كذلك كان علينا أن نشاهد الكثير من الأشياء المهمة التي وصفتها كما هي في الصفحات المقبلة بأقل تعديل تعتبر البلدة بدائية،

برغم من التأشير عليها في الخارطة منذ أيام «بوتينجر» لم يدخلها بعد أي شخص أبيض. حتى خارطة «الماجور سانت جون» التي كانت مطبوعة في موطني حددت عليها عاصمة البلدة (أنغهوران) على بعد أربعون ميلاً من موضعها الأصلي.

في صباح اليوم التاسع كنا قد تأخرنا قليلاً بسبب الجمال لأنها كانت هائجة، نود أن نجد مدخلاً إلى العشب، وبسبب هذا فقد خلعوا المقبض الخشبي من أنوفها حيث يربطها باللجام . وقد قضينا نصف ساعة للتحكم بهذه الحيوانات، فقد كانوا يتألمون جداً خاصة الجمل الكبير «جاسكي» الذي أفلت رقبته فقام خمسة رجال بالسيطرة عليه بعد تهيجه الشديد لوضعه المؤلم هذا.

بعد تسوية هذه الحادثة بدأنا سيرنا من ضفة النهر ومررنا ببقعة مزروعة بالقمح من النوع الطيب المذاق الذي يحبه سكان القرية الجبلية وكانوا يسمونه «سونايتي».

كان طريقنا جميلاً وبهيجاً بما فيه الكفاية بين سنابل القمح وأسراب من الطيور زاد في جماله منظر الصخور الفائق التصّور، ولكن فاتنا في هذا الصباح تغريداً رائعاً لطيور الحجل أو الطيور ذات الأرجل الصفراء. حتى الآن لم نصل بعد لبلدة طيور (الكابج) أو طيور الأرجل الحمراء التي تطير بنظام ثابت على علوّ منخفض وصوتها المنخفض بنبرة «كوك، كوك، كوك».

اليوم فقط عرفت حقيقة غريبة وهي أن الجمال الذكور تعرق فقط في مؤخرة رأسها أما الإناث منها فإنها لا تعرق بالمرة؛ لذلك لم أكن أعرف حقيقة هذا الأمر لأن جمالي كانت جميعها ذكوراً.

لقد عانينا كثيراً في تلك الرحلة من الصعوبات التي واجهتنا بسبب عدم

وضوح معالم الطريق. وقد علمت اليوم ما بين الساعة العاشرة وخمسة عشر دقيقة وحتى الخامسة والنصف، حسب ما ظهر في البوصلة، وبالمقارنة مع الأيام الأخرى، إنه ما يزال هناك صعوبة كذلك لعبور سبعة تلال أخرى عمودية الشكل إضافة لما سرناه تبعد الواحدة عن الثانية ميلاً أو نصف ميل. وفي الساعة الثانية بعد الظهر عند وصولنا إلى نقطة تلاقي ثلاثة روافد لنهر (الشريفي) تركنا القاع الرئيسي للنهر لنتابع القناة الشرقية، وهنا جمعنا القافلة بعد أن تجولنا حول المنطقة ووجدنا أماكن كثيرة للتوقف.

وما أن اقتربنا من المكان الذي قررنا التوقف فيه حتى سمعنا صوتاً يصيح «هلي واجي هلي، بالله عليكم أن تأتوا إلى هنا لقد انكسر الدواء وقد يحرق الجمال ويقطعها إرباً. إنه بلا شك شيء مثير ولم أستطع طبعاً أن أخمن ما قد حصل. وبأقصى سرعة ذهبت إلى الرجال حيث يقفون، فوجدت قطعتان من القطران قد انصهرت في الجراب وذابت بفعل حرارة الشمس في ساعات الظهيرة وسألت عن كل شيء وانبعث منهما رائحة قوية غير محتملة أزعجت الرجال. لقد كانوا دائماً في هلع وخوف شديد من أدويتي.

حيث كان حسن هو المكلف بحمل شنطة جلدية تحتوي على النترات قوية، والكبريت و«حامض المبورياتيك» لفحص المعادن. وعلى الرغم من أنها كانت مغلّفة بعناية إلا أن الحقيبة قد تفحمّت يوماً بعد يوم بفعل هذه المواد، وعندما شاهد الرجال هذا المنظر اعتقدوا بأن كل شيء سيحترق بفعلها.

فقط وجدت جواربي الاحتياطية تالفة لأنها كانت ملتصقة مع بعضها. أما باقي الأشياء فلم يحصل لها أي شيء، عندئذٍ وجدنا في طريقنا شجيرات عجيبة يطلقون عليها اسم «بان» فهي في الحقيقة تنتمي إلى فصيلة «الفينستوكسيكوم» فمئات الفروع اللامعة منها ثبت في الوسط وليست لها

أوراق وإذا ما ضُغط عليها فإنها تخرج ما يشبه اللبن الأبيض ولكن مرّ الطعم. وعندما تموت هذه الشجيرات تموت معها الجذوع. بعدها يتشعب في منتصف الشجيرات شيئاً يشبه الجذور الصغيرة.

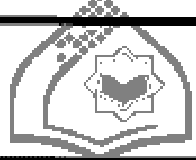
أدركنا المساء ونحن ما زلنا نخوض في سيرنا ضفاف السيل حتى وصلنا لنقطة التقاء جدران المجرى مع بعضها البعض، فوجدنا أنفسنا في ممر أسفل فجوة عميقة.

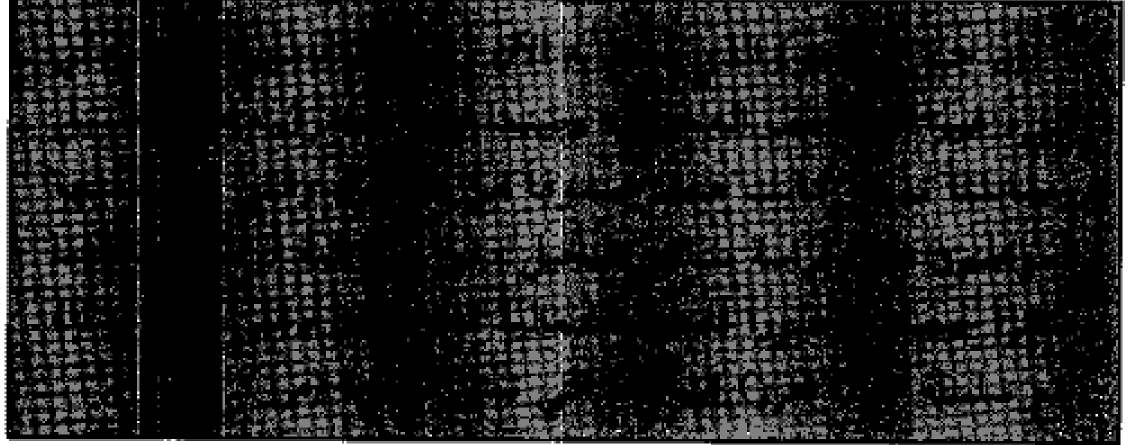
كان جدار المجرى يرتفع حوالي ثلاثمائة قدم ويكسوه الطمي الأزرق وصفائح «الكورتز» وهو معدن شبه نفيس. أما الحواف فكانت أمامنا كأنها ممشطة ذو أسنان، المياه هنا كانت قوية وبعض عناصرها قد غيّرت الطمي إلى حجارة زرقاء قوية.

بدأ «جازو» يبحث عن وادٍ ليقودنا خارج هذه الفجوة، ثم قال هنا يرقد جدودي، بعدها وجدنا اثنان أو ثلاث مخارج توقفنا أخيراً وأشعلنا المصابيح واسترحنا هنا لنكتشف بعد ذلك بسيرنا إحدى الأماكن القديمة المحببة لدى «جازو». وبعد مجهود كبير نجحنا في أن نصعد بالجمال والخروج بها من الممر. وعندما وصلنا إلى أعلى وجدنا منحدراً شديداً، وبعد أن عبرنا مجرى الجدول وصلنا إلى (دازاكا) فنصبنا الخيام فيها. لقد كان صعودنا اليوم حسب مؤشر «الباروميتر» حوالي ٢٧,٢٦٥ وتمثل ما يقارب ٣,٥٤٠ قدماً. ثم اضطررنا أن نأخذ بكلمة «جازو» عن عدم وجود «جور» حولنا، وما كان علينا إلا أن نحل الجمال لترعى من شجر «الكاهور» الذي برغم قلته كنا متأكدون من أنه هناك بالمكان.



الجزء السابع






مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

في اليوم الثاني استيقظت مبكراً وأنا متلهف أن أرى كيف هي حالة الأراضي التي أنا فيها اليوم. كان هناك رسماً ليد رجل على حائط قديم الذي كان في وقت من الأوقات قريباً من قطعة أرض مزروعة بالقمح، وعلى مقربة منه أيضاً كانت هناك شجرة ضخمة من شجر النخيل هي الوحيدة التي بقيت من جميع أنثى أشجار النخيل التي كانت تملأ الأرض قديماً.

بينما كنت أستمتع بوجبة الإفطار التي كانت تتكون من لحم فخذ بارد ومخلل وكاكاو مع احتفاظنا بكل ما يدل على التحضر الفاخر، أخبرنا «علي شاه» عن وصول أحد الممثلين الدبلوماسيين من «ريّس علي»[1] حاكم (باشكارد) التي كانت حسب معرفتي بجانب (أبيني باند) المكان الذي خيّمنا فيه. وكنت تواقاً لاعطائه إنطباعاً جيداً عنا فكان ردائي القرمزي اللون موضوع على يد المقعد وقد طلبت قهوة وغليون.

---

(١) قد يكون رئيس علي من آل مير مبارك ـ وهم من (جغدان) وكانوا على خلاف مع حكام (أنغوران) وإبنه هو غلام حسين، ولست مطلعاً على كامل نسبهم.

بعد ذلك استدعيت زائري. دخل المكان وهو يردد بفخر سلام البلوش الطويل. وقد عرفت شخصية الزائر من بندقيته الطويلة المكسوة بالفضة، وحافظة سيفه ذلك يدل على أنه شخصية اجتماعية رفيعة المستوى.

وبالرغم من أنه لم يشأ أن يظهر اهتمامه، إلا أن الدهشة بدت عليه عندما رأى خيمتي والسجاد المربع، وأكثر من ذلك حلقة البراميل المثبت فيها أعمدة الخيمة، وقد كان منبهراً بعظمتنا، وبكل بساطة كنا لا نجد صعوبة في الرد على أسئلته، وعندما سألنا لماذا أتينا إلى هنا كان «إبراهيم» جاهزاً للرد عليه. لم يكن تقديم القهوة مقبولاً منه بالرغم من أن تقديم القهوة هو دليل على الاحترام ولكنها غير مرغوبة لمرارتها. ولا حتى الغليون المحضَّر بتبغ شيراز الجيد لم يكن حاراً ليناسب ذوق البلوش الذين يدخنون مثل العرب نوع من التبغ اللاذع والحاد الرائحة ولا يفضلون النوع الخفيف الطعم.

كانت مهمته تقديم دعوة من «ريس علي» والذي كان مخيمه بعيداً عنا حوالي ميل واحد، وقد جاء ليرشدني إلى ذلك المخيّم. برغم هذه المفاجأة إلا أنني أكدت له وأنا أحمل الكرة بيدي قائلاً: وسوف أفكِّر باقتراحه، ولمّحت له كذلك أنه لم يكن لي من قبل شرف مقابلة الريس بنفسه. ورأيت أنه من الأصلح لي أن يقوم نائبي بالزيارة الأولى، وهنا أخذه «إبراهيم» خارجاً لمناقشة العمل الحقيقي للاجتماع. ملاحظاتي لشخصية مشهورة كهذه كان لها كثيراً من الاعتبار والاهتمام. وقد لاحظت ذلك في مناسبات عديدة ما مدى الفرق بين التأثير على هؤلاء الجهلة من البلوش الذي لا يتسلل إلى نفوسهم وبين أولئك الفارسيين الأكثر مدنية وحضارة.

جاء إبراهيم بعد ذلك ملحاً علينا بالذهاب فوراً إليهم لأن الأمير

«يوسف»[٢] من (جاسك) كان موجوداً مع «الريس علي» كذلك كان الأمير «شهداد» شقيق الأمير «يوسف»، ومع هؤلاء الحُكام كان إبراهيم يحاول أن يجعلهم متقاربين ومتحالفين مع بعضهم البعض.

أما بخصوص وجود خطورة عليَّ من أهالي «بشكرد» فقد أعاد لي ما ذكره طول الفترة السابقة أن واحداً من بلوش (مكران) الجيّدين يساوي ستة من (الباشكارديين) وأنه مع الرجال الذين معي سوف يحمونني في المناطق بعد هذا الإقليم.

وفي الثانية عشر والنصف حملنا أمتعتنا ورحلنا عبر الصخور لمسافة ميل ونصف في اتجاه الغرب. وفي طريقي كان جلّ اهتمامي مركزاً على «تاجو» الذي كان يسير بجوار جملي يقظاً لكل ما هو غير عادي، وكنت أشعر متى كان يريد أن يتحدث إليَّ أو يخطرني بشيء ما، ولما كان يدرك أنني فهمت مقصده كان يحاول أن يلتقط من ذاكرته المشوشة جُملاً باللغة العربية التي اكتسب منها بعض أجزاء لخمسة أو ستة عشر كلمة[٣].

---

(٢) هو الأمير يوسف بن داخدا وعمه الأمير «شهداد» بن الأمير حاجي «الكبير» بن الأمير حسين بن الأمير داخدا بن شاهو بن اليشكري بن الأمير جمعة بن الأمير دغار.
واستحوذ على قلعة جاشك في تلك الفترة، وكان على رأس أمراء آل حاجي في صراعهم مع ابن عمهم الأمير عبد النبي (كما ذُكر سابقاً) في حكم مناطق ساحل (مكران) بعد انتهاء حكم الفترة العُمانية في عهد السيد ثويني بن سعيد بن سلطان آل بوسعيد حاكم مسقط وعُمان.

(٣) لهجة أهل الباطنة ليست مختلفة كثيراً عن لهجات مناطق عُمان الأخرى ومع انتشار واستمرار القبائل العربية مثل المعامرة والحواسنة وآل سعيد من الباطنة في عهد الحكومة العُمانية لمكران فلقد انتشرت لهجة أهل الباطنة بالأخص في مناطق ساحل مكران أكثر من أي لهجات مناطق عُمان الأخرى، وأيضاً اللهجة السواحيلية للمناطق التي كانت تحكمها عُمان في أفريقيا انتشرت بين كثير من تم استقدامهم في شرق أفريقيا سواء في فترة تجارة الرقيق أو بعدها وواضح هذا جلياً في الفنون والتراث الشعبي والرقصات المحلية بين البلوش من الأصول الأفريقية.

لم أجد الفرصة حينذاك في بلدة (هنجام) لدراسة لهجة أهل الباطنة من بعض القراصنة الذين كانوا عابرين بسفنهم الشراعية وذلك في ليلة واحدة تقريباً، وجميع دراساتي العربية التي تعلمتها من خلال الأربع سنوات لم تفيدني بأي شيئ مع هذا الرجل ولهجته. والمحادثة التي كانت بيننا الآن بها الكثير ما هو في لعبة «Buz» أو لعبة التخمين، ولكن مع قليل من الصبر استطعت فهم الحديث فقلت: «جي يسيرون، هذين الاثنين، يبغون فلوس» (وهذا يعني أن الاثنين سيرحلان ويريدان دفع أجرتهما هنا).

إن هذا على كل لم يزعجني كثيراً، لأننا سنبقى حوالي ثلاثة أو أربعة أيام داخل الخيمة لحين دفع أجور جميع الرجال، وصديقيَّ الاثنين سيبقيان لذلك أيضاً، لأنهما في الحقيقة لم يكن لديهما الشجاعة ليخبراني أنهما راحلان. فهما يعتقدان بأن لديهما ثلاثة أسباب قوية لطلبهما دفع الأجرة مقدماً، وحتى لا أثير شكهما برفضي كنت أحاول دائماً أن لا أتقرب منهما حتى هذه اللحظة.

بعد ذلك صعدنا إلى أعلى هضبة طينية ناعمة زرقاء ثم انحدرنا إلى الجهة المعاكسة ووجدنا أنفسنا في ممر ضيق منخفض تابعنا سيرنا فيه حتى وصلنا إلى سفح (ابنين باند) الذي يعلو ٣,٠٠٠ قدماً فوقنا وهنا أرشدنا قائدنا للمكان الوحيد المنبسط الذي ممكن أن ننصب به خيمتنا. وحتى تُنصب الخيمة فرشت سجادتي ووضعت الكرسي الخاص في طرفها وبقينا ننتظر «الريس» وأصدقائه. أولاً جاء «شداد» و«يوسف» وهما الزعيمين لساحل (مكران) من الساحل مع بعض رجالي الذين وقفوا يظهرون ولائهم بصور مختلفة لهؤلاء الحكام، فأخذوا مسرعين يقبّلون أيديهم.

إن هذين الحاكمين الصغيرين ذوي البنية الطويلة بطلعتهما القوية كانا محترمين جداً لتسامحهما وكان الترحيب بينهما وبين الرجال بادياً على جانب عطوف من جهة ومخلص وودي من جهة أخرى، وكأن كلام

الرجال لأصدقاء قدامى وليس لحاكم ورعيته. يبدو هناك مؤشر ولاء جامح في حياة الرفقاء وفي طريقة معيشتهم والتي تضع كل رجل في مكانته المناسبة.

بسرعة جلس أصدقاؤنا الأعزاء على يساري، وقد تقابلنا من قبل على الساحل ولكن كان ذلك قبل سنوات، وما أن قال: «إبراهيم» أنني «فالو ـ وار» وهو يعني «فلوير» بلغته البلوشية حتى بدأنا نكون ودودين لبعضنا البعض ـ ثم تحدثنا عن الصيد قديماً في في (جغين) وتلال (باركو) وكنت أعرف بأن الحكام جاءوا للمفاوضة في عمل تحالف جديد مع الريس، والنقطة المهمة كانت في أن يمنحهم بعض الرجال لمساعدتهم ضد غريمهم «عبد النبي» الذي ذكرتُ سابقاً أنه كان في (ميناب).

مبعوثنا في الصباح كان «دور گوش» أو (صاحب الأذن اللؤلؤية) قال إن الريس سيحضر هنا فوراً. وفي الحقيقة في هذه اللحظة شاهدنا الرجال يتسلقون الممر المرتفع، وبعد قليل من تقبيل الأيدي جلس الرجل العظيم بجانبي ولكنه كان متواضعاً وتذكرتُ قول «إبراهيم» في أهالي (بشكرد) وهدوئهم وسلاسة تعاملهم. .

وعلى جانبي الأيسر جلس أمراء (مكران) بلحاهم السوداء وحواجبهم الكثيفة، وعلى رؤوسهم عماماتهم الكبيرة وبعضم يرتدي رداءاً قرمزياً جميلاً ذو أزرار فضية والحزام الذي كان يُثبّت به السكاكين والسيوف. ولكن على جانبي الأيمن كان الفارق واضحاً، فقد جلس رجل ممتلئ القامة ببشرة شاحبة مصفرة بدون لحية أو شارب أو أي صفة رجولية مميزة. كأنه الإمبراطور (كلوديوس) يلبس فقط قماشاً يلفه حول وسطه وقميصاً أبيضاً ليس به حتى أي تطريز أو إشارة أو علامة ملكية التي تَثبّت عادة في الأمام.

كان أسلوبه في الحديث صاخباً بشكل ساذج مما يحقر ذلك من نفسه ويحط من قدره، وعندما قدمنا له الغليون رفضه لأنه كان رجلاً بسيطاً ومسناً ولم يفهم أشياء كهذه، بعدها دار علينا لتقديم طبق به قليل من السكر، كان يطلب وهو يتظاهر بالتواضع قطعتان من السكر لابنه الصغير وعندما قدم له زجاجة مليئة بالسكر أخذه فرحاً شاكراً. لقد حضر «عبد الله» وقال مستسلماً إن الأرض حجرية قوية وإن أوتاد الخيمة لا تدخل بها، ثم أضاف إنني سأثبت أوتاد خيمة «صاحب» هنا. وفي لحظة جلس على الأرض ووتد الخيمة بين قدميه وبدأ يطرق عليه بحجر متوسط الحجم وسط ضحك واستنكار لطيف من رجالي.

وفي وسط هذا المأزق بسبب وتد الخيمة قام «إبراهيم خميس» بتبختر في مشيته مستخفاً وفي يده عنان اللّجام. بعد أن حلّ الجمال لترعى. ثم أخذ إبراهيم «عبد الله» من ذراعه والتقط وتداً، وبهدوء وضعه في المكان الصحيح وقال لـ«عبد الله» أن يضرب، أمسك «عبد الله» بمطرقة وأخذ يقيس المسافة بحذر حتى الضربة الثامنة التي بها كان الوتد قد طُمر تماماً. وما يزال «إبراهيم» يستخف بـ«عبد الله» حتى كانت جميع الأوتاد قد ثبتت بنفس الطريقة. أما الحبال فقد ربطها فريق آخر من الأشخاص بعد أن طلب منهم ذلك «إبراهيم» دون اكتراث.

إن «الجمعدار إبراهيم» رجل طيب، ولكنه طويل جداً لذلك لا يستعمل إلا مطرقة خاصة ذات مقبض الطويل وإلا فإنه ينحني عند كل ضربة. عندما تنظر إلى إبراهيم الصغير وهو يضرب الوتد ستعتقد أنه بكل بساطة يهز المطرقة حول رأسه. وإنه لا يوقفها أبداً. وحين يفرغ من عمله بتثبيت الأوتاد للخيمة بهذه المطرقة التي بمهارة يلفها عالياً حيث أنني أحياناً قد رأيت بعض أوتاد الخيمة التي كان طولها ثلاثة أقدام وهي تطير في الهواء بارتفاع من خمسة عشر إلى ثمانية عشر

قدماً وذلك بعد ضربات قوية من هذا البطل الصغير.

بعد أن ضحكنا من هذه المناظر أخذنا أماكننا على المقاعد، وهناك حضر لل (دربار) أو «مجلسنا» رجلٌ اندهشت عندما اكتشفت أنه فارسي، عند الترحيب به عرفت أنه محصل للضرائب. وهنا بلا شك بدأت أدرك على ماذا تقف الأمور الآن، لأن التعرف الغير عادي «للريس» حينما كان متواضعاً وخاضعاً ويظهر الفقر والحاجة ليعطي انطباعاً للمحصل أنه لا يملك مالاً ويتسول.

أما «محمد بيك»[٤] فيبدو من منظره بأنه شرير، ووجهه كالثعلب ، إنه أول رجل أراه في حياتي هكذا، ورغم ذلك رحبت به بصعوبة في وقت بدأ المطر والبرد، فأسرعنا لدخول الخيمة، إلا أن الخيمة لم تكن مريحة كما ينبغي حيث كانت الرياح تعصف بشدة مما تطلب ذلك جلوس خمسة أو ستة رجال خارج الخيمة ليمسكوا بحبالها.

عندما هدأت الرياح استأذن الزوار بالخروج، وقد لبَّى «الريس» جميع طلباتنا من تمر ودقيق، ووعدني بأنه سيأتي ليراني. أما باقي اليوم فقد انقضى في استقبال زوار أقل مقاماً ومرضي للمعالجة بصفة خاصة من أمراض التهاب العين، على كل، يجب عليَّ أن لا أنسى زيارة رجل عربي سيئ الحظ قادم بمفرده لملاقاتنا في تلك القلاع الجبلية. بدى لي أنه تاجر جياد من (مسقط)، لم أستطع أن أعلم ما هي الظروف الغريبة التي دفعته

(٤) محصلوا الضرائب كانوا قد بدءوا ينتشرون في مناطق بلوشستان بعد ضمها من قبل القوات العسكرية للحكومة الفارسية (القاجارية آنذاك) وكان مطلوباً منهم جمع هذه الضرائب في كافة المدن والقرى حيث أن حكومة الشاه القاجاري كانت تدفع أرباح قروضها في أوروبا، ولكنها لم تنجح في النهاية وحدثت الثورة الدستورية ضد الشاه ١٩٠٦ مما عجل بعدها لاحقاً بزوال الدولة القاجارية على يد «رضا شاه بهلوي».

للوصول إلى هنا، حيث لا يوجد سوى طريقين لتسلكها الجياد. كان خادمه مريضاً بالحمى، وهو نفسه يعاني من ألم في أسنانه منذ ثلاثة أسابيع. وفي اللحظة التي كان يريني فيها فمه، الذي بدا متورماً للغاية، سمعنا بالخارج صوت مدقّة وهاون حيث كان «غلام شاه» يطحن القهوة ثم جاء وقال مداعباً «سيدي قد حضّرت القهوة»، لقد أفرحنا قلب الزائر حين قدمنا له المزيد من القهوة.

في المساء كان «الريس» يدخل إلى خيمتي بسرية تامة وبصحبته الرجل ذو الأذن اللؤلؤية الذي علمت فيما بعد أنه متزوج من شقيقة الريس. يبدو أن زيارة الريس هي زيارة عمل. وبعد أن قدّمنا الشاي والغليون وبالمناسبة إن الشاي والغليون هما الشيئان الوحيدان المتوفران في هذه البلدة، عرضت احتياجاتي فيما يتعلق بإرشادي إلى (أنغوران) وما ستكون عليه من حيث صلاحيتها للجمال وحسب ما سمعت بأنها قد تكون أنسب للحمير التي في هذه الحال عليّ أن أدفع فيها جيداً.

إن «الريس» لم يعد بالرجل المازح ذلك المساء، ولكنه بدا رجلاً فطناً وهو يتكلم بصوتٍ مؤثر وسريع وواضعاً يده على ذراعي، وبسرعة جاوبني قائلاً: (واجا) إنني لا أعرف من أنت أو من أين أتيت. ربما تكون كما قلت لي «فرنجيا» ذاهباً فقط بزيارة إلى حاكم (كرمان)، أو ربما وكيلاً لحكومة «الفرنج» التي سبق لي أن سمعت عنها، قادماً لهدف ما، أو كذلك ربما تكون رسولاً من مسقط لما سمعت عنك بأنك ربما تكون عربياً. هذا وبرغم أنني لا أعرف من تكون ولكنك ستكون في مأمن واطمئنان حتى تصل لغايتك في (أنغوران).

حتى الآن جميع الأمور تسير على ما يُرام مع إعلاني الصريح له بعرفاني بالجميل. مصادفةً قام «إبراهيم» بوضع علبة تنك مع بارود البنادق في يد مرافقه. بعد ذلك سألت عن الطرق إلى (أنغوران) ، وكان جوابه

جاهزاً تماماً لم يدع لي مجال التفكير لصدق مشاعره. وقال: «إنه من المستحيل لك ولجمالك أن تسافر على طريق (أنغوران). لهو صحيح أن المحصل سيسلك ذلك الطريق ولكن حالته تختلف عنك تماماً لأنه يركب جواداً مدرباً ولديه ستة حمير فقط، التي جميعها لا تكفي لحمل نصف ما يحمله أحد جمالك. إن الطريق الصحيح لك إن أردت أن تسافر إلى (أنغوران) أن أعطيك مرشداً ولكن عليك ألا تذهب لأبعد منها لوجود قوم سيئين أنا بحرب معهم، وبمجرد علمهم بأنني مرشدك الأمين ولو حتى أنك غير قادم من بلادي فإن ذلك سيكون مبرراً لقتلك على أيديهم، لأنه لم يتم سلب أي شيء منك وهذا يعني بأنك صديقي».

بعد قوله هذا تحدَّثنا عن مواضيع أخرى ثم استأذن مني بأنه في الصباح ربما يأتي بصاحبه الذي يعاني من مرض التهاب العيون أو الرمد. هنا سوف أعطي ملخصاً قليلاً عن الأحداث السياسية في (باشكارد) خلال السنتين الماضيتين.

إن مناطق (باشكرد) الستّة كانت تحت سيطرة ستة زعماء، الذين كانوا حتى عام ١٨٧٤ يقدمون الولاء إلى رجل كبير في السن ولكن قوي وذكي يُدعى «سيف الله خان»[٥]، الذي كان يقوي وضعه منذ خمسة وعشرين سنة مضت ببناء حصن كبير في وسط منطقة (داروسر) في (أنغوران) وفي شبابه وخلال إحدى معاركه التي لا تُحصى حصلت معركة بينه وبين قبيلة «غلام عباس» حاكم (داروسر) والذي نتج عنه ثأر بينهم ووقعت ضحايا كثيرة من كلا الجانبين. إن «سيف الله» قد اكتسب قوته بالسيف وبقي في

(٥) هو «سيف الله خان» بن الاهوردي بن شاهوردي بن جهانگير بن أمان الله بن شاهي، وهو من سلالة كانت تحكم بشكرد ولهم حصن أنغوران وقبور عائلتهم بها. وله ابنة تزوجها الأمير عبد النبي كترتيب سياسي أثناء الخلاف الذي احتدم بينه وأبناء عمومته آل حاجي.

الحكم لعدة سنوات عمّ السلام خلالها وزرعت مزارع كثيرة من شجر النخيل. أما زعماء المناطق الأخرى التي كانت تابعة له فكانوا غير متحدين وغير محظوظين، أما هو فقد قتل بطريقة عفوية أحد جامعي الضرائب الذي أرسل لسوء حظه من (كرمان) ليلقي مصيره.

أما «سيف الله خان» صاحب الكبرياء كان لايزال يحمل في نفسه فقدان أحد أقربائه الذي وقع ضحية الأخذ بالثأر من «غلام عباس». وبقي حزن والد الضحية قائماً طوال الوقت الذي كان يدعو فيه «سيف الله خان» باستمرار لاستخدام نفوذه للانتقام، وفي نهاية المطاف استخدم «سيف الله خان» هذا النفوذ، إلا أنه قام بعمل فظيع جداً، وهو ارتكابه لجريمة شنيعة لم تشهد سجلات (مكران) أو (غربي بلوشستان) مثيلاً لها.

خلال رجوعه من رحلة كان قد قام بها مع «غلام عباس» مع كبار رجاله لزيارة «سيف الله خان». وفي مدخل البوابة الكبيرة قوبلوا بوابل من القذائف التي أثنائها قيل قُتل سبعة أشخاص منهم. لقد قيل لي بأن «سيف الله خان» إدعى كسبب لهذا العمل الوحشي أن «غلام عباس» قد تآمر مع الحكومة الفارسية. عموماً، ربما يكون ذلك صحيحاً ولكن الرأي العام في المدينة كان ضده، أما حكومة (كرمان) التي كانت دائماً يقظة لحالات المعارضة أو الشقاق بين حكام (بشكرد)، قد أعلنت عن نقمة كبيرة لهذا الاغتيال الذي حدث، فقامت بإرسال ثلاثين من الخيّالة. وفي بلد ليس بها أحد يقود الجياد غير الحكام وهذا يعتبر بلا شك جيش لا يُقهر تقريباً. وبالرغم من أن هؤلاء الخيّالة لم يجرءوا على وضع أقدامهم في البلدة إلا أنهم قد تمكنوا الآن بعد تلاشي اليد القوية للتغلغل إلى (أنغوران). ولكن «سيف الله خان» قد أقفل على نفسه داخل قلعته فلم يستطيعوا فعل أي شيء.

إن «الريس علي» حاكم (بيزك) والتي نحن بها الآن قد أُختير من بين

الحكام الآخرين بصفته واحداً من عائلة «غلام عباس»، وقد طلبت الحكومة وعداً منه بتسليم «سيف الله خان». وهذا طبعاً ما لا يستطيع فعله حيث أنه لا يمكن لبلوشي أن يسّلم بلوشياً إلى الفرس الذين يكرهونهم وتظاهر هو بقبول هذا الأمر وقام بجمع الرجال ونشرهم حول القلعة فحاصروها لمدة سنة تقريباً. في نهاية تلك الفترة أصبح الماء في الآبار غير صالح للشرب. بعد ذلك وجدوا أن اثنان أو ثلاثة من الرجال فقط متواجدين تحت الحصار أما الآخرون فقد هربوا واحداً تلو الآخر والذين كانوا ما يزالون محاصرين للقلعة فقد سُمح لهم أن يذهبوا دون الإساءة إليهم. أما «سيف الله خان» فقد استطاع أن يهرب بأمان إلى (مرز) الإقليم الذي كان فيه حاكماً لفترة مضت. أيضاً رجع «ريس علي» إلى (بيزا). وأصبح كل شيئ يسير على ما يرام وقد نجح «ريس علي» وأصبح حاكماً لـ(باشكارد). ولكن هذا المنصب كان له ثمنه. حيث بعد فترة قريبة حضر جابي الضرائب الفارسي يطالبه بالضريبة قائلاً له: «أنت الآن حاكم باشكارد».

في صباح اليوم التالي بينما كنت لم أزل اسّرح شعري كانت هناك عملية طالما أثارت ذهولي أعلنها الريس وابنه. لقد التقط ابن الريس نسخة لـ«حافظ» كانت ملقاة هناك وبدأ يقرأ بانشراح كبير بينما كاد والده المغرور أن ينفجر من الضحك وهو يسمعه. ثم طلب مني «الريس» الصغير نسخة من والده وقد أنابه والده ليلبي جميع طلباتي. وقبل مغادرته كرر ما قاله لي بالأمس عن الطرق ثم انصرف وهو يقول بأن «محمد بيغ» سيتصل بي لأنه يريد شيئاً ما. عند ذلك حضر «محمد» وطلب بأسلوب اللف والدوران شيئاً من الكحول. ولم يكن لديَّ أية نقطة من هذا القبيل. ثم أضفت بطريقٍ غير مباشرن وربما ليس كثيراً منه. متابعاً أسئلتي فيما يتعلق بتوجيهنا إلى الطريق الرئيسي إلى (كرمان) بهذا الشكل أفهمته بأنه سينال ما يريد إذا

أعطاني ما أبتغيه أيضاً، بشكل أساسي حقيقة الطريق الصالح للجمال. فأجابني قائلاً: «إن كنت أنا فعلاً رجلاً إنجليزياً وذاهباً لأرى حاكم (كرمان): «فإن له الشرف بأن يساعدني بأية طريقة». ولكنه أضاف بابتسامته الخادعة، وقد رآني وأنا أقرأ كتاباً فارسياً، وإذا كنت أنا نائباً أو ربما سلطاناً فسنكون إخوة. وسيقوم توفير الجمال لي بأية طريقة وسنذهب سوياً.

جاوبته ببرود إن حاكم (كرمان) يمكن له أن يحكم ما إذا كنت قد خدعت أم لا بالنسبة لطبيعة الطريق المباشر. وقد طلبت منه أن يختصر ويقدم لي تقريراً بسيطاً «هل بإمكاني الحصول على جمال للسفر عليها أم لا؟» هنا قدم له كوباً من مشروب كحولي وماء معطر وروح النعناع وكان يتلذذ بشدة من ذلك المشروب الخليط. بعد ذلك بدأ حديثه مشتتاً وهو يردد إنني لا أقبل أن أسافر إلى أي مكان في هذه البلدة مع جمال «منهكة». حتى لا يصل رجالي لنقطة ربما يتركونني لثقل أمتعتي الكثيرة وغيرها . .الخ. ثم ختم حديثه بنصحه لي أن أقوم ببيع الجمال وأستأجر حميراً بدلاً عنها.

إجمالاً كانت فكرته الأساسية كما أراها هي في أن أصاحبه، وفي أغلب الظن كان حلمه المرتقب هو الحصول على البراندي. بعد ذلك ألقى التحية منحنياً وخرج. وقد سمعت بعد ذلك أنه قام بزيارة قصيرة لإبراهيم ليرى ما إذا كان لديه قليلاً من الكحول أم لا.

زائري الثاني أثناء تناول الإفطار كان رجلاً بسيطاً يُدعى «محمد مير خانجال»، رجل مسن هو زعيم إقليم (مرز) وكان شبه أعمى من أثر مرض الرمد أو الالتهاب في العيون. كان هذا الرجل هو نفسه الذي تحدَّث إليه الريس، وقد قررت بسرعة كيف يجب عليَّ أن أتعامل معه. كانت إجابتي عند توجيه أسئلة على نحو مختصر وجاف أولاً، ومضيت في أكل البيض كأنني لا أبالي بحضوره. ولكن هذا الرجل المسكين كان يريد التعامل مع

أحد يمكنه أن يرد إليه بصره. وأخيراً أخذ يتوسل إليَّ لعمل أي شيء لعينيه. على هذه جاوبته بقساوة بأنه يترآي لي وكأن بلوش هذه البلدة ليسوا ببلوش أبداً حيث أن طلبهم دائماً يأتي على شكل توسلات وتضرع وهذا مقابل ما سألت عنه فقط الشيء البسيط لمرشدين للوصول إلى (كرمان) عن طريق (أنغوران) . وقد قوبلت بما هو أسوأ من الرفض، وبالتحديد المراوغة.

كان الرجل المسن قد تنبه تماماً ومسك بيد الرجل الذي أرشده في سيره، وقال بغضب: ـ «هذا هو خادمي الخاص سيقودك إلى (أنغوران) أو لأي مكان تريده. وسوف لا تدفع له أي شيء، ولكن ما عليك فقط إلا أن ترسل لي ورقة معه حينما تعفيه من هذه المهمة تذكر لي فيها إذا ما كان قد خدمك جيداً أم لا». ثم أضاف «إذا كانت جمالك لا تستطيع السير في هذا الطريق، وإذا اضطررت لترك جميع أمتعتك فهي ليست غلطته. وإنك تقول بأنك ستمكن الجمال من السير في هذه الطريق، وقد تحاول ذلك، كل ما أود أن أقوله لك بأنه لم يسبق لأية جمال ولا حتى جمال الجبال أن قامت برحلة كهذه».

هذا كان كافياً لي. فنهضت وأخذت يد الرجل العجوز وقلت «يا والدي، نحن الاثنين أهل للثقة، أنا لن آخذ خادمك ولا طريق انغوران». وبعد مناقشات أخرى فحصت عينيه وأعددت له محلولاً من نترات الفضّة، ووضحتُ له طريقة الاستعمال، ثم وضعت يدي على كتفه ونظرت إلى وجهه الفاقد البصر تقريباً، وأضفت: «بما أنك تكلمت بصدق معي، لذا فإن دوائي سيشفي عينيك». بعد ذلك تماماً أطل شاب فتيّ يُدعى «بيرو» من باب الخيمة وقال، إن «الريس علي» قد أرسله ليرشدني إلى (أنغوران). بالرغم من أن هذا الأمر كان مفاجأة إلا أنني قررت مباشرةً أن أبدأ، حيث أنه عند عودتي ربما أتمكن بسهولة أن أفتح السؤال عن الطرق وسأكتسب خبرة أكثر لإرشادي.

أعطيت التعليمات لـ«إبراهيم» بأن يقيس مدى الرياح بواسطة الكرونومتر، وأيضاً لتحضير كل ما يخطر بباله من استفسارات حول البلدة. و«غلام شاه» قام بحزم اثنين من المعاطف المشمعة ضد المطر، وإبريق شاي صغير، يمكن خمله، مع شاي، ودقيق، وتمر، ولحم استرالي، وتبغ، وبارومتر معدني، وترمومیتر لقياس الحرارة العليا والصغرى، وبوصلة، وخارطة، ودفتر ملاحظات، وزوجان من الجوارب. أما «جازو» فأخذ معه زوجان من الصنادل، وبالرغم من كل التأخيرات إلا أننا أصبحنا في تمام الساعة العاشرة والنصف قبل الظهر في طريقنا للاستفسار عن المجهول والغامض حتى الآن بالنسبة لموقع وحالة وأبعاد، الطريق إلى (أنغوران).

أمامنا مكان مرتفع وعلينا أن نتسلقه وما أن حمّلنا الحمير بأمتعتنا سمعت الريس العجوز الذي كان يظهر بأن يسترشد به ولكن لم يحصل هذا أبداً، تقدّم من «بيرو» وحذّره برزانة بأن لا يخرج أو ينحرف عن المسار الذي وصفه له لأننا من وجهة نظره كنا بلا شك سنسلب ونتنهب وقد فزع حينما ودعته، كذلك كان خائفاً من طلب حكومة الإفرنج إن حدث شيء لي لأنه حسب تصوراته المبالغ فيها لها سلطة في هذا الأمر.

في مدة النصف ساعة الأولى كنا نصعد ونهبط إلى منحدر وربوة هشة عالية ووحل أزرق اللون كان يغطي مساحة مرتفعة من ثلاثمائة إلى خمسمائة قدم والتي لم تبدو فيها الحياة ولو حتى أي نبتة خضراء. وقد حوّلنا سيرنا أمام تلة (دوريني) الضخمة، (وهذا اسم محلي لنهاية سلسلة أمنيني). والتي نصبنا خيامنا تحتها، أشّر لنا «بيرو» إلى قمة هذه التلة، حيث بدا هناك ٢ أو ٣ أدغال معشّشة في تخاريب الكهف، هنا ظهر بيت «الريس على» علي مرتفع قريب حيث كان في أوقات الاضطرابات والشغب يجمع فيه جميع الرعيّة والناس ساكني القرى القريبة. ثم أخذ «بيرو» يصف

قلعة سيده العالية وهو متحمس وقال «هنا كانت نبع أعذب مياه ومصدرها هو الجدول الذي نخيم على ضفته. كذلك كان هنا العشب الأخضر والشجيرات للأغنام الصغيرة وكذلك حقول الذرة». وهنا في هذا المكان زرع «الريس» شجر الرمّان، وبالقرب منها كانت ثلاث أشجار برتقال. حقيقةً، كانت هذه البقعة قطعة صغيرة من الجنة.

عندها أجبت «آه، أرجوك يا إلهي عندما أعود من (أنغوران) سأصعد إلى هناك لأرى ذلك المكان الجميل». فأجابني «نعم، ولكنك ستسقط على وجهك دون أن تتمكن من معرفة الطريق. وفي الواقع إذا لم تقتل نفسك بالسقوط فإن المارة سوف لا يعرفونك وسيرمونك بالصخور، وهذا إذا تركك «المحصِل» وكنت أنت نشطاً كالماعز البّري لربما يسمح لي «الريس» أن أدلك على المكان. ومن هناك إذا لم يصادف وجود غيوم فسيكون بإمكانك أن ترى البحر». كلامه الأخير هذا ربما كان صحيحاً حيث أنه على بعد حوالي ٢ ميل إلى الشرق كان هناك في نفس المنطقة شكلاً غريباً لمقطع طريق على مرآى من (جاسك) والذي كنت قد أخذت جولات فيه على بعد ستين ميلاً من الشاطئ، حسب مؤشرات خط العرض، وكأنني أطير كالغراب في خطوط مستقيمة.

بعدها بقليل قدنا أنفسنا ثانية بين الصخور القديمة الرملية داخل مجرى مائي عميق وعريض يابس، حيث وجدنا قرية صغيرة بها ثلاث أو أربع عائلات مع العديد من الأكواخ من القش والحصير وجميعها ممتلكات للريس. وهنا حاول «بيرو» تأجير حمار آخر، وقد وافقت أنا في بادئ الأمر أن ننتظر. ولكن عندما بدأ المفاوضة وهو يجلس على الأرض ليدخّن قليلاً من التبغ الذي أعطيته، وحتى لا يطول الأمر قاطعته دون أن أنتظر ليكمل المفاوضة، وسحبنا أنفسنا بجهد حتى ضفاف النهر. بنى هذا المكان بقدر المستطاع بحجر صلب لارتفاع ستة عشر قدماً، والرقعة المستطيلة

الغنية بالتربة الجيّدة قد زُرعت بالعديد من شجر النخيل من النوع الممتاز التي تفوق تمرته كل التمور. وهذا قد صدَّقته أيضاً لأنه من غير الممكن أن يزرع شجر النخيل لينبت في مكان مرتفع كهذا فوق سطح البحر كالتي وجدت فيها في (باشكارد) على ارتفاع حوالي ٢,٧٧٠ قدم.

هذه البقعة من التربة تغطيها الحشائش الطويلة، التي تبدو الآن وهي مغطاة بالبرد. كل حبة برد تحتفظ بشكلها وحجمها المختلف، وبعض الأوقات تظهر وكأنها بيض عصفور وأحياناً تبدو جميعها على شكل بيض الضفادع. بعد أن قطعنا حقولاً أكثر بلغنا منحدراً صخرياً عالياً، ووجدنا أنفسنا نشرف على منظر بديع رائع لم نرى مثله بعد في هذه البلدة ذات المناظر الخلابة وبعيداً في الأسفل تحت أقدامنا كانت مياه الغدير تتلألأ وتتدفق كالكهرمان الأسود. وعلى الجوانب بدت أشجار التمر والنخيل ترتفع من مكان شديد الخضرة في شجيرات كثيفة لنبات يشبه الفلفل. ومن الخلف بارتفاع ستمائة قدم كان هناك منحدراً صخرياً أسود اللّون ظهرت على طرفه كتل عجيبة من الحصى الورديّة وحول كل ذلك التفّت التلال من جميع الألوان.

إن المنظر الذي أمامنا بشكل عام هو أجمل بكثير وقد استحوذ على إعجاب الجميع، فقال «بيرو» معبراً عنه «إنه شهرباغي»، (وهذا اسم شائع الاستعمال). وسألني: «هل رأيت مكاناً رائعاً كهذا في موطنك؟». بعد ذلك أرسلت الرجال لأسفل المنحدر لتجهيز الشاي ووجبة الغداء لنا، وجلستُ على صخرة مسطّحة لأتأمل هذه البلدة البديعة التي دخلتها وأنا بها الآن. وخلفي على مدى البصر تمددت سلاسل غير منتظمة من الصخور ذات نتوءات متعددة كنا قد عبرناها بكل جهد ومشقة. أمامي جدول ماء نقي تحيط به الحشائش الطويلة والأشجار الخضراء مشكّلة حديقة صغيرة من الجنة. وبينما أنا أتأمل تلك البقعة وأشعل غليوني، سمعت صوتاً خشناً

بجانبي فالتفت حولي لأدرك بأنه صوت قطيع من أربعة عشر من أغنام الجبل الجميلة وقد أصبحت أمامي بعضاً منها بدت غير مكترثة بي والبعض الآخر كانت خائفة مني.

مرّت هذه الأغنام ببطء وكان بيني وبينها حوالي ياردة وبقى راعيها العجوز ينظر إليّ متفحصاً حتى تراءت آخر واحدة من أغنامه فركض ورائها مهرولاً. وبينما كنت مستغرقاً في التفكير تحركت بجانبي الأيسر كتل ضخمة من الصخور وهناك ظهر وجه «غلام شاه» الطيب معلناً بأن الشاي قد أصبح جاهزاً. وعليه أخذت أزحف وأتزلق إلى الأسفل، وحالاً أرسل الشاي والتمر تحت أكبر شجرة نخيل ترتفع أربعون قدماً فأخذناه ونحن جالسون على سجادة صغيرة جداً وبجانبنا نبات النعناع. وفي خلال عشرون دقيقة بدأنا مسيرتنا ثانية بعد تسجيل «الباروميتر» لمدى ارتفاعنا ٣,٢٤٦ قدم. وهنا لا توجد أية تربة في هذا المكان ما عدا السيول الجارفة. وكانت الصخور هنا ذات طبقات مشكّلة ومنتشرة في كل مكان.

إن جبل (راستو) الذي نحن به الآن ونود قطعه سيراً ليس به أي شيء غير السلاحف العجيبة، وبينما نحن نخترق مجرى السيل ومقابلنا تماماً كانت هناك صفوفاً من المنازل والتي يستعملها المواطنون هنا لحراسة بساتين النخيل. من على قمة (راستو) شاهدنا منظراً جميلاً. وعبوراً للجهة الشمالية نحو الأفق وعلى أبعد مسافة تقع سلسلة جبال (مرز) الشامخة التي تمثل مقاطعة (مرز).

وإلى الشرق على مدى البصر بدت سلسلة بعد أخرى من التلال المنخفضة. وهذه كانت مقاطعتي (جفر) و(بارمينت) مشكّلة من التلال الصغيرة وتنتج الجمال الجيدة. وكان حولنا حوالي ثلاثة أو أربعة جبال وعرة ترتفع قممها حوالي ١,٠٠٠ قدماً من المكان الذي نحن فيه الآن، وهنا يشير البروميتر إلى ارتفاع ٣,٨٥٨ قدم. وعندما تقدمنا بسرعة أكثر

وجدنا قطيعاً آخراً من اثنا عشر من أغنام الجبل. كان منظر هذه القطعان جميلاً للغاية بشعرهم البني الأصفر اللون، وكانت لديَّ نزعة تقودني للصيد في ذلك الوقت ولكن هذا يتطلب ترتيب ما، ولم تكن بندقيتي معي.

في الساعة الرابعة كنا نأخذ طريقنا أعلى هوة عميقة، وكانت جوانبها جميلة بلونها الأزرق والأرجواني المعّرق بالأبيض المرمري. بعد ذلك عبرنا وادي صغير والذي كان فيه بقايا ثلاثين أو أربعين كوخاً من عيدان النخيل، وهنا أخبرنا «بيرو» بأن هذا المكان كان معسكر لجيش «الريس» عندما كانت الحرب قائمة للإستيلاء على (أنغوران). بعد ذلك وصلنا إلى تلال من الطين تُدعى (بير جمال) وهو اسم عربي بلا شك ولكن «بيرو» لا يعترف بذلك وفي أعلى قمة بها كان «الباروميتر» يؤشر على علوّ ٤,٠٧١ قدم. لقد بدأت الآن تظلم بسرعة، وقد اكتشف «بيرو» بسرعته المميّزة طبيعة «جازو» السهلة فأعطاه حماراً ليمتطيه وهو يناديه للعجلة. أما «جازو» المسكين فإنه يجاهد في معظم الأوقات لتحميل الأوزان على جانبي الحمار بالقرب من ذيله وهو يناجي نفسه بطريقته الغربية قائلاً: «آه، لو كان «تاجو» و«علي شاه» هنا لرأيا لو جزءاً صغيراً من هذه الرفاهية التي أعيشها، وعندها سأكون سعيداً».

«تاجو» و«علي شاه» كانا يسخران من «جازو»، ولكنهما سيكونان أيضاً موضع سخرية منه لو أنهما كانا هناك وواجها نفس المأزق مع حمار منهك، وليل مظلم وطريق مليء بالعقبات، فإنه كان سيضحك عليهم. إن الحمار كان كحمير (باشكارد) نشيطاً على التلال ويشبه تيس الجبل، ولكنه يصبح مرهقاً وجائعاً بسرعة.

عندما اقترب الليل، كنا مرعوبين من حادثة حصلت كانت من الممكن أن تؤدي إلى عواقب وخيمة وخطيرة بينما أشق طريقي إلى أسفل الهوّة قريباً من «بيرو» وفجأة بدا طائراً في الهواء وهو يصرخ بشدة. عندها

سمعت فحيحاً يشبه صوت الأفعى في مكان ما قريب أمامي، ولكنني لم أجرؤ أن أحدده بنفسي، وصاح «بيرو» «ثعبان». . عندئذٍ رميت نفسي في الهواء ووقعت مصطدماً بـ«جازو» وأخذنا نحن الاثنين ننزلق ونزحف إلى أسفل في المكان الذي منه سمعت صوت الفحيح، وجاء «بيرو» لينقذنا وقبل أن نتمكن من الوقوف على أقدامنا رأيناه وهو يلوّح منتصراً على ذلك الثعبان الذي دق رأسه وهو مشوه وممزق.

بعد أن تعاركنا مع كلاب متوحشة، وجدنا مدخلاً، حيث كانت الحيطان والأبواب مصنوعة من حصير ممزق، وقد كان صعب علينا أن نتحقق في الظلام أي منها الحيطان وأي منها الأبواب، وقد تخبطنا تخبطاً شديداً وسلكنا أماكناً خاطئة قبل أن نسمع من الداخل صوتاً فظاً أجشّ يشعرنا بما ارتكبناه. عندما وصلنا كانت والدة العائلة تحضّر العشاء وتخبز الخبز بدون خميرة على بلاط عريض ناعم. وكان هناك ثلاث بنات صغيرات وثلاث أولاد يشاهدون تلك العملية باهتمام بالغ. وحيما حضر قريب للعائلة رجل ضخم الجثة كالغوريلا ووجهه عريض مألوف، وقد كحّل رموش عينيه بالأسيمون ويرتدي بشكل عام ملابس خاصة للعشاء. أما الوالد وولديه الاثنين فكانا يلبسان تنورة بسيطة تشبه تلك التي يرتديها الرجال الأسكتلانديون، بينما كل واحد منهم كان يضع على كتفه شالاً من القطن الخشن، إنهم يضعونه على أكتافهم بطريقة سهلة؛ لتظهره بمظهر لائق ومتناسق.

لقد قوبلنا بالترحيب الحار عندما شرح «بيرو» من نحن. عندها قامت الأم العجوز بعصر كمية غزيرة من «الگيه» (شراب يشبه الزبدة عندنا). وكان الولد الصغير قد جلس محاولاً بعودة الحصول على التمر من الكتلة التي في السلة. في هذه اللحظة قال جعفر العجوز إلى «بيرو»: «إن الواجا يعلم بدون شك أننا نرحب به لمشاركتنا طعامنا ولكنه يعلم أيضاً أنه طعام

رديء، لذلك إذا كان معه أي نوع من طعام خاص به فليعدّه وسوف لا أخجل منه».

إنه لتصرف لائق من ذلك الرجل العجوز وكنت مسروراً كثيراً به. عموماً، الشيء الوحيد الذي طلبته هو أن ياذن لي بإضافة إبريق من الشاي يكون كافياً للجميع. بعد ذلك جاء طبق فاخر به نوع من السمك الصغير المجفف ويسمونه «متوتا» وقد أمر ذلك الرجل العجوز زوجته بكل زهوٍ وافتخار لتحضيره. إنه لمن المستغرب أن ترى اللياقة متوفرة حتى في طعام شهيّ مترف. أمّا الضيوف فقد رفضوا حقيقة أن يلمسوا أية سمكة أخرى برغم من أنهم لم يفرغوا بعد من الطعام، وكان على الرجل أن يوّزع ما تبقى من الطعام على الجميع.

خلال المساء حضرت الابنة المتزوجة لترى الأجنبي، ثم جاءنا زائرين تعرفنا عليهما من نباح الكلاب. أحدهما كان مُغطى بالشعر الخشن دعاه صاحبه «تشم بُر» وهذا يعني «ذو العيون الحادة». وفي حوالي الساعة التاسعة بدأت الصعوبات أمامنا وذلك بعد أن رجعنا من حيث آتينا. كان الكوخ بطول خمسة عشر قدم فقط وبعرض ثمانية أقدام، ومن الوسط يرتفع حوالي سبعة أقدام. حول الحائط غرزت فروع صغيرة لشجر «الكونار» وفي نفس المكان ربط حوالي ثلاثون ماعزاً صغيراً كانت تأكل الأعشاب الصغيرة. وكذلك كان هناك أربعة من الماعز الكبار وقد كانت أصواتها مصدر إزعاجنا طوال الليل.

وبلا شك كان على الجانب الآخر من الكوخ المضيف صاحب الكوخ وزوجته مع أطفالهما وكذلك مجموعة متنوعة من العجلات، وسروج قديمة، وسراير أطفال التي تشكل جميعها أثاثاً لكوخ بلوشي. والجانب الآخر من الكوخ فيه موقع المدفأة، قد خُصص لنا أنا ولـ «بيرو» و«جازو» و«غلام شاه» والأغنام وحزمة من الحطب أيضاً الذي يُستعمل للوقود. بعد

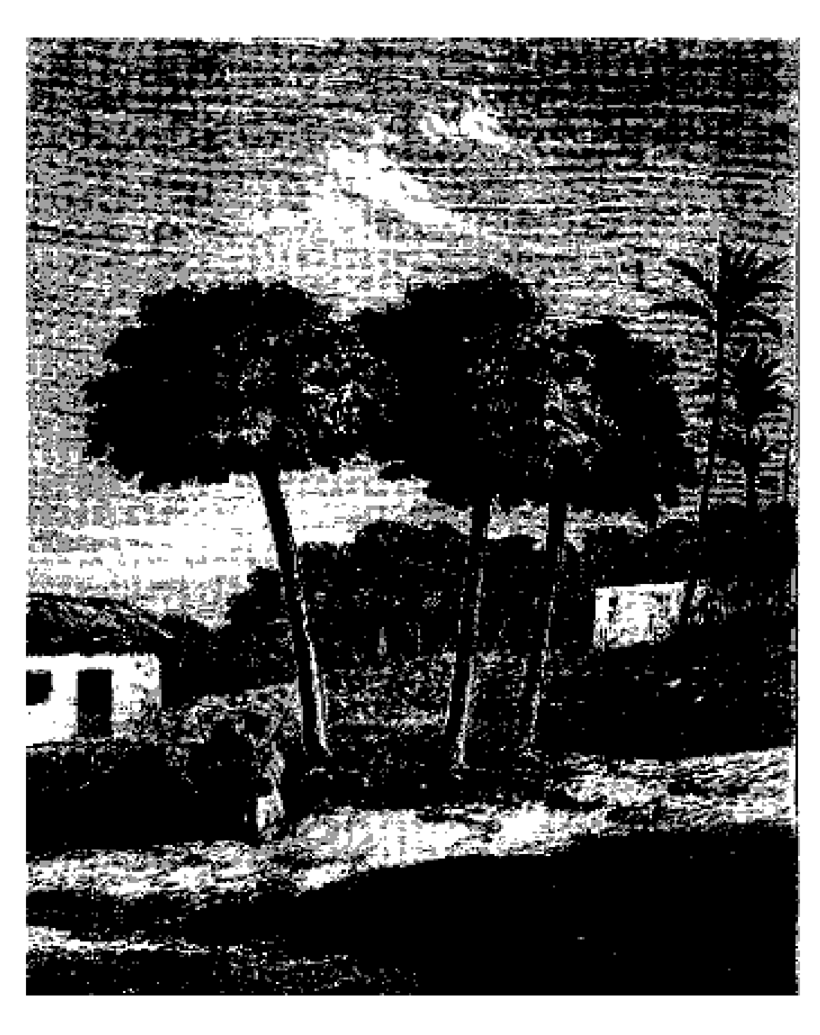
ذلك وبلهجة ساخرة قلت لـ«بيرو» «ألا تعتقد أنه كان من الأفضل أن نجلب الحمار إلى هنا أيضاً؟ فقال «لا» أعتقد من الأفضل له أن يبقى مكانه». لقد قضينا تلك الليلة بطريقة ما متعبة وكان عليَّ أن أنهض وأقوم بربط قدمي «جازو» في الحائط لأنه كان مهملاً معهم بشكل مخيف، ولو لم تخطر هذه الفكرة برأسي، لكان من الممكن أن يطلع عينا الصباح ونحن موتى، كذلك الأغنام أكلت قماش ياقة معطفي.

عندما نهضت من النوم وجدت أن الأم العجوز قد قامت بتحضير كتل من الخبز أكثر، وكان الهواء الصباحي المشبع بالضباب يدخل إلينا من الباب المفتوح، حيث ظهرت أمامنا حوالي عشرون من الأغنام الكبيرة التي أُطلقت الآن فقط من الزريبة وأتت لترى صغارها. وبينما كنا نتسلى بمراقبة الماعز، ظهرت الطفلة الصغيرة وقد جلست في الممر المؤدي إلى الباب، ولم يكن طولها أكثر من ثلاثة أقدام، ممتلئة الجسم، نشيطة وهي تمدّ يديها لتتفقد جدياً أكثر من ثلاثة أقدام، ممتلئة الجسم، فما كان من أخيها في هذه اللحظة إلا أن خرج عليها للتوقف عن لمسه.

إن حب الوالدان لصغار الماعز كان شيئاً جميلاً، فهما غالباً، قبل أن يطلقاها لتذهب كانا يقومان بحملها ويقبلاها في أنفها الأفطس بشكل وديّ للغاية. إن الأيام التي قضيناها في هذا المكان لا تُنسى، لما كان يسوده من جو طبيعي مفعم بالمحبة والصدق. في الساعة السابعة صباحاً أخذت أتمشى وأتنزه مستمتعاً بذلك الهواء الصباحي ومنظر الصخور الخلابة.

مخيّم الأمس كان عبارة عن قرية صغيرة مكوّنة من ستة أكواخ من الحصير وقد أُقيم كالعادة على حوض مجرى الماء. الأكواخ والسكان كانت جميعاً ملك «الريس»، وقد بدت عليهم علامات الضي والسعادة.

طريقنا اليوم كان نزولاً لقاع سيل جارف. وبعد سير نشط، في تمام



الساعة التاسعة صباحاً، من على قمة تلة بارتفاع ٣,٥٥٢ قدماً شاهدنا على مسافة منا قلعة (أنغوران). حينها شعرت بالراحة وبالنجاح عندما شاهدت بالحقيقة هذا المكان. ما زال علينا رحلة طويلة ومخاطر ومتاعب أخرى للوصول إلى البلدة لم يتم اكتشافها بعد، وربما تصادفنا أحداثاً عديدة قد تعوق بلوغ نقطتنا المحدّدة. شددنا عزائمنا ومشينا طويلاً بمحاذاة حوض رطب لمجرى مائي. فجأة لاحظنا آثار أقدام حديثة العهد، عندها صرخ «بيرو» و«جازو» وهما يلهثان آه، آه. ربما تصدقنا الآن»، «هذه هي آثار كلبة وأطفالها. وهناك ألا ترى؟ لقد كانت تمشي على يديها وقدميها» (وأخذ يشير لأبعد من ذلك)، وهنا ظهر لي الشيئ العجيب! كان هناك شيئاً ما يشبه العفاريت، وبشوق سألت أسئلة حولها هل سبق لـ«بيرو» و«جازو» أن رأوها من قبل؟ وما هو طولها؟ الخ .. في هذه اللحظة سيطرت الفكرة على عقلي بأنها لربما تكون نوعاً من القرود. ولكن أن نجد قروداً في هذا المكان فهو في الحقيقة سيُعد اكتشافاً.

إن خلاصة معلومات أصدقائي كانت كالآتي:

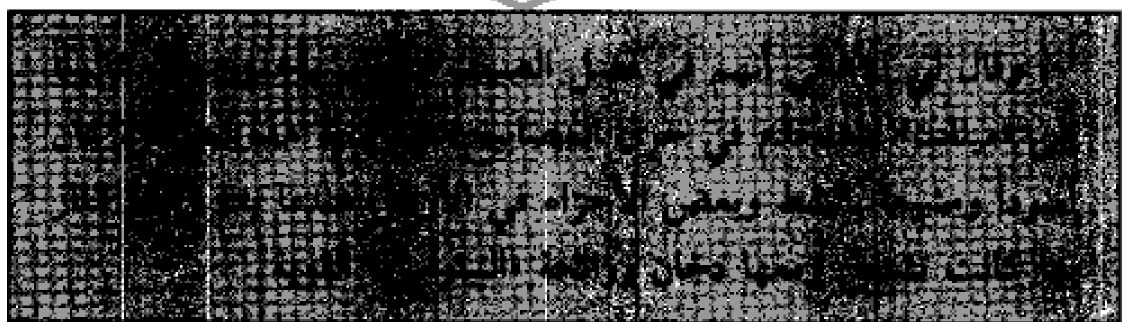
إنهم في الحقيقة ينحدرون من خليط الحمار والسلالة البشرية. وقد كانوا عنيفين جداً ومخادعين أكثر من الإنسان. لقد فتحوا الكهوف التي تخزن بها الحبوب، على كل، بذكائهم هذا كانوا يختبئون. لقد تسلقوا شجر النخيل وقطفوا التمر. وعندما كان يشاهدهم رجلاً ما كانوا ينهضون على قوائمهم ولا يفرون. أخيراً لقد كانوا بحجم رجل مكتمل الجسم ويغطيهم شعر طويل أسود لامع ولم يكن لهم ذيول. بحذر شديد قمت برسم آثار الأقدام هذه، وهذا كل ما أمكنني عمله.

عندما تابعنا سيرنا شاهدنا آثاراً أخرى لحيوانات أكثر. وأخيراً اكتشفنا أنه لابد أن يكون قد عبرت هذا الممر أكثر من عشرين كلبة. وفي حوالي الساعة التاسعة والنصف وصلنا إلى (شهر بهتيك) وهو المكان الذي يتسع عنده قاع مجرى الماء حيث يكثر فيه الطين والزراعة كذلك هنا في هذه الواحة الخضراء ينبت شجر التين، والليمون، والمانجو، والذرة وشجر «كوه سنج» أجمل شجرة أتمكن أن أحدد نوعيتها، وتابعنا سيرنا عبر الوادي الذي اتسع بسرعة حتى أصبح عريضاً ووصلنا بين شجر النخيل العديدة في بلدة (أنغوران) حوالي الساعة ١٠:٣٠ وخيَّمنا في أسفل التلة حيث كانت تقع قلعتها.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الثامن






مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لقد فاتني أن أذكر أنه بعد ساعة واحدة من مغادراتنا لممتلكات «ريس علي» جاء أحد الرجال وهو يركض وراءنا ومعه رسالة وأعطاها إلي «بيرو» الذي تركنا في الوقت الذي كان فيه إبريق الشاي يغلي، تركنا ليسلم هذه الرسالة. وبينما كنتُ أنظف حذائي من الرمل والحصى لاحظت في بادئ الأمر ظهور واحد ثم اثنان وتدريجياً ظهور عدد من الرجال المسلحين بين شجر النخيل وبعد أن عاينونا تماماً اختفوا ثانية وبكل هدوء.

في الوقت الحاضر لم أرى داعياً لتدوين أية ملاحظات مؤثرة؛ لذلك تابعنا طعامنا بهدوء ثم قام «جازو» وتسلق شجرة النخيل التي كنا نجلس تحتها وقطع لنا فرعاً منه كان مازال متدلياً وذلك ليضيف على طعامنا مذاقاً طيباً. وفي هذا الوقت علت أصوات غاضبة من الممر تقول: «لا أريد أن أذهب، لقد هرب. لقد تركنا الليلة الماضية أين سأجده الآن». وفجأة ظهر «بيرو» بصحبة اثنين من الغرباء الذين ألقوا التحية باختصار وواصلوا نقاشهم.

لقد تبين بأن الرسالة التي أحضرها «بيرو» كانت موجهة إلى الرئيس

ويطالب فيها بتوخي الحذر لحمايتي، ويوصيه بأن يدفع مبلغاً من المال للمحصل عندما يصل.

إن هذين الرجلين هما خادما المحصل وقد كانا يؤكدان بأنهما لم يؤمرا باعتقال الرئيس الذي كان قد ذهب، وقد فات الوقت الآن ولا يمكن اللحاق به. لقد شرح «بيرو» بأن الرجال المسلحون كانوا يراقبون «سيف الله خان» إذا حاول الرجوع مرة ثانية؟

إن قلعة (أنغوران) كانت ضخمة ولكنها الآن قد دُمرت جزئياً والتي بالرغم من ذلك فإنه كان بإمكانها استيعاب مائتين من الرجال ببساطة وأربعمائة أيضاً في أيام الحرب، تقع الآن على أعلى منطقة ضيقة في أرض صخور قد شُكلت في منحنيين عريضين متباعدي الجوانب.

إن هذين النهرين يأتيان من الجنوب الغربي والشمال الغربي وبعد أن يلتقيان يصبان في نهر (جغين) مع مجرى آخر في الجنوب الشرقي. وبالصدفة كان مؤشر البوصلة يشير على الأرقام ٢٣٣ و١٣٥و٣٣٥ درجة.

إن التل الصخري الذي تقع عليه القلعة يرتفع حوالي ٣٦٠ قدماً ويتكون من خليط من الطمي وكتل مختلفة، كما أنه ليس عمودي الشكل تماماً ولا يمكن العبور إليه سوى من الجهة الجنوبية الغربية حيث لا يوجد به سوى مدخل واحد بالقرب من قمته. والممر العادي المتجه لأعلى ضيق مما يجعله أكثر صعوبة لعبوره فهي السلالم المتضررة التي أصبحت الآن شيئاً مألوفاً. أما الحيطان فهي عالية وصلبة للغاية وقد بُنيت في قاعدتها حتى علو سبعة أقدام من حجارة كبيرة مستديرة الشكل مثبتة ببعضها بطبقة من الطين.

إن الحصن والقسم الداخلي للرئيس يلتقيان مع القلعة وهذه أقرب لقمتها من الوسط وهي تبدو بحالة لا بأس بها بعد ترميمها. خلف هذه

يوجد الفناء الرئيسي الذي لا يسمح لأحد بدخوله سوى للجنود. أما الحيطان فقد ثُقبت من أجل مباريات الرماية للرجال، والمنصة التي يقفون عليها قد بُنيت بشكل بديع كما هي العادة في هذه البلدة في حائط داخلي سميك ينخفض عن الحائط الرئيسي بحوالي ٨ أقدام.

خارج الحائط الشمالي توجد أرض صخرية لبقايا حيوانات ونباتات متحجرة على عمق خمسة وعشرون قدماً وبعرض عشرين قدماً تقطعها عبر شبه الجزيرة تاركة فقط ممراً ضيقاً بين المنحدر والأرض المتحجرة. وفي هذين الفنائين اللذين يطلان على جناح الرئيس يوجد بقايا مصفوفة ومنظمة من حُجر الأكواخ التي يسكن فيها الجنود.

إن طعام القلعة يتم الحصول عليه من زراعة هائلة مثل أشجار النخيل التي تملأ الوادي مع بقع أخرى مزروعة من الذرة والقمح وشجر الرمان الخ. أما البئر فهو بالقرب من المدخل ومتصل أصلاً بقاع النهر، وقد سُد بواسطة الذين حاصروا القلعة عند الإستيلاء عليها. وقد كان هذا البئر هو المرفق الوحيد المعتمد وقد تم تدميره على أيدي المحتلين، كما أنهم قد تسببوا بأضرار بسيطة للحيطان الصلبة.

القلعة عبارة عن شكل مثلثي بطول مائة وثمانون ياردة وعرض ستون ياردة اختراقاً لوسطها. ومقابل الجنوب الغربي عند السفح هناك مبنيان كانا يستخدمان سابقاً كمساجد وحماية كاملة للمهاجمين الصغار هذه كانت الحصن المنيع للعجوز «سيف الله خان» القاسي الشرس وسُلمت القلعة بعد سنة كاملة من المحاصرة والهجوم عليها. والآن برغم الأضرار البسيطة، فإن على عائلته والموالين له الانتظار لجمع الثروة من السكان والزراعة أملاً بإعادة الحكم ثانية لإدارة البلاد وفرض الحزم والنظام بها.

كانت هناك أيضاً قناة ماء صغيرة تلتقي مع قاع السيل، والتفاوت ما بين

السيول والجداول هنا واضحة جداً وفي كل مكان. في بعض الأحيان يجري جدول الماء بشكل واضح باتجاه الأودية، بينما الآن في أماكن أخرى يظهر غدير صغير وهو يندفع عبر صخور صلبة نحو طريق عرضها حوالي ربع ميل. بينما بالنسبة لنهر (شريفي) كنا قد سيرنا به، فإنه يجري من خلال طين متراكم مختلط بالحصى مشكلاً قاعاً بعرض ميل تقريباً وبعمق يتراوح ما بين ٦٠ و١٠٠ قدم.

ربما يمكن القول بأن هذه الأنهار لها فوائد عندما تفيض أثناء موسم الأمطار. وقد يمثل (تانجي فانوس) الذي ذُكر في جزء سابق، ومثله نهر (جغين) الذي أوضح لنا الطريق في الساحل عبر الحزام الجبلي. قد مثلا لنا حالات هذه الأنهار. ومرة علاقة سابقة لارتفاع مياهها الفائضة فإنها تشير إلى علو خمسة عشر قدماً أكثر من مستواها في فصل الصيف، كما جرى بالنسبة لنهر (جغين) الذي بأنفسنا قد شاهدنا فيضاناته هذه. ولكن في حالات عديدة أخرى مثل نهر (شريفي) و(غازشيري) (بشجر الطرفاء اللذيذ) والجدولين الآخرين اللذين يلتقيان عند (أنغوران) فإن عمليات الزراعة تُقام في قاع هذه الأنهار مروراً حتى حافة القناة. وقد يبدو ذلك إما بسبب سقوط أمطار هائلة في أوقات سابقة وإما أن منافذ أو جداول المياه التي تصب في البحر الآن لم تكن دائماً مفتوحة.

وللوهلة الأولى يبدو لنا أن المياه كانت في الأصل تتحول أو تقطع «فمثلاً» القاع الضخم لنهر (شريفي) لم يبق على حاله بعد أن تمّ تحويله لقناة أخرى؛ لأنه من الصعب جداً للمياه المحوّلة في هذه البلدة ابتداءً من منطقة (رابش) على خط طول ٥٩ درجة و٢٥ إنش شرقاً حتى نهر (ميناب) على خط طول ٥٧ درجة و٥ إنش شرقاً، ولو حتى أنها تضاعفت لعشر مرات أكثر لتعوّض ضياع المياه عند اختراقها مساحات الرمال من الحزام الجبلي نزولاً للبحر، فإنه من الصعب عليها ملء قاع نهر (شريفي).

لقد حان الوقت الآن لمتابعة المسير لأن الشمس الآن قد تجاوزت منتصف النهار، وقد قررت الرجوع إلى (بيزك) وسلوك طريق جديد اسمه (طريق سارداشت)، وقد يبدو هناك صعوبات سنواجهها لأنني لا أعرف شيئاً عن هذا الطريق غير اسمه. لذلك احتج «بيرو» بشدة حيث أنه لا يوجد أي طريق كهذا، وأن أي انحراف عن مسار الطريق الذي وصلنا إليه سيقودنا إلى بلد ليس به ماء ولا سكان إلا «الشياطين» وإذا كان علينا أن ننجو من هذه المخلوقات فإنه من الافضل مواجهة المصير الذي ينتظرنا وهو الوقوع في قبضة يد «الآهرسون» الذي سيسلبني ويقتلني «بأسلوبه الفظ».

وقد تبين بعد استجوابات كثيرة لمراحل في حياة «بيرو» بأنه كان متزوجاً إبنة تلك العائلة وبعد ذلك إما أن لم يتمكن أو لم يرغب بوضع مؤخر الصداق لذلك فقد حقد عليه والدها مطالباً باستردادها ومن ثم مطاردة «بيرو».

هذا ربما كان بداية العداء بينهما، وقد يتولى ذلك إذا ما نجح هؤلاء في قتل «بيرو» عندئذٍ ستبدأ عائلة «بيرو» بالبحث عن قاتله، ويستمر ذلك حتى يصبح الوضع خطيراً للغاية فتطرح حينها المحادثات التمهيدية لدفع مبلغ إضافي.

وهذا النوع من الزواج لم يكن يعتبر بالزواج الغير عادي كما حصل لشقيق «غلام شاه» الذي كان لابد من تركه. هناك في (جاسك) لأنه لا يستطيع الدخول إلى (بشكرد) والسبب في ذلك أنه عندما تزوج من امرأة من «بيزك» دفع لها كامل المهر، ولكن عندما غادر (بيزك) إلى الساحل طلب منها أن تتبعه، غير أنها رفضت ذلك لعدم رغبتها في البعد عن أصدقائها؛ لذلك فقد طلب شقيقها «غلام شاه» إعادة المبلغ الذي دفعه للزواج من المرأة. ولكن كردٍ على ذلك فقد طالبه أصدقائها بالرجوع إلى (بيزك) والعيش هناك.

أما «غلام شاه» الذي تبين بأنه منتمياً لـ «غلام حسين» الأخ . فإنه سيقع في متاعب كثيرة بسبب نتائج مشكلة زواج شقيقته الغير ملزم أنا بنقاشها نهائياً، عموماً معظم البشكرد يسيرون حياتهم بأنفسهم على حساب قضايا من هذا النوع التي قد لا تُحمد عواقبها فيما بعد.

على كل كنتُ أؤكد أثناء هذه المناقشة بأنه لابد وأن يكون هناك طريق اسمه (سارداشت) الذي كان قد احتج عليه «بيرو» وعندما أكدتُ لـ«بيرو» بأن لا أحد يجرؤ أي يؤذي أي أحد منا ما داموا تحت حمايتي وقد وافقني على ذلك مكرهاً ، وفي حوالي الساعة الثانية بعد الظهر كنا على وشك السير باتجاه (نهر بهنيك) ولم يكن هناك شيء آخر سوى الاستمرار في هذه الأمور حتى ولو كان هناك أسس صعبة كما هو حاصل قبل الحالة الحاضرة.

في البداية وبينما كنا نواصل استفساراتنا حول (بشكرد) استعدت في ذاكرتي أحد الأحداث التي مرت منذ بضعة شهور فقط عندما تذكرت الوصول إلى (انغوران) عن طريق (سرداشت)، ولكن عندما تذكرتُ ذلك لم أكن متأكداً، ولهذا كان عليَّ أن أسير في نفس الأرض مرتين وهذا سيكون الشيء الغير مستحب عندي.

حالياً وصلنا مخيم يتكون من ثلاثة أكواخ وكنا نود أن نستأجر حماراً لـ«غلام شاه» الذي كان يعاني من التهاب في قدميه، في الوقت الذي التقينا فيه ومعه خمسة عشر أو ستة عشر رجلاً والذي كان بينهم صديقي الكفيف «مير محمد كانجان» من (مرز). لقد جاء هؤلاء الرجال عن طريق (سيرداشت) وقد تعجبوا لمجيئي على طريق آخر. وقد بدا عليهم الفرح مما أنجزه الفرس الصغير الحجم والنحيل الذي كان يمتطيه المحصل، وقالوا بأنه عليَّ الآن أن أدرك كيف يمكن لهذه الطريق أن تكون عملية لجمالي لو أننا سلكناها.

لقد تابعنا سيرنا ببطء على الطريق بعد أن وعدنا المحصل بأن يعلن عن وصولنا لحاكم (كرمان). بعد ذلك بقليل حوّلنا سيرنا عن النهر ودخلنا وادي طويل مليء بالطين الملحي الذي أراح أقدامنا بعد تسلقنا على الصخور بشكل مستمر.

في الساعة الرابعة وخمس وعشرون دقيقة مساءً عبرنا معبراً لـ (بيربولند) حيث كان مؤشر البوصلة قد وصل إلى ١،٨٢٠ قدماً. وفي حوالي الساعة ٤،٥٥ مساءً وصلنا للسفح وحضّرنا أنفسنا للتخييم وخيم الليل بسرعة فجلسنا في وادٍ صغير وأشعلنا النار في ثلاث أو أربع شجيرات طويلة. وعلى ضوء وهج النار قمنا بتقطيع كمية من الحشائش للحمارين وجمعنا حطب الوقود. وأخيراً تناولنا وجبة لذيذة من الطعام مكونة من الشاي والخبز والتمر، ثم غفونا بالقرب جانب من النار تحت سماء جميلة مليئة بالنجوم.

إنني مازلت أتذكر حتى الآن تلك الليلة الجميلة الهادئة التي لم أنم أثنائها، وقد انشغلت لمرتين أو ثلاث في ترديد الـ «G.B.O» القديمة. عموماً لم يكن الرجال جميعاً هادئين كما بدوا لي وعندما خفَّ وهج النار، وبدأت الحمير التي كانت مربوطة قربها غير مستريحة ونهقت بشكل مريب، عموماً بعد ذلك بدأ الإرهاق يغمرني للغاية فنمت نوم شخص منهك ومتعب. وفجأة ظهر لي بين سواد الشجيرات المحترقة ابتسامة عريضة ومخالب ضبع عجوز، فصحتُ ليبعدوه عني، ولكن تدريجياً ظهرت أكتافه وجسمه وتقدم نحوي مباشرة بفمه المخيف المفتوح مكشراً عن أنيابه كما هو معتاد لمثل هذا الحيوان. وبغضب سحبت عوداً محترقاً جزئياً من النار وقذفتها عليه ولكن فوجئت عندما اختفى العود بمجرد أن رميته صوب الحيوان الذي أكمل اقترابه مني. وما أن نظرتُ مندهشاً حتى وجدتُ ضبعاً آخراً قريباً جداً خلفي وتلاه واحد آخر وفجأة ازدادت هذه

الحيوانات خلفي شيئاً فشيئاً ثم تعالى ببطء صوت بدأت أميزه وكأنه صوت حلقة ماسورة سلاح حديدية عندئذٍ وبقوة إنسان خارق نهضتُ على قدمي والتقط عوداً نصف محترق من النار المتوهجة ولوّحت بها مهدداً ، وهنا استيقظتُ من نومي.

لقد كان ذلك حلماً! وصحوتي كانت في وقت وصول طعام العشاء من التمر والخبز. ولكن عموماً كنت لازلت أسمع صوت رنين قضبان حديدية على يساري، حينها لمعت الفكرة في رأسي بأن ذلك كان صادراً من سرجي الذي استخدمته كوسادة لي ولكنه اختفى الآن. وكنتُ لم أزل تحت تأثير الحلم، فتطلعت باتجاه الصوت، وكان هناك على الصخور ثلاث أو أربع قطع من السرج مبعثرة عليها مع قضبان تثبيت السرج على الجوانب التي شكلت صوتاً كرنين الجرس وكان ذلك قد حدث عندما ألقيتُ بها بقوة أثناء حلمي.

كان «جازو» و«بيرو» ينظران إليّ بتكاسل ويسألان «ما الأمر» وقرروا أن يدخنا الغليون، وخلال عشرة دقائق مر كل شيء بسلام وبقينا كذلك حتى الصباح.

اليوم الثالث عشر من نوفمبر في الساعة السادسة وأربعون دقيقة صباحاً بدأنا سيرنا ثانية بعد أن سجل «الترمومتر» ٥٥ درجة، وفي حوالي الساعة التاسعة صباحاً بعد سير متواصل على التلال والسهول وقع نظرنا على تلة مميزة وكانت هذه كما أبلغنا «بيرو»، «كاجركوه» وقد بدت عليها بقايا قلعة ضخمة كانت قد بُنيت في العهد القديم على يد «رستم» و«البهلويين» لم تكن هذه التلة كغيرها من التلال القريبة منها والتي ظهرت عليها طبقات حجرية ورملية.

هذا الشكل كان كنُصب تذكاري صخم أبيض اللون وقطره ١,٠٠٠ قدم

وقد بُني على فوهة بركان وتظهر على قمته الحيطان القديمة وثلاث أشجار.

فوراً قدرتُ صعود ذلك النُصب رغم كل المخاطر وطبعاً كان هناك الاعتراض المعتاد من «بيرو» الذي قال أولاً الصعود هناك كان مستحيلاً، كذلك يوجد على أعلى النُصب ضريحاً مقدساً جداً، أيضاً إذا علم أحد بأن «بيرو» قد أخذني لأعلى هذا النُصب فإنهم سيقتلوننا، ليس هذا فحسب، بل تابع قائلاً هناك أسباب صعبة أيضاً.

أخذنا مرشداً عادياً، هذا المرشد قد سافر على الطريق مئات المرات والذي هو من شدة القلق لمساعدتنا ربما تسأله أو حسين كيف الطريق اليوم؟ «أوه إنه جيد» «إنه ربما هو مرحلة طويلة أو قصيرة هذا هو معقد» وقال «إني؟ إنه طويل؟ «لا إنه قصير جداً» لا إنه ليس قصيراً ولكننا سنكون هناك اليوم إنني أعرف الطريق» الآن سافر إلى أي بلد، ترى آراء مختلفة في (باشكارد) سوف تسمع نفس الأجوبة لأسئلتك. إذ ما كان الطريق يمر بسهول رملية أو بين جبال مهدمة أو ممرات مائية لا تجد جواباً لسؤالك.

إن الرجل سيصف الطريق بكل رضى إذا أراد هو ذلك، لا يستطيع أن يشغل عقله بما فيه الكفاية إذا سألت «متى سافر في هذا الطريق؟ من كان معه؟ ما هي الأمتعة أو الحمولة التي كانت معه؟» إن أسئلة كهذه ربما تحرك ذاكرته الخمولة أو المتوقفة.

أما إذا أردت أن تعرف المعلومات المهمة عن الطريق فعليك أن تجلس مع الرجال وهم يتحدثون بدون كلفة عن مرحلة اليوم التالي. إنني أصدق إنه ليس هناك عقل بدائي يكون صادقاً على الأقل في أي موضوع . . إنه من الصعب أن تقارن هذا الخلط من مجموعة الأفكار الغير متفقة على الإطلاق وبين الصفات الأخلاقية.

إن هذا يُعد خروجاً عن الموضوع الرئيسي، ويجب أن أتذكر أنني الآن قد أوقفت شك «بيرو» عن الصعود إلى (كاجاركوه) والآن بعد تسلق قاسٍ وصلنا إلى الحافة والتي بها الجزء العمودي من شكل مخروطي. على ما يبدو أننا تحت ارتفاع ضخم الآن هناك بعض من طيور الغربان والصقور. والطائر الوحيد الذي رأيته خارج المنحدر هو طائر الخطاف حيث أن هذه النوعية من الطيور تحلق في السماء.

إن الصعوبات باتت واضحة منذ صعودنا إلى أعلى. إنه الشيء الوحيد الذي شعر به «بيرو» في تصرفاتي وتنحي عن فكرة أن ذلك مستحيلاً، ومسافة العشرون قدماً القادمة كانت مستحيلة تماماً. وكانت هناك صخوراً ضخمة متآكلة وهذا كل ما بقى من السلالم الحجرية والتي أعطت طبيعة عجيبة لهذه القلاع. نحن الآن على ارتفاع ٥٠٠ قدماً فوق الأرض.

في الجهة الشرقية على مسافة خمسة عشر ميلاً جبلاً مماثل والذي قال «بيرو» عنه إنه بقايا القلاع، إنها كانت صفة من العهود القديمة عهد «رستم والبهلويين». وفي اتجاه الجنوب يوجد عمود يمثل نصب تذكاري على حافة المرتفع في الجبل الذي يمتد تحتنا. ارتدينا ملابسنا. وذهبنا حيث يجهز «جازو» و«غلام شاه» الشاي.

من الآن فصاعداً يبدأ السير القاسي، واتجهنا في سيرنا حسب ما هو واضح بالخارطة. يكفي أن نقول إنه في الساعة الرابعة والنصف قد تلقينا ترحيباً حاراً من الرجل الذي التقينا به وكانت جميع الغلايات الشاي في تغلي من أجل أخذ حمام.

كان الكوودميتر جيداً. وهذا شيء جيد ولكن كان تفكير «إبراهيم» عنه يسبب له المخاوف، إنه كان لا يستطيع النوم خائفاً من شيء ربما يحدث له.

إن الاثنين النائمين كانا فعلاً مريضين وكانا ليس في استطاعتهما أن يعملا أي شيء وكانا نائمان ينوحان. بعد أن قمتُ بفحصهما أعطيتهما دواءاً للحمى.

في صباح اليوم الثاني كنا نترقب ملاقاة «الرئيس» بطلب اثنان من المرشدين منهم، وتركنا المكان في الليل إلى الطريق الجبلي إلى مقاطعة «جغدان» وبعد أن بدأنا رحلتنا تركنا مرشدنا «جازو» ليذهب إلى زوجته التي تزوجها حديثاً وكانت تُقيم في (گيگن). لقد استلم «جازو» راتبه بالإضافة إلى البقشيش كذلك أرسلت معه خطاباً إلى صديقي في (جاسك) الذي تعهد بأن يبقى وكيلي، إن هذا يتضمن أوامر عن أصدقائي الاثنين بأن يبقي بعض الحقوق معه بعد أن يطلع على رسالة إنهاء مهمتهم معي أو يتم التحقيق معهما.

إنني بعد ذلك جهزت بندقيتي ولكنني كنت حريصاً على ألا أضعف نفسي بإطلاق النار قبل الأوان، وأقنعت نفسي بتلميح غامض بأنني قد كتبت رسائل إلى (جاسك). في نفس الوقت إن أصحابي الاثنين قد ركبا جمالهما، كنت أتحدث معهما بصوتٍ لطيف، لقد وعدوا «صاحب» بأن يعجباه في الرحلة وبعد ذلك يريدان العودة من منتصف الطريق.

في الساعة الثانية أصبح من المهم أن يعجبني المرشدين، إن أحدهما قد أخذ طريق والآخر بالأمتعة أخذ الطريق الثاني، إننا مضطرين إلى العودة إلى قمم الجبال ونحن غير راضين عن ذلك.

لقد اتجهنا إلى الأمام ووجدنا أنفسنا في وادٍ جميل. أثناء مشينا ونحن متعبين. لقد كانت هذه المناطق في فترة الخلاف بين «ريس علي» و«سيف الله خان» مثل الجبال على الجهة اليمنى واليسرى متراصة. وبها حواف حائطية للرماة المحترفين وكان هذا عجيباً، وبنظام جميل. وعندما التفتُ

فجأة إلى الخلف وجدتُ ما لا يقل عن ثلاث رؤوس سوداء تختفي إلى أسفل. قد جاء أحدهم وتحدث معي ولكنني شعرتُ بأن هناك أمر من «الريس علي» لمتابعة طريق واحد فقط. في الساعة الثالثة وعشر دقائق تسلقنا خارج المجرى المائي وبعد ثلاثة جبال ضخمة مشينا إلى أسفل وادي نهر «شريفي» لنرى وادياً جميلاً يحتوي على علف الجمال لذلك قررتُ أن نخيّم هنا.

هذا المساء قد أخذت على عاتقي الاهتمام بمرضاي الاثنين، وأعطيتهما الدواء، وفي صباح اليوم التالي كانا منهمكان في قيادة جمالهما إلى الماء.

في اليوم السادس عشر سرنا طويلاً إلى أعلى مجاري الماء الصخرية ولففنا بين الجبال القاحلة التي ليست لها نهاية، وخيمنا بجانب (جبل براهيج). لقد كان سخيفاً جداً أن يسمع البلوش وهم يتفاخرون كيف أن (البشكرديين) يخافون منهم. وفي الطريق اليوم التقينا مع رجل كان لديه تلعثم فظيع في لهجته. هذه العلة غير معروفة في مناطق الساحل وأعتقد أنها ناتجة عن الخوف او الرعب المفرط.

إن «رجل الأذن اللؤلؤية» كان مرحاً جداً معنا، وقد حاول تديجياً أن يبرهن بأنه أمير المرشدين ولأبعد من ذلك الرجل الأكثر ذكاء في البلدة. فبمجرد أن ندرك المخيم الأول فإنه يشير الى اتجاه المخيم الثاني. وعند التدقيق في الاتجاه المتروك عند وصولنا للمخيم الثاني فإنه يبدو لنا دقيقاً جداً حتى أنه لم يكن هناك فرقاً ولو ٥ درجات عما يشير إليه. إن رجل كهذا بلا شك لا يُقدر بثمن خاصة في الظروف التي ربما قد يضيع فيها الرحالة على الجبال العالية. لقد كان أيضاً عالماً كبيراً وكان يحمل معه مخطوطاً فارسياً واسعاً يرتل فيه كل مساء بنبرة صوت رتيبة منظمة لساعات متوالية وهذا نقيض للديانات والأشياء الأسطورية.

لقد كان يعتبر نفسه أنه مسؤول شخصياً عن حمايتي وهذا لم يكن مناسباً في بعض الأوقات لأنه كان ينام بشكل ثابت مقابل باب خيمتي، وكان دائماً وقبل أن يخلد للنوم ينعش نفسه أولاً بالغناء وبعد ذلك يترجم إلى البلوشية قليلاً من الجُمل البالغة الجمال في المسرحيات والأدوار التي يعرفها.

في اليوم السابع عشر تحركنا إلى (بن كيرام) الطريق الحجري الذي بدا مخيفاً لجمالي، حيث بدأ أربعة منهم يعرجون واثنان لم يقويا على المشي. اليوم خرجنا عن الطريق الدليل وسرنا باتجاه أكثر شمالاً، فقد أصبحت ذو خبرة أكثر لمعرفتي بوجود نافورة من الشحم غامضة قيل بأنها على التلال وتُستعمل للمصابيح وكذلك بنوع خاص لمعالجة حركة الجمال . وبعد مناقشات كثيرة أقنعت «دورغوش» بأن ينحرف عن الطريق المقصود، بالرغم من تصريحه بأننا سنخاطر بحياتنا جميعاً حيث أن المكان كان مأهولاً برجال من جماعة «سيف الله خان».

مخيمنا هذه الليلة كان في وادي عريض وخصيب في (جازشيرائي) أو نهر شجر الطرفاء اللذيذ والذي يصل إلى البحر في (سيريك). وقد كانت الغابة في بعض المساحات القاحلة كثيفة للغابة ومبتهجة جداً، وكان هناك على مقربة منا قرية صغيرة مما دعاني لاختيار أرضاً منبسطة لنخيم عليها. وبينما كنتُ واقفاً أراقب جمالنا وهي تبحث حولي لترتاح من حمولتها، آثارني بصورة مفاجئة أصواتاً تميز أنه لربما كان صوت دجاجة (تقرق) تبعه نفس الأصوات لمرتين وثلاثة وأربعة، وبدون ادنى شك ظهرت أمامنا دجاجة كبيرة، فوراً أرسلت «إبراهيم» ليحضرها مع أكبر عدد ممكن من البيض. إنه لأمر غريب أن يُظهر البلوش اشمئزازاً ونفوراً لمجرد أن يكون هناك فكرة أكل البيض لتصورهم الغريب المتعلق بالجنين داخل البيضة. عموماً، الحالة بالنسبة لي تختلف تماماً، ففي أغلب الأحيان ترفض معدتي

كلياً أكثر أنواع الطعام إلا الحليب والبيض. وبالرغم من أن طعامنا الآن ولبضع أيام هو من لحم الخراف والتمر والخبز، وهذا يعتبر أكلاً فاخراً نسبياً، إلا أنني عندما لا أستطيع أكل أي صنفٍ من هذه الأصناف الثلاثة فإنني أتشوق للحصول على أشياء أخرى. لقد كان هناك مساحات عديدة من التربة الناعمة الصالحة للزراعة حتى أن الثيران لا تحتاج لشوك المحراث لحراثة هذه التربة.

إن المعسكر الذي بدا لنا هنا يخص «ريس علي» لوحظ بأن الرجال فيه غير متمدينين وقد رفضوا شراء أو بيع أي شيء ومع ذلك، فقد تأسفوا لرفضهم هذا بعد أن علموا بأنني طبيب.

وفي آخر الأمر قدم لي شخصان مريضان برمد العيون زوجاً من الطيور وإحدى عشر بيضة وهذا كله مقابل كمية بسيطة من محلول نترات الفضة. وقد التقينا هنا في هذه البلدة بأول حالات لمرضى «السل» ومرضى «الدودة الشريطية». ولا يفوتني أن أذكر بأننا قد عثرنا هنا في (بشكرد) على أول آثار لبقايا حيوان متحجر على قشرة خارجية لمحار بحري وكذلك على كتلة من الحجر الأرجواني اللون التي أظهرت بعض الفحوصات عليه بأنه نوع من المرجان.

هذا المساء عند وصولنا إلى المخيم كانت جيوبي مليئة كالعادة بالعينات، وقد حضر «دورغوش» وسألني عن كبريت وبشيء من الهلع، ولأن الكبريت الذي معي كان تمت اخراجه من جيوبي فأخذ «دورغوش» ينظر بتعجب لأول عينة ويتعجب أكثر للثانية والثالثة والرابعة وعندما أخرجت العينة الخامسة جلس أرضاً مقابلي منتظراً عدداً أكثر من العينات، وما كاد ينظر للعينة السابعة حتى انفجر من الضحك . . شيء رهيب واخذ يدور حولي وهو يتعجب مما دعى الجمّالة الذين راقهم هذا المنظر أن يلتفوا حولي مبهورين .

إن جيوبي التي كانت مملوءة بالحجارة بجانب ما تحتويه يُعد شيئاً غريباً بالنسبة لهم، وقد يتذكر أحدهم ذلك بعد بضعة أسابيع ليتحدث مع صديقه عن هذه الحالة فيذهبون بنوبات من الضحك .

في اليوم التالي الثامن عشر كان عليَّ أن أنتظر حتى منتصف النهار ولم نتحرك حتى الساعة الواحدة وخمس عشرة دقيقة بعد الظهر . إن لدينا أربعة جمال، وأمامنا أربعة عشر ميلاً على جبال ذات زوايا حادة وعندما وصلنا في تلك الليلة إلى الحصن الذي يخص صاحبنا المولع بالحرب وهو قريب «سيف الله خان» كنا نشعر أنها الليلة الأخيرة في حياتنا.

(دردهن) أو «المناطق المفتوحة» عندما كنا نسير في هذه المناطق كنا تدريجياً نتجه إلى أسفل وتتسع الأودية.

إن «دورغوش» اليوم شكله مميز وكأنه رجل البريد. لقد بدأ بطائر ذات الأرجل الحمراء - طائر الحجل - والذي قتله بشكلٍ بشع وعلى بعد أربعة وستون ياردة «طائر البيس» البني العجوز (التي اشتريت ثلاث أو أربعة منهم بثمن ثلاث شلنات للواحدة)، والذي حُمل مع مجموعة أخرى مختلفة من الطيور وبجميع الأحجام. وفي المساء عند الظلام الدامس كانت ضحيته طائر الحجل فقد قتله باثنى عشرة رصاصة في رأسه. إنه كان دائماً يتجه بيده إلى الصوت أولاً بجسم منحني بين الصخور إلى أن يجد صيده.

عندما أتى الليل طلب هذا الرجل مني وبطريقة غريبة أن يريني زاوية هادئة على الصخور حيث المكان الذي قام شقيقه بارتكاب جريمة بسبب للأخذ بالثأر. كان الرجل القتيل مسافراً بمفرده من بلدة منذ زمن «جنغدا» وفي نفس الوقت يتبعه اثنان من السفاكين لمدة خمسة أيام وفي اليوم الصباح الباكر لليوم السادس قام شقيق «دورغوش» بوضع اثنى عشرة رصاصة في بندقيته بينما كان الرجل نائماً لم يستطع الفلتان منهما ثم ذهبا

بحذر خلف الصخور وسحب سيفه واستعد أخوه للضرب، وسقط الرجل في المفاجأة بعد أن قام، ومن ثم تم تقطيعه إلى قطع، وقام مرافقي بوصف كامل لهذا الأمر ومثَّل المشهد تفصيلياً لي. كانت الساعة ٦:١٥ مساءً أكد «دورغوش» أو «صاحب الأذن اللؤلؤية» أني وصلت إلى قرية «حسين خان» ورغم أننا لم نرى القرية فإننا حينما هنا لقد كنا في بلاد المارقين والسارقين.

ومساءً وبينما كنت أراقب النجوم أتى «دورغوش» ليبلغني أن زعيم المنطقة عرفني وأنه صديق قديم لي وسيزورني غداً مع هدية كبيرة.

أخذ «تاجو» أسلحة الرجال وهم نائمون وأتى ضاحكاً إلي ووضع الأسلحة في خيمتي. واعتمدت تلك الليلة على «دورغوش» في الحماية، وعند الصباح عندما استيقظتُ وجدتُ أننا خيمنا في بطن الوادي تحيط بنا بعض المزارع وحوالي ٣٠ منزلاً من السعف.

وعلى الإفطار بلّغني «إبراهيم» الأخبار السيئة عن أن جمالنا قد أُصيبت بجراح في سيقانها. وبعد علاجها تعجب الرجال من قدرتي هذه رغم أني وضعت ملعقة من سائل الأمونيا عليها. وبعدها حضر مجموعة من الرجال وبلّغني إبراهيم هامساً أنه «حسين خان» وقدتهم إلى الخيمة.

وملابس «حسين خان» كانت حتى أقل من رجاله ولم يضع عمامته على رأسه .. ومع ذلك فإن هذا الرجل غني جداً ولديه كثير من الرجال وحيوانات للحرث وذو نسب مع الأسرة الحاكمة ولكن هؤلاء الرجال يعيشون بهدوء هنا.

مقابلتنا القصيرة كانت عن القلاع القديمة ونوافير الزيت أو النفط والتي سمعت عنها.

وذكرت قلعة واحدة والتي في قاعدتها توجد كتابة والتي لم تكن ذات

أهمية وعندما قرأتها وجدت أنها تعني التوجه إلى اليمين بالفارسية الحديثة.

وتكلم عن أمور أخرى وعن أسعار التمور والدهن البلدي ولم يقترح أن يأخذني إلى أي مكان ولم أنجح في هذا الاقتراح من طرفي أيضاً.

يبدو لي أن المنطقة حوالي خط عرض ٥٨:٣٠ شرقاً وخط طول ٢٧ شمالاً يوجد بها الجنس الفارسي المتحضرين أكثر من أهل بشكرد العاملين في السجاد الأبيض والأسود لعدم توفر الألوان الأخرى، وتوجد بلدة «سيت» المشهورة بالسجاد.

«حسين خان» وعدني بأن أرى نافورة النفط. وفي التاسعة وخمسة وثلاثون دقيقة صباحاً قمت معه ومعنا «دورغوش» وحماره عبرنا الوادي شمالاً.

وكان بهذا الوادي نهراً به نوعين من الأسماك، ويُعد عبورنا من منحدر وصلنا إلى بركة ماء قذرة، وقال أن المطر قد أخذ النفط إلى الوادي من هذه البركة. وأخيراً وصلتُ إلى النافورة وهي عبارة عن صخرة في حجم كابينة القطار مدحرجة على طرف الوادي من جدول الماء.

وجانب منه كان أسوداً ومزيتاً وكان هناك لون مثل لون «الشيري» وهو لون زيتي في كل الأطراف. وقال لي الأهالي أنهم في فصل الصيف الجاف يأخذون ١٨ غالوناً إلى «ميناب» لتستخدم في حرق المصابيح، وأرضية هذه الصخرة كان أسوداً ومشبعاً بالنفط وبعض الأجزاء في الأرض عندما يتم وضع النار بها كانت تشتعل ومعها دخان ورائحة «البيتومين» القوية.

وقام مرافقنا بالجلوس على حافة صخرة هنا وقال «بويش زيادي يران» أي أن رائحتها قوية.

وأخذتُ عينة من هذه وعدنا لمقرنا وأثناء الطريق رأينا مزارع النخيل لـ

«حسين خان» وكذلك أشجار الرمان والتي افتخر بها قائلاً أنها أحضرت من «نلم» بواسطة أحد أجداده.

وعندما وصلنا علمت أن جمالنا قد صحت وأنها على استعداد للسفر غداً وهكذا قررنا أن نغادر.

وبعد هذا الفصل وهو الفصل الثامن يأتي الفصل التاسع وهو بعنوان «الدخول إلى مقاطعات فارس» أي إيران الحالية .. كما اعتبرها الكابتن فلوير.

ومنها يذهب إلى (كهنوج) ليلتقي مع «جراغ خان» و«نور الدين خان»، ثم يذهب إلى (كرمان) لمقابلة وكيل الملك عن طريق (دوساري) حيث يقابل المحافظ باسم «ناصر خان».

و(دوساري) قرية تقع على أطراف جبال (البارز).

وبعد كرمان يكمل رحلته إلى فارس ولا تدخل في نطاق بحثنا هذا.

«انتهى»

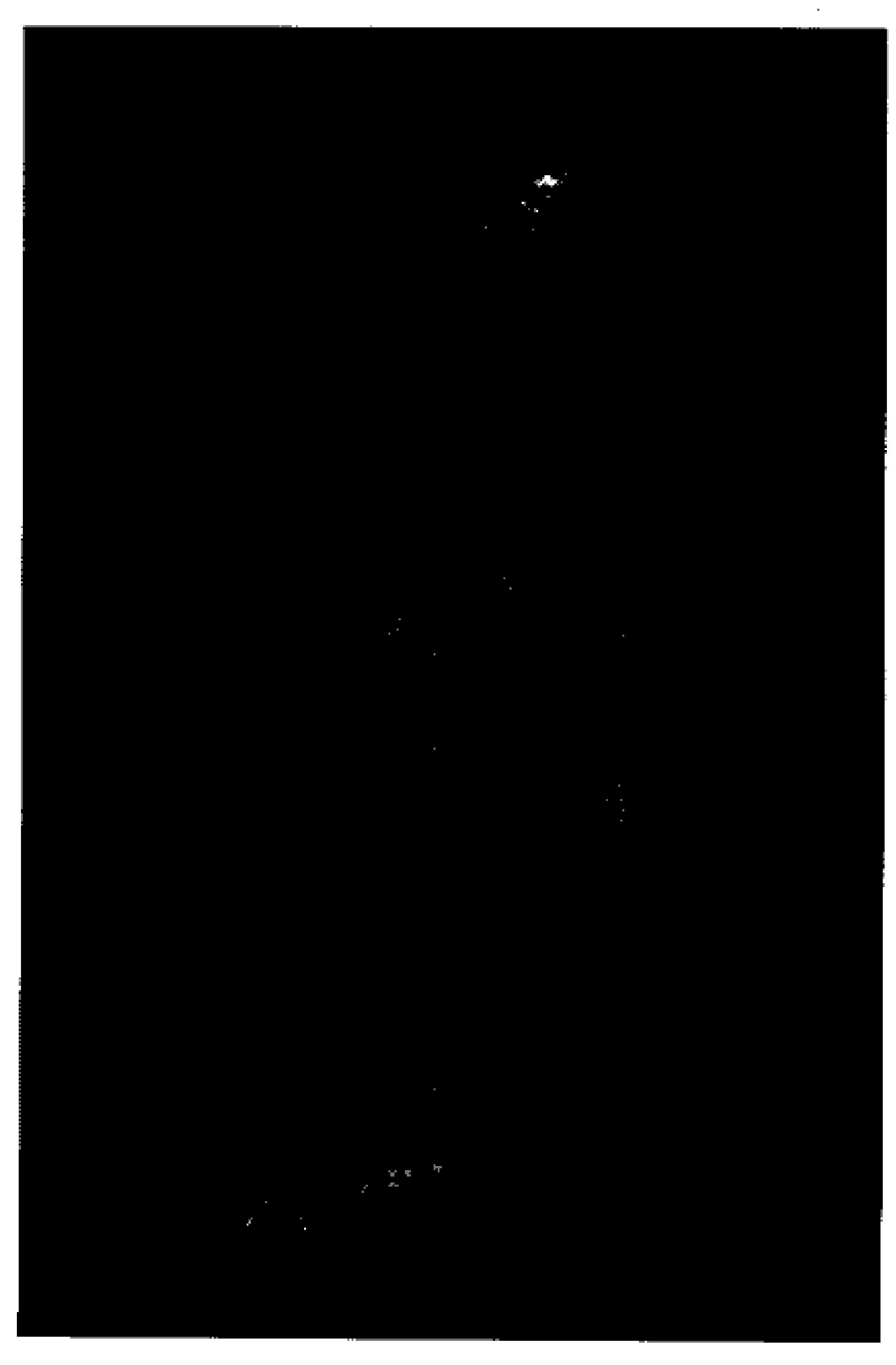
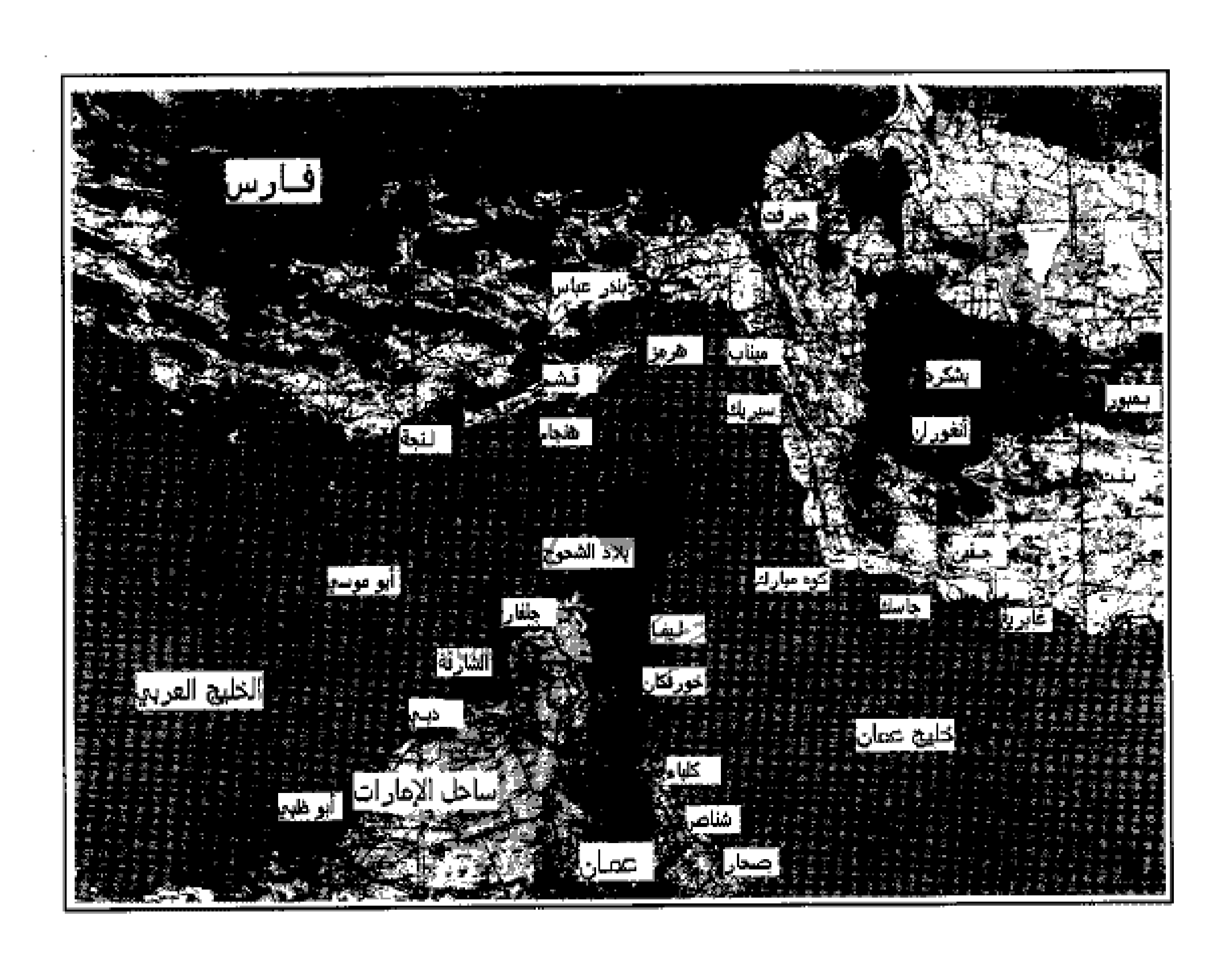


Figure ١ الكابتن فلوير في نهاية خدمته في القاهرة بمصر


فارس
جيرفت
بندر عباس
هرمز
ميناب
قشم
سيريك
لنجة
هنجام
بلاد الشحوح
أبو موسى
كوه مبارك
جلفار
الشارقة
خورفكان
الخليج العربي
دبي
خليج عمان
كلباء
ساحل الإمارات
أبو ظبي
شناص
عمان
صحار

التاريـخ	الـحـدث
١٧٩٠	٭ يسيطر السيد «سلطان بن أحمد بن سعيد آل بوسعيد» على حكم عُمان بعد هزيمة قوات أخويه «قيس وسعيد»، ويبدأ في استعادة الممتلكات العُمانية في ساحل مكران و التي كانت في معظمها تحت حكم اليعاربة وقبلها تحت حكم مملكة هرمز العربية.
١٧٩٤	٭ يحاصر الأمير «حسين آل دغار» وهو الجد الأكبر للأمير «علي» والأمير «يوسف» والعم المباشر للأمير «عبد النبي» وهم من الشخصيات التي قابلها «فلوير» في رحلته عام ١٨٧٦م ـــ في قلعة (قتان) على ساحل مكران من القوات المتمردة ضده والمدعومة من قِبل «سلطان بن أحمد» ويتم بعدها نفيه إلى (مسقط).
١٧٩٨	٭ نابليون يحتل مصر ويوجه أنظاره نحو (الهند) ويراسل سلطان عُمان. ٭ توقع بريطانيا معاهدة (قولنامة) مع سلطنة عُمان وممتلكاتها التابعة لها على ساحل مكران بعدم إبرام أي اتفاقية أو التعاون مع الفرنسيين في حال وصولهم للمنطقة.
١٨٠٤	٭ آيلول: مقتل السيد «سلطان بن أحمد» حاكم عُمان بالقرب من (لنجه)، ويندلع الصراع في عُمان ويحصل إنقسام بين أفراد الأسرة الحاكمة لينعكس على كافة القبائل العُمانية ومنها قبائل

	البلوش في عُمان والمناطق القبلية في ساحل مكران فتنفصل (جوادر) عن عُمان بعد أن يهاجمها المير «دوستين»، وتنقسم المناطق الأخرى بين ولائها لأفراد العائلة الحاكمة المتصارعة بينهم أبناء السيد «سلطان بن أحمد» ومنهم السيد «سعيد بن سلطان».
١٨٠٥	* تبدأ حملة استرجاع الممتلكات العُمانية في ساحل مكران على يد السيد «بدر بن سيف» ويصطدم مع شيوخ قبائل البلوش الذين ينقسمون خاصة مع بدء الحملات القاسمية بالمنطقة؛ فمنهم من تحالف مع القواسم ويشنون حملات عديدة على نواحي الهند ومنهم من يظل على ولائهم مع آل بو سعيد. * يكتب القائد العسكري الإنجليزي إلى حكومة الهند «أن استعادة عُمان لتوابعها في إيران (فارس) هو عمل أكثر أهمية من مكافحة القرصنة في الخليج». * «الأمير حاجي» يستلم حكومة والده المير «حسين آل دغار» يقود قبائل البلوش على ساحل مكران مدعمة بقوات أخواله من حكام إمارة «بنت»، وقوات من «رودبار»، والأمير «حاجي» هو والد المير «علي» وجد المير «يوسف» الذين ذكرهما الكابتن فلوير في رحلته.
١٨٠٦	* اغتيال «بدر بن سيف بن أحمد البوسعيدي» على يد «سعيد بن سلطان» بالتعاون مع عمه «قيس بن أحمد» ويحسم صراع السلطة في عُمان لمصلحته ويصبح من أعظم سلاطين عُمان. سعيد بن سلطان

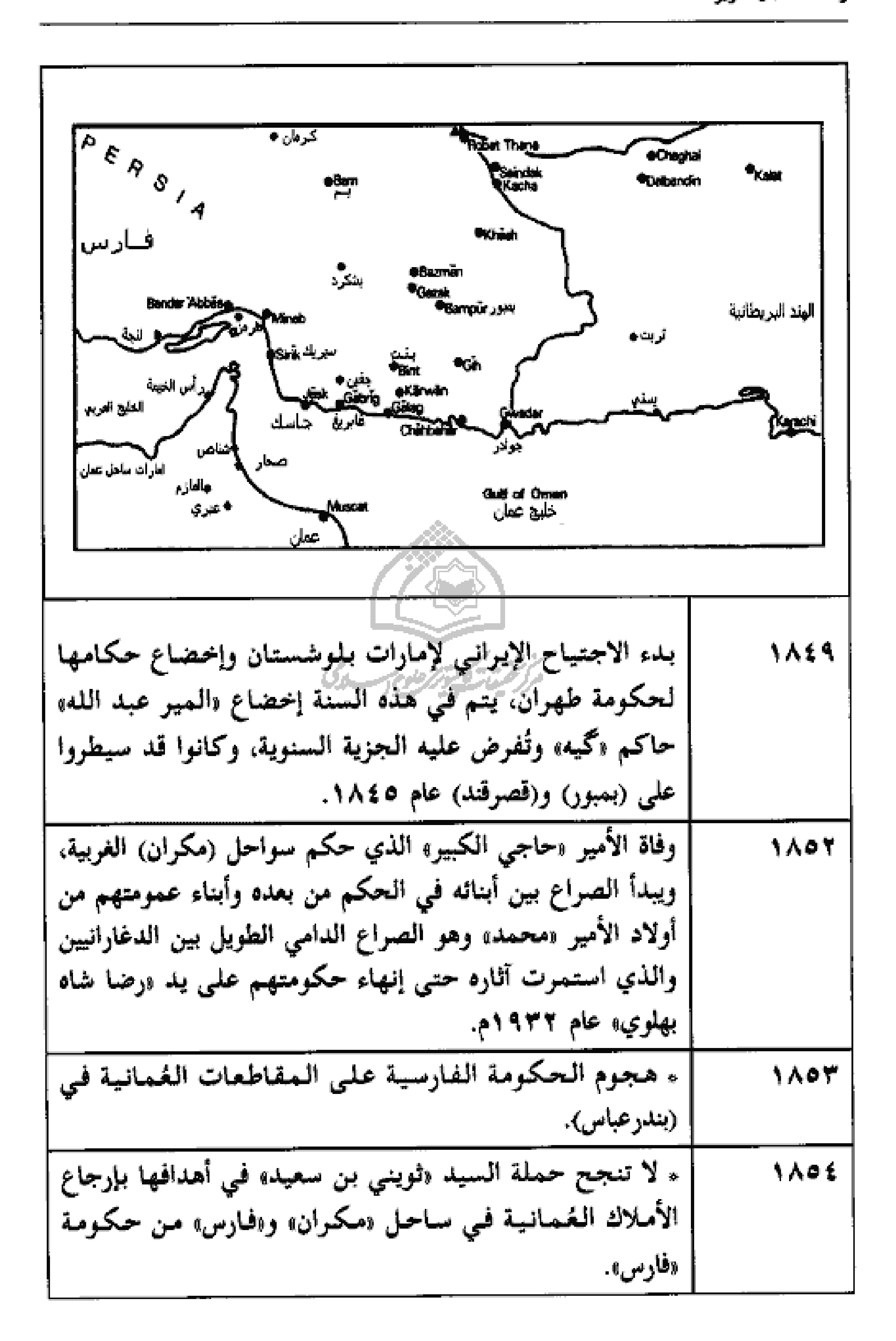
السنة	الحدث
١٨٠٧	• (٤ أيار) مايو: الاتفاقية السرية بين الإمبراطور نابليون ومبعوث الشاه «فتح علي» بإلزام فارس بقطع العلاقات السياسية والتجارية مع بريطانيا وإعلان الحرب عليها (تم إلغاؤها في آذار مارس ١٨٠٩). فتح علي شاه
١٨٠٨	• سفن القواسم والقبائل المتحالفة معهم من البلوش تهاجم «سومني» عاصمة (لاسي بيلا) وتحرقها. • مقتل «قيس بن أحمد» بعد إصطدام القواسم مع السيد «سعيد بن سلطان» حاكم عُمان في (خورفكان). • عزل «سلطان بن صقر» عن قيادة القواسم وتعيين «حسن بن علي» والياً باسم الإمام السعودي على القواسم. • استمرار جهاد القواسم ضد السفن والحركة التجارية للبريطانيين في منطقة الخليج.
١٨٠٩	• مع اقتراب النفوذ الفرنسي بقيادة نابليون إلى حدود الهند تقوم الحكومة البريطانية بإرسال ضابط إنجليزي هو الكابتن «غرانت» عن طريق السيد «سعيد بن سلطان آل بوسعيد» إلى (مكران) للتأكد من إمكانية عبور جيش نابليون من (مكران) إلى (الهند)ـ يلتقي من خلالها في ٢٣ أبريل مع الأمير «حاجي» في (سيريك) بعد مغادرته لها من (جاشك). الأمير «حاجي «الكبير» هو أحد أهم حكام مكران الغربية ــ وهو الجد الأكبر لمعظم الشخصيات في كتاب الكابتن «فلوير» ومنهم الأمير «يوسف» و«شهداد» ووالد المير «علي» وابن عم الأمير «عبد النبي». • تصل الدعوة السلفية إلى ساحل مكران عن طريق هجمات القواسم، ويتم هدم بعض المزارات في منطقة (باهو)، بعد انضمام

	قبائل البلوش مع القواسم ومهاجمتهم أطراف (السند)، وكذلك يتم ضرب «پسني» على ساحل مكران ونزوح التجار الهندوس منها. ويتم أيضاً تحالف بعض قبائل البلوش من (جاسك) معهم ويعزلون الوالي العُماني للسيد «سعيد بن سلطان» في (كوه مبارك) في مكران لتتبع إلى القواسم و تخضع للأمير السعودي فى الدرعية بنجد. • ١٨٠٩/٩/١٤: خروج الحملة البريطانية ضد القواسم من بومباي تصل مسقط في ١٨٠٩/١٠/٢١ وإلى رأس الخيمة في ١٨٠٩/١١/١١. ١٨٠٩/١١/١٧ تدمير إسطول القواسم في لنجة.
١٨١٠	• ٢ يناير: فشل حملة السيد «سعيد سلطان» حاكم عُمان والإنجليز على «شناص» وإبادة أغلب جيشه على يد قوات «مطلق المطيري» القائد السعودي الوهابي بالمنطقة.  حصن شناص أثناء الهجوم البريطاني

١٨١١	ـ السيد «سعيد بن سلطان» حاكم عُمان يطلب المساعدة من قوات الدولة «القاجارية» في حربه ضد المد السعودي بالمنطقة. ـ بدء حملة «محمد علي باشا» بقيادة إبنه «إبراهيم باشا» لإخراج قوات الدولة السعودية من مكة والحجاز.
١٨١٢	ـ اتفاقية بريطانيا مع فارّس في الدعم العسكري وبناء السفن الحربية لها مما يقوي وضعها في الخليج. ـ مقتل «بن غردقة» القائد العسكري السعودي في المنطقة على يد «بني ياس» الذي حل مكان «مطلق المطيري» الذي بدوره يعود مرة أخرى ولكنه يقتل أيضاً السنة التالية على يد قبيلة الهجارين وهو في طريقه إلى عُمان الشرقية.
١٨١٤	ـ وفاة الأمير «سعود» في الدرعية، وتلاشي الخطر الوهابي عن عُمان.
١٨١٨	ـ سقوط (الدرعية) في نجد على يد «إبراهيم باشا» ابن «محمد علي باشا» حاكم مصر، ومن ثم إعدام الأمير «عبد الله بن سعود» في تركيا يؤدي إلى ضعف النفوذ القاسمي، والعديد من حلفائهم البلوش في مكران ليقوي نفوذ السيد «سعيد» سلطان عُمان ويستعيد مناطق كثيرة في ساحل (مكران) كانت تتبع أو خاضعة لنفوذ القواسم.
١٨١٩	ـ يقوم الإنجليز بملاحقة القواسم والقبائل المتحالفة معهم من البلوش على طول (ساحل مكران)، ويتم هذه السنة محاصرة سفن القواسم في (غواتر) ولكنها تنسحب إلى رأس الخيمة.
١٨٢٠	ـ معاهدة الإنجليز مع القواسم بعد ضرب (رأس الخيمة) تؤدي إلى هجرة المزيد من قبائل ساحل الإمارات وساحل الباطنة إلى ساحل (مكران) فاستقر عدد كبير من «المهير»، ومن قبيلة «السويدي» من منطقة الخان في"بيابان» و«جاسك»، وكذلك «المعامرة» و«الحواسنة» نتيجة هذه الإضطرابات.

١٨٢٣	• يقوم السيد «سعيد بن سلطان» بالقبض على حكام (بندر عباس) و(ميناب) ليستعيد هيمنته وحكمه على كافة المناطق المقابلة لسلطنة عُمان من ساحل (مكران) وحتى قشم، بل ويصل بنفوذه وهجماته إلى بوشهر والبحرين والبصرة.
١٨٢٨	• (تشرين الثاني): فشل حملة السيد «سعيد بن سلطان» حاكم عُمان وحلفائه من بني ياس بقيادة الشيخ «طحنون» على البحرين.
١٨٢٩	• اتفاقية توقيع الحدود بين بني ياس ممثلة بالشيخ «طحنون» حاكم (أبوظبي) والقواسم ممثلة بالشيخ «سلطان بن صقر» حاكم (الشارقة).
١٨٣١	• يغادر إلى (زنجبار) السيد «سعيد بن سلطان» حاكم عُمان بقيادة السفينة «ليفربول» ومع أسطول مكون من ٣٠ سفينة وقواته من أبناء القبائل العمانيين ومن ضمنهم عشائر البلوش المتحالفة معهم، ومن ضمن المناطق التي سيطروا عليها في شرق أفريقيا وزنجبار استقرت عائلاتهم وما تزال بقاياهم موجودة إلى يومنا هذا. • مولد الأمير «شداد بن الأمير حاجي» أحد الحكام لإمارة بيابان فيما بين الفترة (١٨٥٧ــ١٨٧٤) والذي قابله الكابتن فلوير في (بشكرد).
١٨٣٢	• تقوم قبائل النعيم ومن ضمن تحالفاتهم السابقة مع قبائل البلوش بمهاجمة بعض مناطق ساحل «مكران»ــ مما يستدعي تدخل بريطانيا لفرض الغرامة عليهم. • ويرفض الشيخ «راشد بن حميد النعيمي» طلب النقيب «هينيل» البريطاني للخضوع لأية عقوبات تفرضها بريطانيا على قبائله. • إنشاء مقر الوكيل السياسي البريطاني لأول مرة بالشارقة.
١٨٣٣	• مولد الأمير «يوسف بن داخذا آل حاجي» الذي يلتقي به الكابتن فلوير ويذكر عن صراعه مع الأمير «عبد النبي» للإستحواذ على قلعة (جاشك).

	ـ ٢١ سبتمبر: الاتفاقية التجارية الأمريكية العُمانية مع السيد «سعيد بن سلطان» حاكم عُمان وزنجبار.
١٨٣٥	ـ وفاة «فتح علي شاه» حاكم فارس وتولي «محمد شاه القاجاري» حكم فارس حتى عام ١٨٤٨.
١٨٣٨	ـ «محمد علي باشا» يأمر باجتياح (الدرعية) للمرة الثانية ويتم أسر «تركي بن عبد الله آل سعود». في شهر مارس يتم احتلال (البريمي) بواسطة «سعد بن مطلق المطيري» ولكن باسم والي مصر و الحكومة المصرية.
١٨٣٩	ـ ١٣ نوفمبر: إحتلال البريطانيين لقلعة الميري في (كالات)، ومقتل «مهراب» خان الكالات وتعيين حفيده «شاهنواز» حاكماً على قالات. ولكن السنة التالية في ١٠ أغسطس يستولى «نصير خان» على حكومة القالات وهو الذي إصطدم مع العُمانيين مطالباً بأخذ (جوادر) وضمها إليه.
١٨٤٥	ـ حكومة فارس ترسل حملة عسكرية إلى إقطاعية (بندر عباس) العُمانية وتحاصر قلعة ميناب وبعض المناطق ولكنها تنسحب بعد قيام «سيف بن نبهان» الوالي العُماني بعمل ترتيبات مالية معهم.
١٨٤٧	ـ يرسل السيد «ثويني بن سعيد» قوات من (مسقط) لفك الحصار عن منطقته (جوادر) التابعة لعُمان على ساحل مكران بعد أن تهاجمها قوات من «كيج» بقيادة «فقير محمد» يتم صد الهجوم وتراجع القوات المهاجمة.



١٨٤٩	بدء الاجتياح الإيراني لإمارات بلوشستان وإخضاع حكامها لحكومة طهران، يتم في هذه السنة إخضاع «المير عبد الله» حاكم «گيه» وتُفرض عليه الجزية السنوية، وكانوا قد سيطروا على (بمبور) و(قصرقند) عام ١٨٤٥.
١٨٥٢	وفاة الأمير «حاجي الكبير» الذي حكم سواحل (مكران) الغربية، ويبدأ الصراع بين أبنائه في الحكم من بعده وأبناء عمومتهم من أولاد الأمير «محمد» وهو الصراع الدامي الطويل بين الدغارانيين والذي استمرت آثاره حتى إنهاء حكومتهم على يد «رضا شاه بهلوي» عام ١٩٣٢م.
١٨٥٣	• هجوم الحكومة الفارسية على المقاطعات العُمانية في (بندرعباس).
١٨٥٤	• لا تنجح حملة السيد «ثويني بن سعيد» في أهدافها بإرجاع الأملاك العُمانية في ساحل «مكران» و«فارس» من حكومة «فارس».

١٨٥٦	• اتفاقية ١٧ نوفمبر: أخيراً توافق «فارس» على رجوع الممتلكات العُمانية في «فارس» وساحل «مكران» (جاسك وبيابان) ولكن بالتأجير، فيوافق العُمانيون وحلفائهم البلوش نظراً للظروف الإقليمية ويتم الإعتراف بالنفوذ الإيراني عليها. • ١٩ سبتمبر: وفاة السيد «سعيد بن سلطان آل بوسعيد» حاكم عُمان وزنجبار ومناطق كثيرة من ساحل مكران على ظهر مدمرته «كوين فيكتوريا».
١٨٥٧	• بدء الإنقسامات بين أمراء آل دغار في ساحل مكران لتشمل أفراد القبيلة في عُمان من ساحل الباطنة والشميلية والقبائل المتحالفة معهم في عُمان ومكران، ينقسم أبناء الأمير حاجي في بيابان وتظل معهم حتى عام ١٨٧٤، وظهور الخلاف بين «الأمير داخذا بن مير حاجي» و«الأمير عبد النبي» الذي ينحاز إلى أخيه الأمير «حسين بن مير حاجي» ويذهب إلى مسقط لمقابلة السلطان «ثويني بن سعيد» لمناقشة أمور الحكومة العُمانية في ساحل (مكران). • وفاة الأمير «داخذا بن الأمير حاجي» أثناء زيارته للسيد ثويني في عُمان في صحار(ويدفن في منطقة الزعفران)ــ وتقسيم الحكومة بين أبنائه وأبناء أخيه «الأمير حسين». ويحصل التصادم مع فروع آل دغار الآخرين على الحكم. • مقتل «نصير خان» حاكم (كالات) بالتسمم.
١٨٥٨	دخول الأمير «عبد النبي بن محمد» في مواجهة الإنقسام الحاد بين أمراء آل دغار وبعد مقابلة السيد «ثويني بن سعيد آل بوسعيد» سلطان عُمان في مسقط يتم تأييده في إعلان حكومته وحاكماً للمنطقة ويجعل مقر حكومته في قلعة جاشك على الساحل المكراني.

١٨٦٠	* إنفصال (زنجبار) عن الوطن الأم عُمان بترتيب بريطاني، ولكن يحكمها «البوسعيد» من أبناء السيد «سعيد بن سلطان» وعلى رأسهم «ثويني بن سعيد» و«برغش» و«ماجد». The Palace Museum, Zanzibar ماجد بن سعيد
١٨٦١	* البدء في إنشاء خط التلغراف البريطاني بربط الهند ببريطانيا عبر مناطق قبائل البلوش والمناطق التابعة للحكومة العُمانية على ساحل مكران، وتقوم بريطانيا بعمل ترتيبات توقيع اتفاقية التلغراف مع حكام المنطقة. * ١٨٦١/٦/٣: تقرير القس «جورج بيرس بادجر George Badger» رئيس لجنة (مسقط) و(زنجبار) وقد عنونه من (عدن) عن المسار المقترح لخط التلغراف البريطاني والذي اقترحه بعد مقابلته للسلطان «ثويني بن سعيد» و«الأمير حسين» بن الأمير «حاجي» أحد حكام ساحل مكران الذي كان متواجداً مع السيد «ثويني بن سعيد» سلطان عُمان في مسقط. الأمير «حسين آل دغار» أبدى إستعداده في المساعدة في حماية الخط بقواته على ساحل مكران.
١٨٦٢	* إفتتاح خطوط البواخر بين الهند والخليج وظهور موانئ جديدة منافسة لمسقط مثل بوشهر والمحمرة.

١٨٦٣	٠ ٣٠ أبريل: بعد أن يكتمل خط التلغراف البريطاني إلى (جوادّر) على ساحل (مكران) تقترح بريطانيا شراء جوادّر من سلطان مسقط، يرفض السلطان ويقترح إعطاؤهم تسهيلات لمدة ١٠ سنوات.
١٨٦٤	٠ إدعاء إيران رسمياً بتبعية (تشابهار) و(غوادر) لها إستناداً إلى غزو «نادر شاه» لها قبل مائة وثلاثين سنة مضت. ٠ تقرير الكابتن «غولد سميد» بعدم أحقية إيران في إدعاءاتها بخصوص (جوادّر) و(تشابهار) على ساحل مكران، وتظل المناطق الأخرى أيضاً تابعة للسلطنة العُمانية وتحت حكمها، وبعدها بسنة تُبرم إتفاقية بين بريطانيا وعُمان بخصوص أملاك السلطنة وحقها في» جوادّر».
١٨٦٥	٠ إغتيال السيد «ثويني» على يد إبنه «سالم» في صحار، وتدّعي حكومة إيران أن الاتفاقية الخاصة بخصوص الحكم العُماني في سواحل (مكران) قد انتهت نتيجة إغتيال السيد «ثويني بن سعيد» وتولي السيد «سالم» حكم عُمان.
١٨٦٨	٠ يقوم السيد «سالم بن ثويني» بمحاصرة الساحل الإيراني ويطالب الحكومة الفارسية تطبيق اتفاقية ٤ أغسطس وتجدد الاتفاقية لإدارة الممتلكات العُمانية ومن ضمنها مناطق ساحل مكران. ٠ يتم عزل السيد «سالم بن ثويني» بواسطة «عزان بن قيس» ورحيله إلى مناطق (بندر عباس).

١٨٦٩	• ينجو «ناصر بن ثويني»، ابن السلطان العُماني السابق «ثويني» من مؤامرة لقتله في مسقط ويلجأ إلى أخواله البلوش في (جوادّر) الذين يقفون معه ويقومون بطرد الوالي السيد «سيف»، وفي أبريل يقوم بالسيطرة على (جوادّر) ويتم إعلانه حاكماً عليها ثم يحاول السيطرة على (تشابهار) أيضاً. • تقوم الحكومة البريطانية باقتراح تعيين مسئول سياسي مقيم في جوادّر وكيلاً سياسياً لساحل مكران. • إنتهاء خط التلغراف البريطاني إلى جاسك والتوقيع على معاهدات حماية التلغراف البريطاني بين الحكومة البريطانية وبين حكام وأمراء ساحل مكران ومن ضمنهم الأمير «عبد النبي بن محمد آل دغار» والأمير «علي آل دغار». هذه المعاهدات وثقت لاحقا وسميت ب (AtchisonTreaties) • نتيجة للتغيرات في حكومة عُمان تثار نزاعات في ساحل مكران ضد الأمير «عبد النبي بن محمد» يقوم به أفراد من بني عمومته فرع «آل حاجي» والقبائل المتحالفة معهم، يؤدي إلى تصادمهم، ومقتل العديد من المؤيدين والمعارضين ويؤدي في النهاية إلى اصطدام الأمير عبد النبي بن محمد مع السلطان العماني بعد لقائهم في جزيرة «هرمز» العمانية.
١٨٧٠	• نتيجة لزيادة ديون إيران وبذخ الشاه وأسفاره العديدة حدثت مجاعة في جنوب فارس بين هذه السنة وحتى عام ١٨٧٢. • في عُمان يتم الإطاحة بحكم عزان بن قيس ليحكم السيد «تركي بن سعيد بن سلطان البوسعيدي» الجد الأكبر لجلالة السلطان «قابوس بن سعيد بن تيمور السيد تركي بن سعيد

بن فيصل بن تركي آل بوسعيد». • وفي مكران تفشل محاولة الأمير «عبد النبي بن محمد» في فرض سيطرته الكاملة على مناطق حكمه في ساحل مكران بعد أن يتم إحباط محاولته في إغتيال الأمير «علي آل دغار» في منطقة (تار)، وبعدها تنقسم القبائل بين فرعي أسرة آل دغار الحاكمة بين المؤيد والمعارض حتى يتم توحيدها في عهد الأمير بركت.	
• السيد «عبد العزيز آل بوسعيد» أخ السلطان العُماني «تركي بن سعيد» يصبح حاكماً لمنطقة «جوادَر» العُمانية على ساحل مكران رغم اعتراضات «تركي بن سعيد» لدى البريطانيين، ولا يكتفي بهذا إنما يحاول ومعه مؤيديه من قبائل «الرند» و«البلوش» بغزو (تشابهار) وتفشل المحاولة، ويغادر إلى الهند. • يقوم البريطانيون ممثلين بالكابتن «غولد سميد» بتقسيم بلوشستان بين إيران (فارس) والهند البريطانية ورسم الحدود بينهما. غولد سميد هو من كتب مقدمة كتاب رحلة الكابتن فلوير بعد استقرارهما في مصر لاحقاً و هو في الأصل يهودى من أسرة هاجرت إلى بريطانيا. • أما في مناطق ساحل مكران الغربية فإن الأمير «علي» والذي يعتبر من ألد أعداء الأمير عبد النبي يقوم بتسليم القلعة الميرانية في «جاسك» له ويطالب كافة فروع أمراء «آل دغار» والقبائل المتحالفة معهم بمبايعته، اعترافاً منه بقدراته القيادية في التعامل مع المخاطر التي تواجه حكم «آل دغار» داخلياً وخارجياً، وفي وجود توسع النفوذ البريطاني والهيمنة الفارسية وضعف الحكومة العُمانية أمام هذه التحديات.	١٨٧١
• أخيراً يستولي السيد «عبد العزيز آل بوسعيد» على «تشابهار» وتصبح تحت حكم العُمانيين ولكن تجند الحكومة الفارسية قوات	١٨٧٢

كبيرة يضطر بعدها السيد «عبد العزيز» وقوات البلوش المتحالفة معه للإنسحاب في ٢١ فبراير، ويتم نهب المدينة ومتاجرها من قِبل القوات الإيرانية ليهرب بعدها التجار الهنود ويلجأون إلى محطة التلغراف البريطانية في المدينة وتضم «تشابهار» إلى إيران حتى يومنا هذا. * يبعث سلطان عُمان «تركي بن سعيد» قوات لإعادة (جوادّر) للحكومة المركزية في عُمان من السيد «عبد العزيز البو سعيدي». * وفي مكران مازالت المعارضة ضد الأمير «عبد النبي» مستمرة من بني عمومته من فرع الأمير «حاجي» بقيادة الأمير «يوسف» الذي يقابله الكابتن «فلوير» في بشكرد ويكتب عنه في رحلته عبر المنطقة.	
* محاولة السيد «عبد العزيز آل سعيد» إعادة (جوادّر) إلى ممتلكاته، ويحاول الهجوم على القوات المركزية العُمانية وتفشل المحاولة ويتابع سوء الحظ هذا المقدام ليتم اعتقاله في البحر في سبتمبر ١٨٧٣ ويُنفى إلى الهند. * ومن ناحية أخرى يتحالف السيد «سالم ثويني» السلطان العُماني السابق ــ والمقيم لفترة طويلة مع قبائل البلوش في مكران خاصة إقليم (دشتياري)ــ للإستيلاء على جوادّر في ديسمبر أثناء غياب الوالي «سعيد بن خميس»، ولكن بعد ٣ أيام تحاصره القوات البريطانية وتطلب منه الإستسلام، ولكن عند حلول الظلام استطاع وبعد أن يقتل حصانه أن يخترق الحصار ويرجع إلى مناطق قبائل «البلوش» ليستقر معهم لفترة قبل مغادرته إلى جزيرة قشم. * أما في إيران فيتم تقسيم مناطق الخليج على جباة الضرائب لأجل حل مشكلة ديون الحكومة، ويتم تعيين ملك التجار جابياً للضرائب في منطقة موانيء الخليج ومقره «بوشهر».	١٨٧٣

* مرسوم سلطاني بتحريم نقل العبيد والتجارة بهم في «زنجبار» و«عُمان» وكافة توابعها على ساحل مكران وهذا يسبب مشاكل كثيرة خاصة مع قبائل «البلوش» التي ترفض لجوء عبيدها إلى السلطات البريطانية في ("جوادر") لأجل نيل حريتهم، وتقوم هذه القبائل بالهجوم على البريطانيين والاصطدام مع الوالي العُماني وقطع الخط التلغرافي الإنجليزي.	
* تقوم القوات البريطانية وسفنها بفرض حصار على ساحل (مكران) لمنع جلب الرقيق إليها وإلى (عُمان). * الثائر الأمير «يوسف» يستولي على قلعة الميراني في (جاسك) أثناء غياب الأمير «عبد النبي» في زيارة إلى «بشكرد» ويترك بها حامية عسكرية من القبائل التابعة له من «بيابان». * في أبريل يغادر مسقط خفية السيد «عبد العزيز بن ثويني» ـ وهو غير «عبد العزيز بن سعيد» ــ بصحبته مرافقه إلى (مكران)، ويتوجس منهما السيد «تركي بن سعيد»، ولكن في سبتمبر يرجعهما المير «دين محمد» البلوشي إلى حاكم عُمان أسيرين، يقوم السيد «تركي» بسجن السيد «عبد العزيز» في القصر، ويبدو أنه تم إعدام مرافقه الآخر.	١٨٧٤
* يستقر السيد «تركي بن سعيد» في جوادر ــأغسطس وسبتمبرــ وتزداد زياراته إليها ويقيم مكتب بريد ويضع حامية عسكرية بها، وفي السنوات اللاحقة ومن شدة ولعه بها أراد أن يفصلها عما حولها ويعهد بها لولاية إبنه محمد بعده. * وفي (جاسك) يحاصر الأمير «عبد النبي» القلعة ومركز الحكم ويقتحمها ويطلق سراح الأمير «يوسف».	١٨٧٥
* ٧ يناير: يبدأ الكابتن الإنجليزي «إرنست فلوير» رحلته المشهورة في مناطق قبائل البلوش منطلقاً من جاسك إلى بنت في رحلته الأولى.	١٨٧٦

١٨٨١	• المصالحة بين الأمير «عبد النبي» والأمير «يوسف» مما يؤدي إلى استقرار الأوضاع بين قبائل البلوش بالمنطقة، ويتم إعطاء الأمير يوسف صلاحيات كبيرة في إقليم (بيابان) من قبل الأمير «عبد النبي».
١٨٨٥	• بدء إنشاء القوة البحرية في الخليج بوصول بارجتين بحريتين هي «بيرسوبوليس» و«سوسه» إلى (بوشهر) من ألمانيا، تكون هاتين البارجتين السبب الرئيسي في ضم العديد من جزر الخليج إلى السلطة الفارسية ومنها جزيرة «سرى» التي يُرفع عليها العلم الإيراني.
١٨٨٦	• تقوم الحكومة الإيرانية وبعد إزدياد نفوذ الأمير «عبد النبي» على ساحل مكران وبدء نشاطه السياسي مع الحكومة البريطانية والسلطة العُمانية بإرسال البارجة الحربية بيرسوبوليس إلى إمارة جاسك على ساحل مكران ويتم إستدعاء الأمير «علي» والأمير «عبد النبي» ويتم حجزهما وإرسالهما إلى (بوشهر)، ثم إلى طهران بتهمة الخيانة للحكومة الفارسية وتلقي منح مالية من بريطانيا، ويعلق مندوب الحكومة البريطانية أن السبب هو العلاقات المتميزة التي كان يتبعها الأمير «عبد النبي» مع الحكومة البريطانية أثناء حماية خط التلغراف وفي التعامل معهم.
١٨٨٧	• تعيين حاكم فارسي من قِبل حكومة طهران في «جاسك»، وإرسال قوات عسكرية من «رودبار» إليها. • تثور قبائل «البلوش» بعد نفي حكامهم إلى طهران ويقومون بأعمال تخريب ويتم سجن الكثير منهم لرفضهم دفع الضريبة للحكومة الفارسية. • رئيس الوزراء في حكومة فارس يعطي الأمر للبارجة الحربية «بيرسوبوليس» للقبض على الشيخ «قضيب بن راشد» الحاكم القاسمي في (لنجه)، ويتم نفي الشيخ «قضيب» إلى طهران في (١١ آيلول سبتمبر) حيث يتوفى هناك. • رفع العلم الفارسي على جزيرة (سرى) التابعة للقواسم ونقل الجنود إليها وضمها إلى (إيران).

١٨٨٨	• تقوم حكومة طهران بإطلاق سراح الأمير «علي بن الأمير حاجي آل دغار» أحد حكام ساحل مكران ويبقى الأمير «عبد النبي بن محمد» رافضاً للشروط التي يضعها الشاه القاجاري وحكومة (طهران) بخصوص الشؤون الداخلية في (مكران). • في فبراير يتم رفع العلم الإيراني في إمارة (جاسك) على ساحل مكران ويتم رسمياً وضع المنطقة تحت إدارة «ملك التجار» وتتبع موانئ الخليج في «بوشهر». • بعد وضع إمارة (جاسك) تحت الإدارة الإيرانية لموانئ الخليج تقوم البارجة الحربية (بيرسوبوليس) بقيادة (ملك التجار) بالذهاب إلى قطر والبحرين محاولة ضمهما لإدارة الحكومة الفارسية، وكذلك تتوجه سفن أخرى في شباط «فبراير» إلى رأس الخيمة وأم القيوين والشارقة لأجل رفع العلم الإيراني بها. • تحتج الحكومة البريطانية وتوجه سفنها الحربية إلى البحرين والشارقة وتتراجع حكومة الشاه عن محاولتها هذه. • وفاة السيد «تركي بن سعيد» حاكم عُمان وتولي إبنه «فيصل بن تركي» حكم سلطنة عُمان.  فيصل بن تركي ومرافقيه

١٨٨٩	* تأتي البارجة الحربية «بيرسوبوليس» إلى (جاسك) بقيادة حاكم موانئ الخليج الجديد «سعد السلطنة» ومعه الأمير «عبد النبي بن محمد» وذلك للمساومة معه على شروط الحكومة الفارسية، وترجع البارجة إلى بوشهر ومعها الأمير «عبد النبي» دونما أي نجاح. * تثور قبائل ساحل مكران في مناطق (جاسك) وتظهر قلاقل كبيرة بين القبائل الموالية للأمير «عبد النبي» وتطالب بعودته من (بوشهر). * ومن ناحية أخرى تبدأ ما يُعرف بثورة حكام البلوش في أغلب مناطق بلوشستان وقبائلها أثناء زيارة الشاه إلى أوروبا، ويؤدي إلى تدخل بريطانيا للتهدئة، ويتم تغيير الحاكم العسكري الفارسي العام وعزل «أبو الفتح خان».
١٨٩١	* في ربيع هذا العام يقوم القائد العسكري القاجاري المعين حاكما لـ (كرمان) إبراهيم خان بزيارة (بلوشستان) ويقوم بإعدام الحكام وقادة الثوار البلوش والموالين لهم، وذلك بإطلاقهم من فوهات المدافع وبالترتيب كل حسب دوره، ويتم هجرة عائلاتهم ونزوحها إلى خارج المنطقة خاصة إلى فروع قبائلهم في عُمان وشرق أفريقيا. * في هذه السنة وبعد رجوعه من (بوشهر) يعلن الأمير «عبد النبي بن محمد» ثورته الكبرى ضد الحكومة الفارسية يلبي دعوته أغلب قبائل البلوش بفروعها في (مكران) وساحل الباطنة خاصة في (شناص) و(صحار) و(فزح) و(الظاهرة) إبراهيم خان الحاكم العسكري القاجاري

قبائل الهوت وساحل الشميلية من عُرفوا بأهل «التفق» وينضمون إلى ثورته، وترد الحكومة الفارسية على ذلك بإرسال حملة عسكرية بقيادة نائب الحاكم الإيراني في ميناب التي تقوم بوضع مراكز الشرطة ومعسكرات الجيش ووضع المنطقة بأكملها تحت الحكم العسكري للقوات الإيرانية.	
• يناير ١٨٩٢ يقوم الأمير «عبد النبي» بقيادة قوات القبائل المتحالفة معه، وبعد قتال متقطع، بالسيطرة على أغلب مناطق سواحل مكران الغربية، ويتم السيطرة على مراكز الجيش والأمن التي تنسحب ويقوم بتعيين ولاة المناطق من قادة القبائل الثائرة معه. • تقوم الحكومة الفارسية وكرد فعل على ثورة الأمير «عبد النبي» بتعيين ابن عمه الأمير «حاجي بن الأمير حسين» حاكماً على منطقة بيابان، ويحدث إنشقاق جديد في عائلة آل دغار يؤدي إلى إنحياز قبائل المنطقة متفرقة مرة أخرى بين الطرفين. • ينضم الأمير «علي» إلى قوات الأمير «عبد النبي» ويتم تنظيم حملة بقيادته على بيابان ضد الأمير «حاجي» ولكن دون نتائج واضحة وينتهي الأمر في نهاية هذا العام بقيادة الأمير «حاجي» لمناطق (بيابان) ورفضه دفع ضريبة العشر للحكومة المحلية للأمير «عبد النبي».	١٨٩٢
• حريق كبير في غوادَرعلى ساحل مكران و التى تعد مركزاً تجارياً عمانياً مهماً وخسائر تُقدر بـ ٧٣ ألفاً، ومعظم المتضررين من العرب. • إغلاق محطة التلغراف البريطاني في (غوادَر) وإيصاله مباشرة إلى (جاسك). • إصطدام أهالي جاسك من السماكين مع الحامية العسكرية الفارسية وتقوم	١٨٩٣

	الحكومة الفارسية بتغيير وكيل الحكومة إلى ياور عسكري. * يقوم البريطانيون باعتقال خان الكالات وتعيين إبنه المير «محمد» بدلاً عنه (١٠ مايو).
١٨٩٤	* تنجح سياسة الحكومة الفارسية في تأليب الحكومة البريطانية على الأمير «عبد النبي بن محمد» وتنهي اتفاقية التلغراف معه وتوقف المساعدات المقدمة له، وظهور ابن عمه «الأمير حاجي» كحاكم للمنطقة وقبول السلطات الفارسية والبريطانية له. * في دشتياري: وفاة «دين محمد خان» وحكم إبنه «الأمير عبدي خان». * ١٥ يناير: أخيراً تنجح قبائل «الرند» في الاتفاق مع الحكومة البريطانية بوقف السماح بهرب العبيد التابعين لهم إلى (غوادّر) تحت الحماية البريطانية ويقومون بوقف إعتداءاتهم عليها نتيجة لهذا الاتفاق.
١٨٩٥	ديسمبر: وفاة الأمير «عبد النبي محمد آل دغار» أشهر حكام المنطقة بعد حياة حافلة في الصراعات مع حكومات فارس وبريطانيا وهو آخر حاكم حكم باسم السلطنة العُمانية في ساحل مكران. * حرب الهناوية بقيادة الحرث ضد «فيصل بن تركي» سلطان عُمان. (الأمير عبدالنبي) رسم الكابتن فلوير
١٨٩٦	* ١١ أيار: ثورة عارمة بين قبائل البلوش في مناطق بلوشستان بعد خبر مقتل الشاه القاجاري «ناصر الدين شاه» واستلام إبنه «مظفر شاه» للحكم. * إزدياد نفوذ السلطان العثماني التركي بين قبائل البلوش وبدء موجة الإتجاه الديني بسبب نشر مبادئ «جمال الدين الأفغاني» و«خليفة خير محمد».

	• ١٢ ديسمبر: مقتل السيد «غريفز» مفتش الخط التلغرافي البريطاني على يد قبائل منطقة (كاروان) على ساحل مكران، يتم حرق المزارع وتعذيب الأهالي وعند القبض على القتلة يتم إعدامهم على يد السلطات الفارسية والإنجليزية.
١٨٩٧	• إرسال السفينة الحربية الفارسية (بيرسوبوليس) إلى (جاسك) على ساحل مكران بعد اضطرابات الأهالي ضد الحكومة الفارسية والتجار الهنود. • القبض على المير «عبدي خان» بعد تهديده بغزو تشابهار.
١٨٩٨	• عودة البارجة الفارسية (بيرسوبوليس) إلى (جاسك) لمراقبة تطورات اضطرابات العام الماضي. • ٤ (تموز) يوليو: استرجاع الشيخ «محمد بن خليفة القاسمي» «منطقة لنجه» في ساحل فارس.
١٨٩٩	• ٢ آذار مارس: يقوم الدريابگي (الحاكم الفارسي) لموانئ الخليج بالبارجة (بيرسوبوليس) بضرب لنجه بالمدفعية ويرفع العلم الفارسي على قلعتها في ٣ مارس.

	* تتأهب قبائل «ساحل عُمان» لمساعدة «محمد بن خليفة القاسمي» حاكم (لنجة) ولكن الحكومة البريطانية توجه إنذاراً لها بعدم تقديم أي مساعدة للثائر العربي هناك.
١٩٠٠	* أول مايو: وفاة الأمير «علي بن الأمير حاجي الدغاراني» عميد أسرة «آل حاجي» الحاكمة في (بيابان) على ساحل مكران، ويخلفه إبنه الأمير «هوتي». * إهتمام روسي فرنسي بغوادر. * بريطانيا تقطع الطريق على حكومة مسقط بتهديدها تسليم (غوادّر) إلى خان (الكالات).
١٩٠١	* القروض الروسية لحكومة (إيران) بضمان جمارك جنوب إيران في مناطق الخليج تؤدي إلى تضارب مصالح الروس مع بريطانيا في الخليج وإلى إفلاس حكومة (فارس) وقيام المظاهرات نتيجة زيادة الضرائب مما يؤدي إلى الثورة الدستورية لاحقاً وبداية النهاية للحقبة (القاجارية) في إيران. * يبدأ تجار الخليج في فارس بالهجرة إلى (دبي)، وبداية الإزدهار التجاري لإمارة (دبي).

١٩٠٢	• الإتفاقية البريطانية مع حكام ساحل الإمارات لأجل منع تجارة السلاح. • (عبد العزيز آل سعود) يستولي على (الرياض). • زيادة المصالح الروسية في الخليج بعد الحصول من الشاه الفارسي على امتياز السكة الحديد في إيران. • بدأ تحالف حكام ساحل (مكران) مع الثوار الأفغان الثائرين في وجه بريطانيا، وفتح باب توصيل السلاح لهم من ساحل الخليج إلى (أفغانستان).
١٩٠٣	• زيارة اللورد «كيرزن» نائب ملك بريطانيا إلى الخليج».
١٩٠٥	• ظهور الخلاف بين الأمير «بركت بن عبد النبي» والأمير «حاجي» على حكومة (بيابان) على ساحل مكران، ويتم تعيين الأمير (بركت) حاكماً لبيابان بالإضافة لحكومة أخيه الأمير «مصطفى» لحكومة (جاشك). • يتحالف الداعية الإسلامي «خليفة خير محمد» المؤيد لثورة الأفغان ضد الحكومة البريطانية مع قبائل البلوش في عُمان وساحل مكران لدعم الثورة الأفغانية يقوي تحالفه بعد موافقة الأمير «يار محمد بن عبد الله آل دغار» والقبائل المتحالفة معه في (غابريج) و(جغين) في تأييده ومهاجمة المصالح البريطانية في منطقة الخليج. • تقوم حكومة فارّس بإنزال علم (الشارقة) في جزيرة (أبو موسى) وترفع العلم الفارسي بها وتفكر في إنشاء ميناء حر لجذب تجارة المنطقة إليها، ونتيجة للإحتجاجات البريطانية يُعاد رفع علم الإمارة وتنسحب القوات الفارسية في يونيو.
١٩٠٦	• اجتماع دولي لمنع تجارة الأسلحة والتركيز يتم على منطقة الخليج حيث يتم تهريب الأسلحة للمقاومة الأفغانية ضد الإنجليز.

* بدء الإصطدامات بين قوات الأمير «بركات» والأمير «حاجي» المعزول عن سلطة منطقة بيابان، وإصابة عدة أشخاص. * دستور ١٩٠٦ في فارس الذي يؤدي لقيام مجلس الشورى وتحديد صلاحيات الشاه القاجاري. * يحصل «خليفة خير محمد» وأتباعه من ممثلي الحركات الأفغانية على دعم الأمير «بركات» في ساحل مكران ودعم العديد من المشايخ في ساحل الإمارات وعُمان في ثورتهم المعادية ضد الإحتلال البريطاني في أفغانستان. * تحوّل قبائل البلوش في (المازم) إلى تحالف الشيخ زايد بن خليفة بعد اصطدامهم مع «بني قتب».	
* ١٦ يناير: وفاة الأمير «عبدي» وتولي «دين محمد» إمارة (دشتياري) في مكران. * إصطدام الأمير «بركت» والأمير «حاجي» ضد (الباشكرديين) بعد إغارتهم على بيابان، ويمنعهم «بركت» من التجارة مع (جاسك)، ويمنع قوافلهم من دخول المنطقة.	١٩٠٨
* يقوم أتباع الأمير «بركت» بعد حكومته لبيابان في الإغارة على مناطق «ميناب» وإقليمها، ويرفض دفع الضريبة الحكومية للحكومة الفارسية. * يقوم «بهرام خان» حاكم (ديزاك) في بلوشستان في يوليو من هذا العام باحتلال (بمبور) [قلعة فهرج]، وطرد الحاكم الفارسي العام منها. * تقوم الحكومة الإيرانية بإرسال قواتها العسكرية وينسحب «بهرام خان» عائداً إلى (ديزاك).	١٩٠٩

السنة	الأحداث
١٩١٠	• تآمر الحكومة البريطانية مع الحكومة الفارسية ضد الأمير «بركات». ويتم الاتفاق مع سلطات التلغراف البريطاني في (جاسك) بدعوته ثم يتم بالخداع محاصرته والمرافقين معه، ويتم نفيه إلى (بوشهر) بواسطة البارجة الحربية الإيرانية «بيرسوبوليس»، وتقوم بريطانيا بمحاصرة ساحل مكران لمنع تدفق الأسلحة إلى الثوار الأفغان.
١٩١١	• رجوع المير «بركات» من (بوشهر) مع خادمه ليذهب إلى (كوهستاك) في نهاية سبتمبر ومغادرته إلى (جغدان) في (باشكرد) حيث أهله يقيمون بعد إصطدامهم بالإنجليز. • قيام أتباع «بركات» بالإغارة على محطة التلغراف والحامية البريطانية في «جاسك» على ساحل مكران. • محاولة إغتيال(بركات) في ديسمبر. • ٢٤ ديسمبر: قصف البريطانيين (دبي) بسبب تجارة الأسلحة للثوار الأفغان. • تقديم الشيخ بطي ٥,٠٠٠ روبيه غرامة للإنجليز وإرجاع الأسلحة. • أبريل: فشل الحملة البريطانية بقيادة (ديلامين) ضد الأمير «بركات» في (ممر بوشك) وعودتها إلى الساحل بعد تكبدها خسائر عديدة في الأرواح والمعدات. الأمير بركات • منتصف سبتمبر: عودة الإتصالات بين بركات والبريطانيين ومقابلته للمقيم البريطاني في (جاشك). • إستمرار الإنجليز في حرق جميع السفن التي تضبط في جلب الأسلحة من (مسقط) إلى (ساحل مكران).

	* بعد فشل الحكومة الإيرانية في مهاجمة «بهرام خان» يقومون باستدعاء «سعيد خان» لتولي السلطات في بمبور.
١٩١٢	* الأمير «مراد مصطفى آل دغار» يلغي ضريبة الحكومة الفارسية على أهل (جاشك) في ساحل مكران مبتدأً بأهل البحر من السماكين والمهن المرتبطة بها مثل تجفيف السمك المصدر للخارج. * في منتصف مارس: مقابلة الأمير «بركات» لمدير التلغراف البريطاني العام خارج (جاشك)، وفشل المفاوضات بينهم ثم مغادرته إلى (بشكرد). * (١٥ مارس): السلطات الفارسية تقتل ٤ مواطنين من جاشك على ساحل مكران لرفضهم دفع الضرائب؛ نتيجة لذلك يقوم الأمير «مراد بن مصطفى آل دغار» بحصار القلعة العسكرية مع قواته المحلية ويطالب بطرد القوات العسكرية الفارسية من (جاسك)، ويتم في ١٧ مارس سحب هذه القوات إلى (بوشهر). * (في ١٣ أبريل): يقوم الأمير «بركات» بمقابلة المدير العام لمحطة التلغراف البريطاني على «خور جاشك»، ورفضه لشروط البريطانيين باعترافهم له حاكماً على (جاشك) و(بيابان). * بعد أن بلغت تجارة الأسلحة حدها عام (١٩٠٧ـ١٩٠٨) تعود لتنخفض عامي (١٩١٠ـ١٩١١) نتيجة للحصار البريطاني على (مسقط) وتفتيش السفن.
١٩١٣	* الصلح بين المير «بركات» والمير «حاجي» واستلامه جزء من حكم «بيابان». * يزداد الخلاف بين الأمير «بركات» والسلطات الفارسية.

	٭ وفاة «اللاهي خان» حاكم (أنغوران) في (بشكرد) وتدخل الأمير «بركات» في الصراع المحلي بوصول إبنه «محمد بن اللاهي» للحكم. ٭ «سعيد خان» يرسل للمير «إسلام الشيراني» لتولي حماية (بمبور) بعد وصول أخبار عن تحركات قوات إيرانية بمساعدة خبراء سويديين لاحتلال المنطقة، وعودته إلى (بنت) لتثبيت صلاحياته بعد أن ضعفت بسبب نفوذ «إسلام الشيراني». ٭ قبائل البلوش من (بيشين) تهاجم المصالح البريطانية في (تشابهار) (٢ أكتوبر). ٭ مايو: ضعف موقف سلطان عُمان نتيجة إنتخاب الغافريين (الريامي) والهناويين (الحوارث) «سالم بن راشد» إماماً إباضياً. ٭ زيادة في ضغطه على البريطانيين تقوم وحدات الأمير «بركات» بإعدام المتعاونيين معهم، ومنهم أحد الوطنيين المعروفين وهو المرحوم الملا «دادشاه» في ٢٧ أبريل. ٭ إقناع الإنجليز لسلطان عُمان في منع تجارة الأسلحة وذلك بالتعويض المادي وإنشاء مستودع للأسلحة وبفرض رقابة على التجارة في موانئه.
١٩١٤	٭ إندلاع الحرب بين «بريطانيا» و«ألمانيا» و«تركيا». ٭ ٢٠ أكتوبر: مقتل المير «حاجي» على يد قوات قبائل تابعة للأمير «بركات» بعد عدة معارك، وبعد تخلي القبائل المحلية عن مساعدة المير «حاجي»، وظهور الخلاف بين الأمير بركات وأبناء «المير حاجي» الذين إلتجأوا إلى حاكم «رودبار» ـ «ميرزا خان». ٭ تحول كبير في موقف بريطانيا لمساعدة المير بركات وتثبيت موقفه.

١٩١٥	• زيارة الأمير «إسلام الشيراني» حاكم إمارة بنت إلى (جاشك وبيابان). • ٧ آيار (مايو): يقوم الأمير «يار محمد بن عبد الله آل دغار» بقيادة الحركة الأصولية على ساحل مكران ضد القوات البريطانية يدعمه في ذلك «خليفة خير محمد»، ويقوم في هذا اليوم بمهاجمة القاعدة الإنجليزية والتلغراف البريطاني في «تشابهار» مما يؤدي إلى إستشهاده ومجموعة من أتباعه من قبائل المنطقة. • رجوع البريطانيين إلى مساعدة (المير بركات) لحفظ السلام بالمنطقة. • التقارير البريطانية الرسمية لهذه السنة تنتقد مساعدة أمراء آل دغار في هجوم الأمير «يار محمد بن عبدالله» على القاعدة الإنجليزية في تشابهار، خاصة الأمير «مصطفى آل دغار». • اعتراف الحكومة الفارسية بالأمير (بركات) حاكماً ولكنه يرفض دفع الجزية للفارسيين عن طريق نائب الحاكم في «ميناب»، ويبلغ إستعداده لمناقشة الأمر مع السلطات الفارسية العليا في (بوشهر). • يلجأ الثائر الأفغاني «خليفة عمر» المشهور باسم «مولانا» إلى الأمير «بركات» على ساحل (مكران) قادماً من (دبى) بعد أن كشفت السلطات البريطانية كميات الأسلحة التي أرسلها لأفغانستان عن طريق تجار (دبى) خاصة «بن دلموك»، ويرفض «بركات» الطلب الذي قدمه الإنجليز لوزيره بإبعاده.
١٩١٦	• أغسطس: مقتل الثائر «خليفة عمر» [مولانا] في (بيابان) بتحريض بريطاني ـ يتم إعدام القاتل بأمر حكومة الأمير (بركات). • استمرار ثورة قبائل مناطق «جغين» و«غابريغ» ضد المصالح البريطانية في ساحل مكران، وتقوم بقيادة الأمير «نور محمد بن عبد النبي» بقطع خدمات الاتصالات التلغرافية والتصادم مع الإنجليز.

	القبض على «شهد الله» بواسطة المير «سعيد خان» حاكم «گيه» ونفيه إلى البصرة ثم الهند؛ نتيجة لمطالبته بدم أخيه الذي قُتل في الهجوم على تشابهار، ثم تهديده للسلطات البريطانية بقطع خطوط التلغراف وحجز الرعايا البريطانيين ونهب أسواق تشابهار. • ١٩/١٨ مارس: اجتماع مدير فرع الخليج البريطاني مع «سعيد خان» و«إسلام الشيرانى» في (تشابهار) ومع الأمير بركات في (جاشك) وتحذيرهم من تحركات الحكومة الألمانية في (مكران) ضد البريطانيين. • إصطدام الأمير «بركات» مع ممثلي الحكومة الفارسية ومسؤولي «الجمارك» بسبب مضايقاتهم لتجار (جاسك) وزيادة الضرائب عليهم خاصة السيد «محمد صالح شرف» أحد كبار تجار (جاسك). • ما زال عملاء الألمان يثيرون القبائل البلوشية على البريطانيين وأخبار عن وجودهم في «بام».
١٩١٧	• عودة الداعية الإسلامي «خليفة خير محمد» إلى تهديد السلطات البريطانية وقطع خطوط التلغراف ويطلب التحدث مع ممثليهم من البريطانيين الذين يوعزون إلى «حكومة بنت» برشوتة وإعطائه إقطاعية في «فنوج». • فبراير: المير «بركات» و«إسلام الشيرانى» يقومان بالهجوم على «گيه» التي يحكمها «حسين خان» الذي يستعين بالمير (هوتي) حاكم لاشار وتحصل الاصطدامات وبعض الإصابات من غير نتيجة حاسمة للطرفين. • ٢٧ فبراير: عودة المير «بركات» بعد قيامه بالصلح بين المير إسلام الشيراني وأخويه.

	• في أبريل: إشتداد تدخل المير «إسلام الشيرانى» في أمور «گيه». يرسل إبنه «أيوب خان» مع ٢٠٠ رجل لمساندة أهالي «بير» الذين رفضوا دفع الضرائب إلى «حسين خان"حاكم «گيه». • في نهاية يوليو: إصطدام المير «بركات» مع السلطات الفارسية والمينابيين في معركة «داهي كند» بالقرب من ميناب وسقوط عتاد «قوات جنوب فارس» و مخازن الأسلحة التابعة لهذه الكتيبة في يد قوات «الأمير بركات» الذى يقوم بالهجوم على ميناب وحصارها حتى ٢١ يوليو. • تدخل «الدارياباجي» الحاكم الفارسي العام لموانئ الخليج مع القنصل البريطاني في (بندر عباس) لحل مشكلة حصار (ميناب)، وحضوره إلى يابان لمقابلة الأمير «بركات». • سبتمبر: إغتيال الأمير «إسلام الشيراني» حاكم إمارة (بنت) في (سوركبور) أثناء مغادرته إلى (قصرقند) عندما توقف للصلاة حيث كان يهم بامتطاء حصانه بإطلاق النار عليه، وحسب ما ذكرته التقارير البريطانية أنه كان حاكماً منفتحاً واغتياله خسارة يؤسف عليها.
١٩١٨	• إستسلام (ألمانيا) وإنتصار (بريطانيا) تزيد من الهيبة لها في مكران. • الحكومة العليا العثمانية وكجزء من مخططاتها ضد البريطانيين تقوم بإرسال ثلاثة من ضباط استخباراتها إلى حكام مكران لأجل إمدادهم بالعتاد والسلاح يقابلون الأمير (بركات) في ٢ ديسمبر، ويغادرون إلى (بمبور) لمقابلة «بهرام خان» ويتفقون على ترتيبات إرسال الأسلحة و العتاد إليهم عن طريق الساحل. • ١٩ سبتمبر: إصطدام بين السُنة والشيعة في جاشك.

	• ما زال الكاروانيين خارج السيطرة ويهددون بقطع التلغراف البريطاني وعجز حكام بنت في السيطرة على «خليفة خير محمد» خاصة بعد وفاة «صاحب الشيراني» بالإنفلونزا التي تجتاح المنطقة.
١٩١٩	• مقتل «هوتي إبراهيم» مع إبنه في كروان على يد البريطانيين عند القيام بتفحص خط التلغراف. • ١٣ يونيو: تخلي حرس التلغراف عن (تشابهار) وثورة أهل منطقة (بير) علي البريطانيين. • هجوم «ميرزا خان» (ضرغام) على بشكرد وقيام حاكمها بالإستعانة بالمير «بركات» الذي يهب لنجدته مع قوات من (جاشك).
١٩٢١	• إنشاء فيلق مشاة (مسقط) بقيادة الكابتن الإنجليزي أي. في. مكارثي من ضباط الجيش الهندي ــ معظم تشكيل الجيش من قبائل «البلوش» ثم «العمانيين». • قبيلة (السنجلا) في الكاروان تقوم بقطع أخشاب ومعادن خط التلغراف البريطاني بعد منع إستيراد المعدن من مسقط. • أغسطس: وفاة المير «بهرام خان»، الذي هاجم البريطانيين عام ١٩١٥ وإستيلاء «دوست محمد خان» على قلعة (بمبور)، وهو الذي إصطدم مع «رضا شاه» لاحقاً بعد رفع مطالبته باستقلال بلوشستان.
١٩٢٢	• إشاعات عن تحركات القوات الفارسية نحو بلوشستان. • خلع لقب «بهادر السلطان» على المير «بركات» و«ضرغام النظام» على «ميرزا خان» حاكم (رودبار).

* المير(حسين الشيرانى) حاكم «گيه» يتزوج إبنة «دوست محمد خان» حاكم (بمبور).	
* «دوست محمد خان» يهاجم (مكران) ويهزم المير «هوتي» حاكم (لاشار)، ويحتل (فانوج) في نوفمبر ويجبر حكام (بنت) على الاعتراف بنسيبه حاكم «گيه» «حسين الشيراني» حاكماً على المنطقة. * إصطدام المير «بركات» مع «ضرغام النظام» حاكم رودبار. * وفي نهاية نوفمبر يقوم «ضرغام النظام» بالهجوم على (بيابان) ولكنه يُهزم من الأمير «بركات» وخسارته بحدود ٧٠ فرداً من قواته. * تحاول الحكومة الفارسية تعيين ممثلين وجامعي ضرائب في جاشك، ولكن الأهالي يرفضون التعاون معهم أو دفع أي مبالغ لهم مما يضطرهم إلى المغادرة لبوشهر. * يصدر «رضا خان» (رضا شاه بهلوى لاحقاً) رئيس الحكومة الإيرانية أمراً لوزارة المالية بمطالبة «خزعل خان» حاكم (عربستان) بدفع الأموال المتأخرة للحكومة الإيرانية في طهران، ويقوم «خزعل خان» بتأليف «حلف السعادة» وتجهيز قوات قبائل العشائر لمحاربة القوات الإيرانية.	١٩٢٣
* توافق السلطات الفارسية على تعيين المير «دوست محمد خان» حاكماً على بلوشستان الفارسية وخلع لقب «أسد الدولة» عليه، ويقوم بكتابة رسائل إلى جميع شيوخ القبائل بدفع الضرائب المستحقة إليه في قلعة «بمبور». • السلطات البريطانية تقوم بتوقيف السيد «عالم شاه» الذي غادر «جاشك» إلى مكة، من كراتشي وتتهمه بتوزيع النشرات وتحريض قبائل البلوش في المنطقة للوقوف بوجه البريطانيين (مارس).	١٩٢٤

	٭ السلطات الفارسية تطالب المير «بركات» بدفع الضرائب الحكومية الموجبة عليه لمنطقة (يابان). ٭ مارس: السلطات الفارسية تفشل مرة أخرى في تعيين ٣ نواب حاكم في (جاشك) لجمع الضرائب الذين يغادرونها بعد أسابيع قليلة دون تعيينهم. ٭ اضطرابات في (مكران) بخصوص سياسة التجنيد الإجباري الذي يؤدي إلى إرسال الشباب إلى ساحات القتال في (عربستان) والمناطق الأخرى من (إيران) وشكوى ملاك الأراضي من خلو مزارعهم من اليد العاملة. ٭ حدوث حالات نزوح كثيرة من السكان إلى فروع عائلاتهم و قبائلهم في ساحل الإمارات وعُمان.
١٩٢٥	٭ وصول نفوذ «دوست محمد خان» إلى «بنت» ويطالب حاكمها «نگدي خان» بضرائب المنطقة من (مليكوني حينذاك) إلى (لاند)، ويتم سداد الضرائب الحكومية إليه. ٭ وكذلك يصل نفوذه إلى «كج» و«ديزاب»، الحكومة البريطانية تتخوف من هذا النفوذ والسلطات الفارسية تخشى على (بام) و(كرمان) بعد ظهور توجهات لدى «دوست محمد» في السيطرة على «جيروفت» في رودبار. ٭ إزدياد حدة الحركة الشعبية ضد «حكومة القاجار» في سائر إيران. ٭ بداية قلق لدى السلطات الإيرانية بخصوص إزدياد نفوذ «دوست محمد خان» في مناطق بلوشستان خاصة بعد رفضه دفع الجزية للحكومة المركزية في طهران. ٭ ١٩ أبريل: إلقاء القبض على الشيخ «خزعل خان» حاكم (المحمرة) و(عربستان) على يد «فضل الله زاهدي» قائد القوات الإيرانية ويتم ترحيله مع إبنيه إلى طهران، وتعيين حاكم عسكري

	إيراني على عربستان. * ١٢ ديسمبر: إقرار قانون نظام الحكم الجديد في (إيران) وإقرار «رضا شاه» حاكماً عليها. * ١٥ ديسمبر: يضع «رضا شاه» التاج على رأسه إمبراطوراً لإيران ويؤدي القسم وبيان التتويج في مجلس النواب في طهران.
١٩٢٦	* «دوست محمد خان» يرفع طلبه رسمياً بإستقلال بلوشستان إلى الحكومة الفارسية في (طهران). * اتفاق جوي بين فارس وبريطانيا بحق المرور في المجال الجوي الفارسي وبدء تنظيم رحلة جوية بين القاهرة وكراتشي مرة كل أسبوعين.
١٩٢٧	* في نهاية شهر يناير: تمرد وسط أبناء قبائل (البلوش) المجندين إجبارياً في القوات الفارسية ويرفضون أوامر مغادرتهم إلى (بندر عباس) ويتم محاكمة بعضهم بتهمة التهرب من الخدمة العسكرية الإجبارية. * (٦٠) جندياً إيرانياً مع المدفعية و٦ أحصنة يصلون جاشك في ١١ نوفمبر؛ لمصاحبة فريق إصلاح خطوط التلغراف البريطاني. * القيادة العسكرية الإيرانية في (كرمان) ترسل مبعوثاً إلى «دوست محمد خان» الذي يبلغ المبعوث بضرورة إبلاغ (طهران) بمطالبته بالإستقلال. * إعلان «عبد العزيز آل سعود» ملكاً على (الحجاز).

	٭ بدء التنسيق بين «دوست محمد خان» والأمير «بركات» وتبادل الذخائر والأسلحة لأجل مواجهة القوات العسكرية لـ «رضا شاه بهلوي».
١٩٢٨	٭ مايو: «أمان الله مينا» أمير العسكر الإيراني يزور (كرمان) لمناقشة خطط الهجوم على «دوست محمد». ٭ يوليو: تقوم الحكومة الإيرانية بتخزين القمح وعلف الحيوان في (بام) وفي (٩/٢٥) يلتحق السرتيب «علي شاه خان» قائد قوات كرمان بالجنود في (بام). ٭ ١٢ سبتمبر: الحاكم العام لكرمان يصدر مرسوماً بإعفاء «دوست محمد خان» من حكومة بلوشستان. ٭ إحتلال «بمبور» في أكتوبر ولجوء «دوست محمد» إلى «سرباز». ٭ استقرار «دوست محمد» في (سرباز) وإعفائه من قبل الشاه. ٭ في مايو: المير «دين محمد» يصادر أسلحة مصدرة لـ «دوست محمد خان» بعد اختلافهما في مواجهة الفرس في اجتماع (قصر قند) بخصوص الضريبة الحكومية والترتيبات الأمنية التي اقترحها «دوست محمد». ٭ في نهاية مايو: تعيين «دين محمد» حاكماً رسمياً لتشابهار ويرفرف العلم الإيراني على منزله وتعترف السلطات البريطانية بهذا التحرك الإيراني لمنع «دين محمد» من المشاركة في العمليات العسكرية مع «دوست محمد خان» (الذي هو صهره في نفس الوقت) في الاستقلال.
١٩٢٩	٭ (فبراير): إستدراج «دوست محمد خان» بواسطة اتفاق مع القوات العسكرية إلى «طهران»، ووضع المنطقة تحت الحكم العسكري الإيراني بقيادة «سرهنج محمد خان». ٭ نوفمبر: هروب «دوست محمد خان» من طهران، ولكن يُعاد إعتقاله في ديسمبر.

	* الأمير «بركات» يفكر في الإنتقال إلى (كلباء) و(البريمي) بعد مطالبة الحكومة الإيرانية منه تسليم ٦٠٠ بندقية من أبناء القبائل وسحب الأسلحة من الأهالي ومواطني المنطقة. * إحتلال القوات الإيرانية لمنطقة (بنت) دون مقاومة. * أخبار عن تحركات فارسية نحو تشابهار وغوادر في الشتاء القادم.
١٩٣٠	* منع الإمدادات إلى جاسك من قِبل الأمير «مراد مصطفى آل دغار» رداً على تعليمات السلطات الإيرانية بفرض إرتداء القبعة البهلوية على قبائل البلوش ، مما يجبر طهران على إلغاء هذه التعليمات لفتح الإمدادات مرة أخرى لقواتها في (جاسك). * التقرير البريطاني لهذه السنة يدعي بإزدياد قوة المير «بركات» عن حكام المناطق الأخرى، وإنه بطريق الاصطدام مع القوات العسكرية الفارسية خاصة بعد رفضه تسليم الأسلحة التي طلبتها سلطات «رضا شاه بهلوي». * يونيو: إعتقال المير «دين محمد خان» حاكم (تشابهار) وهجرة أعداد كبيرة من مواطني (دشتياري) إلى «غوادر» وإعلان المنطقة تحت الحكم العسكري الإيراني. * يناير: بعد الإعتراضات الفارسية لعقد اتفاقية يتم بها تغيير الملاحة الجوية في (فارس) مما يدفع الإنجليز للإتجاه إلى الساحل العربي ويتم الاتفاق مع (الكويت)، ويرفض شيوخ البريمي وترفض (رأس الخيمة)، ويتم إقناع الشيخ سلطان بن صقر القاسمي بعد جهد جهيد لعمل مطار في (الشارقة).

١٩٣١	* بداية ديسمبر: يقبل الأمير «بركات» طلب الحكومة الفارسية بإستدعائه لطهران لمقابلة الشاه بعد تجمع القوات العسكرية والقيام بحصار سواحل مكران بقيادة «السهرنج محمد خان» وعدم المواجهة العسكرية مع القوات النظامية الفارسية ويغادر إلى طهران مع إبنيه «عبد الله» و«جلال».
١٩٣٢	* إعلان «عبد العزيز آل سعود» ملكاً للمملكة العربية السعودية.
١٩٣٣	* ثورة وسط قبائل البلوش بعد الأنباء عن وفاة الأمير «بركات» في (طهران). * الحكومة الإيرانية ترسل في (٢٢ـ٢٦ اكتوبر) فرقاً من الجنود الإيرانيين إلى (جاسك) و(تشابهار) لتوزيع القوات الإيرانية في مكران وبشكرد للسيطرة على المتمردين البلوش. * ٩ سبتمبر: وفاة خان الكالات «محمد أعظم» وتولي إبنه «أحمد خان» حكومة الخانات ليكون آخر سلسلة الخانات لكالات حتى عام ١٩٥٨.
١٩٣٤	* ثورة الأمير «مراد بن مصطفى» على الحكومة الإيرانية ومقتل قائد البحرية الإيرانية في (بندر عباس) بعد المعركة البحرية في (ليما) بالقرب من منطقة (دبا) في دولة الإمارات العربية المتحدة. * إعتداء على مراكز الجمارك الإيرانية في (سذيج) علي ساحل مكران بواسطة قبائل «غابريغ».

١٩٣٦	* مجزرة «سوراك»: محاصرة معسكر الأمير (مراد بن مصطفى آل دغار) في منطقة (سوراك) الواقعة على ساحل خليج عمان من قبل القوات العسكرية لرضا شاه ــ الأمير حسين بن مراد بن مصطفى مع مرافقيه عام ١٩٨٢م مقتل خمسة من أبناء الأمير «مراد بن مصطفى» مع الكثيرين من أفراد عائلته والنساء وأبناء القبائل المنظمين معه،وينجوأثنان من أبنائه فقط هما عبدالرحمن وحسين. ـ بعد سوراك بحوالي السنة وبعد أن يفقد نظره؛ يتم أسر الأمير «مراد» في منطقة (يكدار) القريبة من جاسك ومن ثم محاكمته عسكرياً و إعدامه في (زاهدان), ومعه السيد عبدالرحيم الهاشمي. ــ أزمة بين الولايات المتحدة وإيران بسبب ما نشرته (الديلي ميرور) تاريخ ١٩٣٦/٢/٨ عن ماضي «رضا شاه» إمبراطور إيران وكيف أنه كان يعمل في إسطبلات البعثة البريطانية في طهران وما نشرته الواشنطن بوست عن أنه أخذ العرش عنوة من أسرة عريقة في (الشاهنشاهية).
١٩٣٦	* ٢٦ أيار (مايو): مقتل الشيخ «خزعل خان» حاكم عربستان المعزول في معتقله في طهران بتدبير مدير المخابرات «مقدادي» ومدير الشرطة الإيرانية «مختاري» بإبرة سامة.
١٩٣٩	* برقية مؤرخة بتاريخ ١٣ يناير وبرقم ١٣٣ــS من الوكيل السياسي البريطاني بمسقط وأخرى مؤرخة بتاريخ ٢٠ فبراير

	١٩٣٩ من الوكيل السياسي البريطاني بالبحرين يؤكدان للقنصلية البريطانية العامة في بوشهر نبأ مقتل أحد قادة الثوار البلوش وهو «شاكر بن مراد» على يد الأمير «ميرزا بن بركت» في منطقة (كاروان) ـ «شاكر بن مراد» كان أحد القادة العسكريين للأمير الثائر «مراد بن مصطفى آل دغار» ولكن بعد إعدام الأمير «مراد» إنضم إلى قوات القبائل النظامية الموالية لحكومة «رضا شاه» قبل أن يتمرد عليهم ويلجأ إلى الأمير «ميرزا بن بركت» ليلقي حتفه. • ٨ أكتوبر: توقيع البروتوكول السري بين «رضا شاه» و«هتلر» وهو بداية دفع إيران للإنضمام إلى ألمانيا بعد شهر من بداية الحرب العالمية الثانية.
١٩٤١	• ثورة الأمير(ميرزا بن بركت) في مناطق ساحل مكران والتابعة تاريخيا للحكومات العربية والعمانية ضد حكومة رضا شاه. مايو ـ بدء إتصالات الحكومة البريطانية بالأمير(ميرزا بن بركت) من خلال قنصليتها في كرمان وعن طريق السيد «كلداري» في بندر عباس. • نهاية شهر أغسطس: اجتياح الحلفاء من القوات البريطانية والروسية لإيران وحالة فقد توازن وتخبط كامل لحكومة الشاه. • ١ سبتمبر: يوقع «رضا شاه» على وثيقة تنازله عن عرش إيران في (قصر المرمر) بطهران. ميرزا بن بركت
١٩٤٤	• ٢٦ يوليو: وفاة «رضا شاه» في منفاه بجنوب أفريقيا «جوهانسبرج».

١٩٤٦	من ضمن جهوده في تطوير الممتلكات التابعة للسلطنة العمانية على ساحل مكران, يصدرالسلطان سعيد بن تيمور مرسوما بإنشاء بلدية (جوادر).
١٩٥٨	« أكتوبر: اتفاقية ١٢ ربيع الثاني ١٣٧٨ هـ (٢٥ أكتوبر ١٩٥٨) بين حكومة السلطان «سعيد بن تيمور» وشيوخ قبائل البلوش في الباطنة في التحالف ضد حركة التمرد في الجبل الأخضر، وقعها الشيخ «محمد بن بركت».

	عنه وعن أخيه الشيخ «ميرزا بن بركت» ووقعها عن الحكومة العُمانية ناظر (وزير) الشؤون الداخلية «السيد أحمد بن إبراهيم آل بو سعيد»، تكفل بها الشيخ محمد بن بركت وجماعته لدعم الجيش النظامي السلطاني في عملياته العسكرية في معسكر (نزوي) بالجبل الأخضر، وكذلك حراسة شواطئ ساحل الباطنة بسلطنة عُمان من (السيب) وحتى (خطمة الملاحة) من تهريبات الأسلحة والذخائر المرسلة للمتمردين على الحكومة المركزية العُمانية، يتوج هذا التحالف بسقوط التمرد ونهايته لاحقاً.  الشيخ محمد بن بركت * ميرزا بن بركت ومحمد بن بركت هما أحفاد الأمير عبد النبي بن محمد الذي قابله فلوير في رحلته.
١٩٥٨	تقوم حكومة السلطان سعيد بن تيمور آل سعيد ونتيجة للضغوط البريطانية بالتنازل عن (جوادر) وهو الجيب العربي الأخير على ساحل مكران لحكومة باكستان ليكون نهاية الحكم العربي والعماني المباشر والذي دام لعدة قرون.

تـم بحمـد اللـه


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المحتويات

كان جدي "محمد آل بقار" لا ينفك بالحديث عن تاريخ جده الكبير أثناء فترة الحكم العربي لساحل مكران إعتقدت في تلك الفترة أنه أمر يتعلق بمجرى الأحداث لتلك الأيام. ومع الوقت إكتشفت وقرأت أوراقاً عديدة عن هذا الموضوع مما جعلني أدرك أهمية تاريخهم والدور الذي قاموا به في تاريخ هذه المنطقة المهمة سياسياً و اقتصادياً.

وجعلت موضوع تاريخهم أمراً أعود إليه من وقت لآخر لأكتشف وبعد سنوات من البحث المتقطع والغير منتظم أني جمعت مادة ومعلومات تاريخية تستحق أن أوصلها للقارئ العربي خاصةً في منطقة الخليج لأنها تحوي معلومات لم تذكر أو تتوفر سواء للمطلع العام أو المختص بالتاريخ السياسي لهذا الجزء من منطقتنا – ومع أني لست بالمختص بعلم التاريخ فإني ارتأيت أن أوصل هذه المعلومات عن طريق رحلة قام بها نقيب إنجليزي إسمه الكابتن فلوير الذي قام برحلة في هذه المنطقة عام ١٨٧٦ حيث زار مناطق قبائل البلوش علي ساحل خليج عمان و كذلك مناطق الجزر العربيه مثل (هنجام) التي كانت تحت حكم قبائل (بن [illegible] خلالها قمت بإضافة المعلوم[illegible] لإيصالها بسلاسة للقارئ.